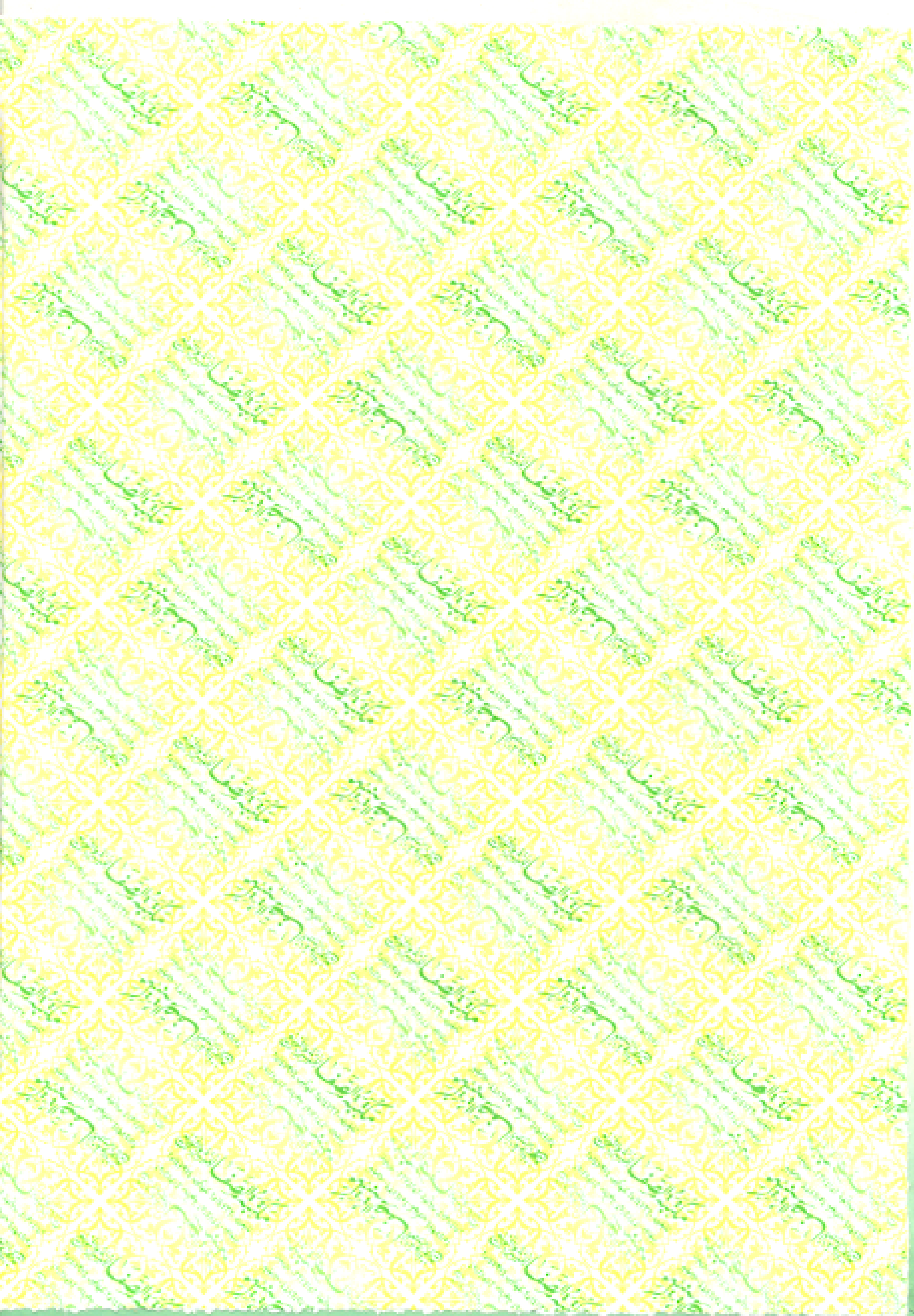
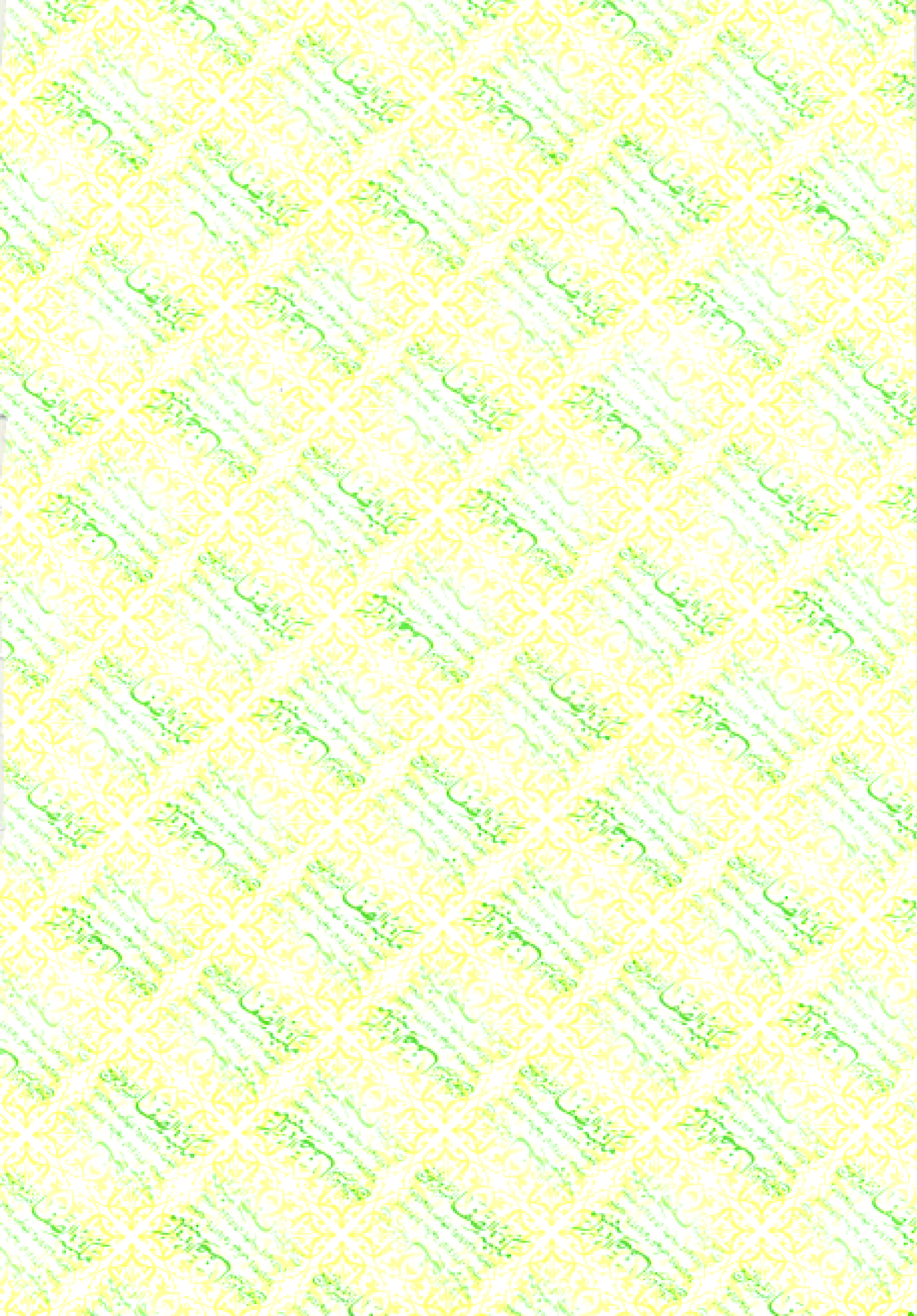
عقيدة الطفل المسلم



الشيخ
محمود المصري أبو عمار

مكتبة الصفا





عقيدة

الطفل المسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٢٠١١/١٩٧٢٧

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

أولاد الحاج عويس أمين صالح

١٢٧ ميدان الأزهر - أمام الجامع الأزهر - القاهرة ت ٢٥١٤١٣٢٠

الدراسة - خلف الجامع الأزهر - ت ٠١٠٠٤٣٧١١٤ - تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٦

عقيدة الطفل المسلم

الشيخ

محمود المصري

أبو عمار

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

تليفون ٢٥١٤٧٣٣٠ - تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالإسلام هو دين الهدى والنور، الذى لا سعادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدى بهداه، وتستضىء بنوره، مخلصة فى عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابذة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له.

والأولاد أمانة فى أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير فى تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التى يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفى الأسرة الكريمة الراشدة التى تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى - ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع - يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه فى سلوكه الاجتماعى المستقيم.

ومكتبة الصفا تقوم بدورها فى توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائمًا، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث.

ونشر كتب الداعية الكبير فضيلة الشيخ «محمود المصرى».

نقدم اليوم درة تضاف إلى مطبوعاتنا وهو كتاب «عقيدة الطفل المسلم» لفضيلة الداعية محمود المصرى.

استطاع فيه - حفظه الله - أن يتحدث مع الأطفال بلغة عصرية جميلة.

يعلمهم فيه أصول دينهم.

وسترى أخى القارئ الكريم مدى السلاسة والسهولة التى تميزت بها عبارات هذا الكتاب حتى يناسب عقول رجال المستقبل.

ونعدكم أخى القارئ الكريم بمزيد من المطبوعات فى كافة المجالات، التى نرجو من الله عز وجل أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، وبعد:

حبايبى الحلوين: لقد تعايشنا بقلوبنا وأرواحنا فى تلك الفترة الماضية مع مجموعة من الكتب التى كتبتها لأبنائى وبناتى بمداد قلبى

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

راجيًا أن ينتفعوا بها وأن يستفيدوا من كل كلمة كتبتها لهم.

وكانت تلك الكتب هي: قصص الأنبياء للأطفال - قصص القرآن - قصص الرسول ﷺ - سيرة الرسول ﷺ - أخلاق الرسول ﷺ - تفسير جزء عم - أصحاب الرسول ﷺ - أمهات المؤمنين رضي الله عنهن - حكايات عمو محمود (الجزء الأول والثاني) - الآداب الإسلامية للطفل المسلم - معجزات الأنبياء وكرامات الصحابة - أذكار الطفل المسلم - منهاج الطفل المسلم - الفقه المُيسرَّ للطفل المسلم.

* وها أنا أقدم اليوم لأبنائي وبناتي كتاب (عقيدة الطفل المسلم) والذي أتحدث فيه عن التوحيد الذي هو أصل الأصول.

فإن الله لا يقبل من أحد عبادة إلا إذا كان على الإيمان والتوحيد.

ومن أجل ذلك أخذ النبي ﷺ يربي أصحابه على التوحيد ثلاث عشرة سنة في مكة.

وظل النبي ﷺ يربي أصحابه على التوحيد حتى آخر لحظة في حياته؛ . . . لأن قضية التوحيد هي التي من أجلها خلق الله السموات والأرض، وأرسل الرسل وأنزل الكتب وخلق الجنة والنار.

* ولم يكن النبي ﷺ وحده هو الذي يدعو قومه إلى التوحيد بل كانت هذه دعوة الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (١).

---

(١) سورة النحل: الآية: (٣٦).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[1].

* فالواجب على كل مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرسلين، وأن يؤمن بالأصول التى آمنوا بها ودعوا إليها دون تشكُّك أو تردُّد، ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[2].

فهذا شأن المؤمنين، وهذا سبيلهم: الإيمان والتسليم والإذعان والقبول، وعندما يكون المؤمن كذلك ترافقه السلامة، ويتحقق له الأمن والأمان، وتزكو نفسُه، ويطمئنُّ قلبُه، ويكون بعيدًا تمام البعد عمَّا يقع فيه بعض الناس بسبب عقائدهم الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك وأوهام وحَيرة وتذبذب.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها السليمة وقواعدها المتينة هى - دون غيرها - التى تحقِّق للناس سعادتهم ورفعتهم وفلاحهم فى الدنيا والآخرة؛ لوضوح معالمها، وصحَّة دلائلها، وسلامة براهينها وحُججها، ولموافقتها للفطر السليمة، والعقول الصحيحة، والقلوب السويَّة.

ولهذا فإن العالَمَ الإسلام كلّه فى أشدّ الحاجة إلى معرفة هذا العقيدة الصافية النقيَّة؛ إذ هى قطبُ سعادته الذى عليه تدور،

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٢٥).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٨٥).

ومستقر نجاته[(١)] .

* فهيا يا أحبابى لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع هذا الكتاب الذى سنعرف من خلاله كيف نعبد الله ونُوحده. . عسى أن يحشرنا الله فى زمرة الموحدين مع سيد الموحدين محمد بن عبد الله ﷺ فى جنته ودار مقامته... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

عمو/محمود المصرى

أبو عمار

(١) من مقدمة الأمانة العامة لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - لكتاب (أصول الإيمان) (ص: ٩-١٠) بتصرف.

ما هى أهمية العقيدة الإسلامية وضرورتها؟

العقيدة الإسلامية ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء؛ إذ هو بدون هذه العقيدة ضائعٌ تائه يفقد ذاته ووجوده. العقيدة الإسلامية وحدها هى التى تجيب عن التساؤلات التى شغلت، ولا تزال تشغل الفكر الإنسانى، بل تحيّره: من أين جئت؟ ومن أين جاء هذا الكون؟ مَن المُوجد؟ وما صفاته؟ وما أسماؤه؟ ولماذا أوجدنا وأوجد الكون؟ وما دورنا فى هذا الكون؟ وما علاقتنا بالخالق الذى خلقنا؟ وهل هناك عوالم غير منظورة وراء هذا العالم المشهود؟ وهل هناك مخلوقات عاقلة مفكرة غير هذا الإنسان؟ وهل بعد هذا الحياة من حياة أخرى نصير إليها؟ وكيف تكون تلك الحياة إن كان الجواب بالإيجاب؟

لا توجد عقيدة سوى العقيدة الإسلامية اليوم تجيب على هذه الأسئلة إجابة صادقة مقنعة، وكل من لم يعرف هذه العقيدة، أو لم يعتنقها، فإن حاله لن يختلف عن حال ذلك الشاعر البائس[(١)] الذى لا يدرى شيئًا فيقول:

جئت، لا أعلم من أين، ولكنى أتيت
ولقد أبصرت قُدامى طريقًا فمشيت
وسأبقى سائرًا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقى؟
لست أدرى

(١) هو إيليا أبو ماضى من قصيدة له طويلة بعنوان «الطلاسم» من ديوانه (الجداول) ص: ١٠٦ .

إنه لا يدرى إلى أين المصير، ومصير الإنسان يهمه ويعنيه، ويريد أن يطمئن على ذاك المصير، ونحن نرى لوعة الشاعر وأساه؛ لأنه لا يدرى إلى أين يصير؟ وماذا سيصير؟ إنه الضلال عن الحقيقة.

إنه شقاء القلب الذى أتعبه المسير، وكم فى الحياة من أمثال هذا الشاعر البائس الضال، بعضهم يستطيع أن يفصح عن شقوته، وحيرته، وبعضهم يحس ويعانى، وتبقى أفكاره حبيسة نفسه الشقية.

بالإسلام وحده يصبح الإنسان يدرى من أين جاء، وإلى أين المصير، يدرى لماذا هو موجود، وما دوره فى هذا الوجود، يدرى ذلك حقًا وصدقًا، . . . وفرق بين من يدرى ومن لا يدرى.

فالمؤمن يدرى لماذا جاء إلى هذه الدنيا وما هى وظيفته.

فلقد قال الله (جل وعلا): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[١][٢].

* ما الفرق بين العقيدة الصحيحة والعقيدة الفاسدة؟

العقيدة الصحيحة هى تلك العقيدة التى جاءت بها الرسل من عند الحق (جل وعلا). . وهى عقيدة واحدة لأن كل الرسل والأنبياء جاءوا جميعًا لدعوة الناس إلى توحيد الخالق (جل وعلا).

* وأما العقائد الفاسدة فهى تنشأ من أمرين:

١- إما أن تنشأ من كونها نتاج أفكار البشر الذى يسمون أنفسهم بالعقلاء والمفكرين والمبدعين.

٢- وإما أن تنشأ من تحريف البشر للعقيدة الصحيحة التى جاء

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

(٢) العقيدة فى الله / د. عمر الأشقر (ص١٥-١٩) بتصرف.

بها رسول من الرسل كما حدث ذلك فى العقيدة اليهودية والنصرانية فى الوقت الحاضر.

* ومن ثَم فإنه لا توجد فى هذا الزمان عقيدة صحيحة إلا فى الإسلام... فهو الدين الوحيد الذى تعهد الله (عز وجل) بحفظ كتابه الذى يمثل المصدر الأول والأساسى لتلك العقيدة الصحيحة الصافية ثم تأتى السُّنة كمصدر شارح للمصدر الأول.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى عن السُّنة: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢).

* ما هى علاقة العقيدة بالإيمان؟

نحن نعلم أن الإيمان: اعتقاد بالجَنان ونطق باللسان وعملٌ بالجوارح والأركان... يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

فالعقيدة تمثل أصل الإيمان وقاعدته... ومن ثَمَّ فالإيمان: عقيدة تستقر فى قلب العبد المؤمن استقراراً يلازمه.. ولابد أن تُرجم هذه العقيدة إلى أقوال وأعمال تصدق هذا المعتقد ولا تخالفه وذلك لأن العقيدة التى تسكن القلب ولا يصدقها قول ولا عمل فهى عقيدة خاوية باردة لا تدل على صدق صاحبها.

* فلا يكفى مجرد المعرفة أو الاعتقاد حتى يكون هناك قول وعمل يوافقان هذا المعتقد.

* فها هو إبليس: كان يعرف الله ويعرف صدق الرسل بل ويعرف

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٩).

(٢) سورة النحل: الآية: (٤٤).

كل الحقائق الكبرى ومع ذلك رفض قبول الحق بل ونذر نفسه لمحاربة أهل الحق ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

* وها هو فرعون كان يعرف صدق موسى (عليه السلام) بل ويوقن أن المعجزات التى جاء بها موسى إنما هى من عند الله (جل وعلا) ومع ذلك جحد بها واستكبر... ولذا قال تعالى فى حق فرعون وملئه ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(١).

* بل وها هم أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون أن النبى ﷺ مُرسَلٌ من ربه (جل وعلا) ومع ذلك لم يؤمنوا به... ولذا قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾(٢).

* فالشاهد: أنه لا يكفى أن يكون الإيمان مجرد اعتقاد يسكن القلب ولا يظهر أثره على صاحبه قولاً وعملاً.. بل لابد من اعتقادٍ صحيح يملأ شغاف القلب ونُطقٍ باللسان يوافق هذا الاعتقاد وعملٍ صالح يبرهن على صدق هذا العبد فيما يعتقد.



(١) سورة النمل: الآية: (١٤).
(٢) سورة البقرة: الآية: (١٤٦).

وقفة مع بعض المصطلحات العقدية

* ما معنى كلمة العقيدة؟

العقيدة في اللغة: مأخوذة من العقد، وهو الشد والربط والإيثاق والثبوت والإحكام.

وفي الاصطلاح: الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد، والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الدين.

وقد أطلق كثير من السلف على العقيدة الصحيحة اسم (السُّنة).

وقد ألَّف بعض السلف كتبًا في العقيدة أسموها (السنة)، ومنها كتاب (السنة) للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب (السنة) لابن أبي عاصم، وغيرهما.

كما أطلق بعض العلماء على العقيدة اسم (أصول الدين).

لأن العقيدة أشرف الطاعات، ولأن صحتها شرط في قبول العبادات العملية، فإذا فسدت العقيدة لم تُقبل العبادة، وبطل أجرها، كما قال تعالى: ﴿ولَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1][2].



(١) سورة الزمر: الآية: (٦٥).

(٢) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية/ الشيخ عبد الله بن الجبرين - حفظه الله - (ص٣-٤) بتصرف.

* ما هى السُّنة؟

* **معناها فى اللغة:** هى الطريقة والسيرة.

* **معناها فى الشرع:** التمسك بما كان عليه الرسول ﷺ، وخلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم فى الاعتقادات والأقوال والأعمال.

* * *

* من هم أهل السنة والجماعة؟

أهل السنة والجماعة:

هم أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة.

وهم: المتمسكون بالعقيدة الصحيحة الخالية من شوائب البدع والخرافات وهى العقيدة التى كان عليها رسول الله ﷺ واتفق عليها أصحابه رضي الله عنهم.

وقد سُمُّوا (أهل السنة) لعملهم بمقتضى سنة النبى ﷺ المبينة للقرآن.

وسُمُّوا (الجماعة) لأنهم اجتمعوا على اتباع سنة النبى ﷺ وما أجمع عليه سلف هذه الأمة، فهم قد اجتمعوا على الحق، وعلى عقيدة الإسلام الخالية من الشوائب.

وأيضًا فقد سَمَّى النبى ﷺ الفرقة الناجية المتبعة لسنته وطريقة أصحابه - وهم أهل السنة والجماعة - سماهم (الجماعة)[1].

* * *

---

(١) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية (ص٤-٥) بتصرف.

* من هم السلف؟

هم أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم وسار على طريقتهم من أئمة الدين من أهل القرون الثلاثة المفضلة.

* * *

* من هم الخلف؟

من خالف طريقة النبي ﷺ وأصحابه في باب العقائد كالخوارج والرافضة، وكأهل الكلام الذين قدموا العقل البشرى على النصوص الشرعية: كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة والقدرية والمرجئة وغيرهم.

* * *

* ما هو أول واجب على المكلف؟

أن يتعلم توحيد الله عز وجل،... والدليل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1]، ولذا بوّب عليه الإمام البخاري بابًا فقال: (باب العلم قبل القول والعمل).

* * *

* ما هو حق الله على العباد؟

أن يعبدوه ويوحدوه،... قال رسول الله ﷺ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**»[2].

---

(١) سورة محمد: الآية: (١٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

* لماذا نتعلم التوحيد؟

* حتى نعرف الله سبحانه وتعالى، ونعبده وحده لا شريك له، ونطهر قلوبنا من الشرك؛ لأن التوحيد حق الله سبحانه وتعالى على العبيد، وهو سبيل النجاة ودخول الجنة.

* * *

* من ربك؟

ربي الله سبحانه وتعالى الذي خلقني، ورزقني، وربَّاني، وربَّى جميع العالمين بنفسه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

* * *

* ما دينك؟

ديني الإسلام،... قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (٢).

* * *

* ما هو الإسلام؟

هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، والبراءة من أهله... قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣).

* * *

(١) سورة البقرة: الآية: (٢١).
(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٩).
(٣) سورة الأنعام: الآيتان: (١٦٢-١٦٣).

* من نبيُّك؟

* نبيي محمد ﷺ ، . . . قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾ (١).

* * *

* من هو محمد ﷺ ؟

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم خليل الله - عليه السلام.

* * *

* كيف عرفت ربك؟

عرفت ربي سبحانه وتعالى بآيات كتابه المُنزَّلة بالوحي على النبي محمد ﷺ ، وبآياته الكونية من هذه المخلوقات، وبالفطرة التي فطرني الله سبحانه وتعالى وفطر الخلق عليها.

* * *

* بماذا عرفت ربك؟

عرفت ربي سبحانه وتعالى بكل كمال وجلال وتنزيه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾(٢).

* * *

(١) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٢) سورة الإخلاص.

* ما هو التوحيد؟

هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وإفراده بالربوبية، وبالأسماء والصفات التي لا مثيل له فيها ولا شبيه... قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].



* ما أنواعه؟

أنواعه ثلاثة:

* توحيد ربوبية:

هو توحيد الله سبحانه وتعالى بأفعال الله، مثل كونه سبحانه وتعالى يُنزل المطر، ويُنبت الزرع، ويحيى ويميت، ويرزق الفقير، ويَشفى المريض، ويُدبر أمر الكون، فهو القيَّام بكل شئون الخلق.

* توحيد ألوهية:

هو توحيد الله سبحانه وتعالى بأفعال العبادة، مثل: الدعاء، والتوكل، والحب، والخوف، والرجاء، وجميع الأعمال القلبية، وجميع الأعمال الظاهرة، وكذلك العبادات المالية، والبدنية، والقولية.

* توحيد أسماء وصفات:

هو أن نُثبتَ لله سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من غير أن نزيد فيها أو ننقص منها، ومن غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تشبيه، ولا تمثيل[2].

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٣١).

(٢) ابن الإسلام / الشيخ محمد يعقوب (ص ٢٢-٢٤).

* أولاً: الإيمان بـ لله (جل وعلا)

* إن الإيمان بالله جل وعلا هو أهم أصول الإيمان وأعظمها شأنًا وأعلاها قدرًا، بل هو أصل أصول الإيمان وأساس بنائه وقِوَامُ أمره، وبقية الأصول متفرعة منه راجعة إليه مبنية عليه.

والإيمان بالله عز وجل هو الإيمان بوحدانيته سبحانه فى ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامى الحنيف إنما سُمى توحيدًا لأن مَبْنَاهُ على أن الله واحد فى ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد فى ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد فى ألوهيته وعبادته لا نِدَّ له.

* وبهذا يُعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية:

وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كلِّ شيء ومَليكُهُ وخالقُه ورازقُه، وأنه المحيى المُميتُ النافعُ الضارُّ، المتفرِّدُ بالإجابة عند الاضطرار، الذى له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجع الأمرُ كله، لا شريك له فى ذلك.

القسم الثانى: توحيد الألوهية:

وهو إفراد الله وحده بالذلّ والخضوع والمحبَّة والخشوع والركوع

والسجود والذبح والنَّذْر، وسائر أنواع العبادة، لا شريك له.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

وهو إفراد الله تعالى بما سَمَّى ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصه، والإقرار بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيءٍ قدير، وأنَّه الحيُّ القيُّوم الذى لا تأخذه سِنة ولا نوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنه سميعٌ بصيرٌ، رءوف رحيم، على العرش استوى، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمنُ العزيز الجبارُ المتكبر، سبحان الله عما يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العُلى.

ولكل قسمٍ من هذه الأقسام الثلاثة دلائل كثيرة من الكتاب والسُّنة.

فالقرآن كله فى التوحيد وحقوقه وجزائه، وفى شأن الشِّرْكِ وأهله وجزائهم(١).

*** وها أنا فى تلك الصفحات القادمة أوضح لكم أقسام التوحيد الثلاثة:**

توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.



(١) أصول الإيمان / مجموعة من العلماء (ص١٧-١٨) بتصرف.

توحيد الربوبية

ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله - تعالى - رب كل شيء ولا رب غيره، . . . وبعبارة أخرى: هو الإقرار بأن الله هو الخالق لكل شيء، وهو المدبر، وهو الذى يعطى ويمنع، ويميت ويحيى، لا يشاركه أحد فى فعله - سبحانه وتعالى.

* معنى الرب:

الرب يأتى عند العرب بثلاثة معان:

الرب بمعنى المُربِّى: من التربية والتعهد والإصلاح.

الرب بمعنى المالك: مثل قول عبد المطلب أنا رب هذه الإبل وللبيت رب يحميه.

الرب بمعنى السيد أو الحاكم: كقول يوسف - عليه السلام - للرسول الذى جاءه بالسجن: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[1] ولا يطلق الرب بالألف واللام إلا على الله - عز وجل -، فيجوز أن تقول رب الدار، ولا يجوز أن تقول الرب بإطلاق.

وهذه المعانى الثلاثة فى لغة العرب بالنسبة لله - عز وجل - كلها حق، وثابتة له - عز وجل -، فهو رب الناس أى المربى لهم

(١) سورة يوسف: الآية: (٥٠).

بنعمه، كما قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(١).

فبيَّن الرب - تعالى - أنه هو المتعهد المصلح لشأن هذا العالم، فالشمس والقمر والنجوم - الله ربها والمتعهد لنظامها - سبحانه وتعالى -... وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾(٢).

ومن المعنى الثانى قول الله - عز وجل -: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾(٣)، أى مالكه وقوله - عز وجل -: ﴿ رَبِّ النَّاسِ ﴾(٤)، أى مالكهم.

فالله - عز وجل - يملك كل شيء ويتصرف فيه كيف يشاء ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾(٥)، ومن المعنى الثالث: وهو الرب بمعنى السيد أو الحاكم... قول يوسف - عليه السلام -: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾(٦)، ثم قال: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾(٧)، فجعل الحكم من صفات الربوبية.

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٥٤).
(٢) سورة هود: الآية: (٦).
(٣) سورة النمل: الآية: (٢٦).
(٤) سورة الناس: الآية: (١).
(٥) سورة آل عمران: الآية: (٨٣).
(٦) سورة يوسف: الآية: (٣٩).
(٧) سورة يوسف: الآية: (٤٠).

فهذه المعانى الثلاثة نستحضرها ونحن نثبت لفظ الرب على الله - تبارك وتعالى[١].

وقد أمر الله العباد بالنظر والتفكر فى آيات الله الظاهرة من المخلوقات العلوية والسُّفلية، ليستدلوا بها على ربوبيته سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٢] فأخبر البارى جل وعلا أن فى الأرض آيات وعلامات كثيرة تدل على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد خلق فيها من صنوف النبات، والحيوانات، والجبال، والصحارى، والرمال، والبحار، والأنهار، وكذلك ما فى خلق الإنسان من الآيات الكثيرة التى تدل على ربوبية الله تعالى، ومن ذلك ما فى تركيبه من الحِكَم فى وضع كل عضو من أعضائه فى المحل الذى هو محتاج إليه فيه، وما بين بنى الإنسان من الاختلاف فى اللغات، والألوان، وما بينهم من التفاوت فى العقول، والفهوم، والحركات، وما جُبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما فى ابتداء خلق الإنسان من الآيات العظيمة، إذ كان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا ثم نُفخ فيه الروح، فإذا هو سميع بصير، ثم أُخرج من بطن أمه صغيرًا ضعيف القوى والحركة، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته، حتى آل به الحال إلى أن صار يبنى المدن والحصون، ويسافر فى أقطار الأرض،

---

(١) باختصار من شرائط الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق فى العقيدة.
نقلاً من الثمرات الزكية فى العقائد السلفية/ د. أحمد فريد.

(٢) سورة الذاريات: الآيتان: (٢٠، ٢١).

ويكتسب ويجمع الأموال، وله فكر، ورأى، وعلم[١].

ولهذا فإنَّا نجد أن القرآن الكريم قد ذكر هذا النوع من التوحيد في مقام الحمد لله، وعبادته، والانقياد له والاستسلام. وفي مقام بيان صفاته الجليلة وأسمائه الحسنى.

ففي مقام الحمد يتلو المسلم في كل ركعة يصليها ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٣].

وفي مقام الاستسلام لله والانقياد له قال عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٤].

وفي مقام التوجه لله عز وجل وإخلاص القصد إليه قال عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٥].

وفي مقام تولي الله عز وجل دون غيره قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٦].

وفي مقام الدعاء قال عز وجل: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[٧].

---

(١) تسهيل العقيدة الإسلامية / (ص٤٢-٤٣).
(٢) سورة الفاتحة: الآية: (٢).
(٣) سورة الجاثية: الآية: (٣٦).
(٤) سورة الأنعام: الآية: (٧١).
(٥) سورة الأنعام: الآية: (١٦٢).
(٦) سورة الأنعام: الآية: (١٤).
(٧) سورة الأعراف: الآيتان: (٥٤، ٥٥).

وفي مقام عبادة الله عز وجل قال سبحانه: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[(١)]، وقال أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٢)].

فإن خالق السموات والأرض وما فيهن هو وحده الذي يستحق أن يتخذه العبد إلهًا ووليًّا، ويسلم نفسه إليه، ويدعوه ويتوجه إليه[(٣)].

وهذا النوع من أنواع التوحيد - وهو توحيد الربوبية - لا يكفي وحده للدخول في الإسلام؛ فقد كان المشركون مُقرين به فلم ينفعهم ذلك، ولم يُدخلهم في الإسلام، لأنهم مشركون في توحيد الألوهية، لصرفهم بعض أنواع العبادة كالدعاء والذبح والاستغاثة لمعبوداتهم كالأصنام والملائكة وغيرهم[(٤)].

وقد دلَّ القرآن الكريم في مواطن عديدة منه على إقرار المشركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ

---

(١) سورة يس: الآية: (٢٢).
(٢) سورة البقرة: الآيتان: (٢١، ٢٢).
(٣) الإيمان / الشيخ محمد نعيم ياسين (ص٧-٨).
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٠٢).
(٥) سورة العنكبوت: الآية: (٦١).

موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون (٨٤) سيقولون لله قل أفلا تذكرون (٨٥) قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم (٨٦) سيقولون لله قل أفلا تتقون (٨٧) قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون (٨٨) سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾[٣].

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تُنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرًا ولا نفعًا استقلالاً ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولا تسمع ولا تُبصر، ويقرون أن الله هو المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عاداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زُلفى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾[٤]؛ أي: ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٦٣).
(٢) سورة الزخرف: الآية: (٨٧).
(٣) سورة المؤمنون: الآيات: (٨٤-٨٩).
(٤) سورة الزمر: الآية: (٣).

يُدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعَّدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة. فإذا لم يأتِ بذلك فهو كافر[1].

إن توحيد الربوبية هو أعظم برهان ودليل على توحيد الألوهية وهو بالنسبة له كالمقدمة بالنسبة للنتيجة، فمن اعتقد أن لهذا الكون العظيم الواسع خالقًا ومدبرًا وقاهرًا ومتصرفًا فيه، يفعل ما يشاء وله القدرة الكاملة على تبديله وتغييره وأنه الرازق لجميع المخلوقات بيده النفع والضر، ويمنع ويعطي، ويميت ويحيي، وينجي عند الشدائد، والكربات، ويجيب المضطر عند اضطراره،... من اعتقد ذلك صدقًا تولَّد في قلبه حب ذلك الخالق العظيم، وهذه المحبة لابد أن تثمر خضوعًا وانكسارًا وتذللاً، وانقيادًا وطاعة وعبودية ورقًّا لمالك هذا الكون، وكثيرًا ما يذكر الله سبحانه في كتابه الناس جميعهم بأنه هو المنعم عليهم والمتفضل عليهم بالخلق والرزق وجميع النعم، فيرشدهم بذلك لعبادته وحده لا شريك له[2].

---

(١) أصول الإيمان/ مجموعة من العلماء (ص٢٣-٢٤).

(٢) المباحث العقلية المتعلقة بالأذكار (١/ ٤٣١-٤٣٥).

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾[١].

الأدلة على وجود الرب (جل وعلا)

وهناك أدلة كثيرة على وجود الرب (جل وعلا).

فالكون كله مُقرٌّ ومُصدق بوجود الله (جل وعلا) إلا الزنادقة والملاحدة والمشركون.

* وقد دلَّ على وجود الرب (جل وعلا) الفطرة والعقل والشرع والحس.

* **أما دلالة الفطرة:**

فإن كل مخلوق قد فُطر على الإيمان بالخالق من غير سبق تفكير أو تعلُّم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها... لقول النبي ﷺ: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يُنصرانه أو يمجسانه»**[٢]، ولم يقل (أو يُسلمانه) لأنه مسلم بفطرته مقر بالتوحيد بفطرته.

قال الله - عز وجل -: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣]، وقيل: هذه الفطرة التي تقر بالتوحيد هي الأثر من أخذ الميثاق الذي أخبر الله - عز وجل - عنه في سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٣) سورة الروم: الآية: (٣٠).

آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾(١) آية الميثاق.

* أما دلالة العقل على وجود الله - تبارك وتعالى -:

فقد دلَّ العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبية وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكُّر في آيات الله الدالة عليه. وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان:

الطريق الأول: النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو ما يُعرف بـ(دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾(٣)، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صُنع الله لأرشده ذلك إلى أن له ربًا خالقًا حكيمًا خبيرًا؛ إذ لا يستطيع الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها؟ أو أن يحولها إلى علقة، أو يحول العلقة إلى مضغة، أو يحول المضغة عظامًا، أو يكسو العظام لحمًا؟

الطريق الثاني: النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يُعرف بـ (دلالة الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالة على ربوبيته،.... قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٧٢).

(٢) سورة الذاريات: الآية: (٢١).

(٣) سورة الشمس: الآية: (٧).

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١].

ومن تأمل الآفاق وما فى هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق؛ دلَّه ذلك على أن هناك خالقًا لهذا الكون، موجدًا له مدبِّرًا لشؤونه، وكلما تدبر العاقل فى هذه المخلوقات وتغلغل فكره فى بدائع الكائنات علِم أنها خُلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به الله عن نفسه وأدلة على وحدانيته.

وقد جاء فى بعض الآثار: أن قومًا أرادوا البحث مع الإمام أبى حنيفة فى تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم رحمه الله: «أخبرونى قبل أن نتكلم فى هذه المسألة عن سفينة فى دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟». فقالوا: هذا محال لا يمكن أبدًا. فقال لهم: إذا كان هذا محالاً فى سفينة فكيف فى هذا العالم كله علوه وسفله؟.

فنبَّه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل على وحدانية خالقه وتفرده[٢].

* وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -:

«فإنه لو حدثك شخص عن قصر مَشيد أحاطت به الحدائق وجرت بينها الأنهار ومُلئ بالفرش والأسِرة وزُين بأنواع الزينة من

---

(١) سورة فصلت: الآية: (٥٣).

(٢) أصول الإيمان: (ص٢٠-٢١).

مقوماته ومكملاته وقال لك: إن هذا القصر بما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وُجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه وعددت حديثه سفهًا من القول، أفيجوز بعد ذلك كله أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه وأفلاكه وأحواله ونظامه البديع الباهر قد أوجد نفسه أو وُجد صُدفَة بدون موجد»[(١)].

* وقد سُئل أعرابي: ما الدليل عى وجود الرب - تعالى -؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماءٌ ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؛ أفلا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير.

فأدل شيء على وجود الخالق جل وعلا وجود المخلوق.

قال عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[(٢)]، وقال عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[(٣)].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾[(٤)].

* **أما دلالة الشرع على وجود الله - تبارك وتعالى -:**

فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك... قال الله - عز وجل-:

---

(١) رسائل في العقيدة لابن عثيمين (ص١٢).

(٢) سورة الواقعة: الآيتان: (٥٨-٥٩).

(٣) سورة الواقعة: الآيتان: (٦٣-٦٤).

(٤) سورة يونس: الآية: (٣١).

﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾[(١)].

وقال - عز وجل -: ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾[(٢)]..

ومن أدلة الشرع كذلك أن ما جاءت به الكتب السماوية من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من ربٍّ حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التى شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من ربٍّ قادر على إيجاد ما أخبر به.

* أما دلالة الحس على وجود الله - تعالى -:

فمن وجهين: أحدهما أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين ما يدل دلالة قاطعة على وجوده - تعالى -.

قال تعالى: ﴿ ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾[(٤)].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: إن أعرابيًا دخل يوم الجمعة والنبى ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادعُ الله لنا فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر يتحادر على لحيته، وفى الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابى أو غيره فقال: يا رسول الله، تهدَّم البناء وغرق المال،

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٥٤).

(٢) سورة البقرة: الآيتان: (٢١، ٢٢).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٧٦).

(٤) سورة الأنفال: الآية: (٩).

فادعُ الله لنا. فرفع يديه وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**». فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت[١].

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا لمن صَدَقَ اللجوء إلى الله - تعالى.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى «المعجزات» ويشاهدها الناس أو يسمعون بها برهان قاطع على وجود مُرسلهم وهو الله - تعالى -؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله - تعالى - تأييدًا لرسله ونصرًا لهم، ... مثال ذلك آية موسى حين أمره الله - تعالى - أن يضرب بعصاه البحر فضربه فانفلق طريقًا يابسًا والماء على جانبيه كالجبال، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[٢].

ومثال ثان: آية عيسى حين كان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم بإذن الله. قال تعالى عنه: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٣]، وقال: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾[٤].

ومثال ثالث لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: حين طلبت منه قريش آية فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين، فرآه الناس وفي ذلك يقول الله - تعالى -: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[٥]، فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله - تعالى -

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٧٩٨).

(٢) سورة الشعراء: الآية: (٦٣).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٤٩).

(٤) سورة المائدة: الآية: (١١٠).

(٥) سورة القمر: الآيتان: (١، ٢).

تأييدًا لرسله ونصرًا لهم تدل دلالة قطعية على وجوده - تعالى -[١].

ولم يُعلَم أن أحدًا من الخلق أنكر ربوبية الله - سبحانه وتعالى - إلا أن يكون مكابرًا عنيدًا غير معتقد بما يقول كما حصل من فرعون حين قال لقومه[٢]: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[٣]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[٤].

شرك الربوبية ومظاهره فى الأمة الإسلامية

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى ما مُلخصه:

قد يبدو غريبًا جدًا بعد أن قدمنا أن مشركى العرب أيام البعثة المحمدية لم يكونوا يشركون فى ربوبية الله - تعالى - أحدًا من خلقه.. اعترافنا بوجود مظاهر لشرك الربوبية فى الأمة الإسلامية اليوم، غير أن هذا الاستغراب سيزول بمجرد وقوف المرء على مظاهر واضحة جلية فى شتّى مجالات حياة كثير من المسلمين:

١ - اعتقاد كثير من عوام المسلمين أن هناك فى الكون أقطابًا وأبدالاً من الأولياء والصالحين، لهم قدر من التصرف معين فى حياة الناس، فهم يولون ويعزلون، ويعطون ويمنعون، ويضرون وينفعون، وهو مظهر واضح للشرك فى الربوبية، لما فيه من اعتقاد التصرف والتدبير فى الكون لغير الله - تعالى - أو له ولغيره - سبحانه وتعالى.

---

(١) رسائل في العقيدة ص(١٣).
(٢) رسائل في العقيدة ص (١٤) باختصار.
(٣) سورة النازعات: الآية: (٢٤).
(٤) سورة القصص: الآية: (٣٨).

٢- اعتقاد كثير من المنتسبين إلى العلم أن لأرواح الأولياء والصالحين تصرفًا بعد موتهم، وشاع هذا الاعتقاد الكاذب الباطل ورسخ فى نفوس كثير من المسلمين، حتى أصبحت الأضرحة والمشاهد والقبور ملاذ كل خائف ومستشفى كل مريض، حتى شاع بين العوام قول «إذا تعسرت الأمور، عليكم بأصحاب القبور».

٣- الرهبة من الجن والخوف منهم، والاستغاثة بهم، وتقديم القرابين لهم كالتى تُذبح على حافات الآبار عند حفرها، وعلى أعتاب المنازل عند إتمام بنائها، فهذا شرك فى الربوبية، إذ الحامل عليه اعتقاد أن الجن لهم تصرفات خارجة عن إرادة الله - تعالى - وتدبيره.

٤- تقديس المشايخ من رجال التصوف وأصحاب الطُرق والمشعوذين، وطاعتهم فى غير طاعة الله - عز وجل - وطاعة رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وقبول ما يشرعون لهم من البدع، فهذا الخضوع والذل والطاعة المطلقة والتسليم التام لهم ليُعَدُّ شركًا فى ربوبية الله - تعالى -.

٥- الخضوع للحكام غير المسلمين، والخضوع التام لهم، وطاعتهم بدون إكراه منهم لهم، حيث حكموهم بالباطل، وساسوهم بقوانين الكفر والكافرين فأحلُّوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال، فأطاعوهم فى كل ذلك، ولم ينكروا عليهم، ولم يرفضوا لهم... ويشهد لهذا حديث عدى بن حاتم الطائى الذى كان قد تنصَّر فى الجاهلية ثم أسلم وسمع الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يقرأ قول الله - تعالى - فى شأن أهل الكتاب:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١].

فأنكر عَدى أن يكونوا عبدوهم فقال له الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «**أليسوا يُحلون لكم الحرام فتحلونه؟ ويحرمون عليكم الحلال فتُحرمونه؟**» فقال: بلى. قال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «**فتلك عبادتهم**»[٢]. اهـ[٣].

* مناظرة ومحاورة:

ونختم هذا الباب فى إثبات وجود الله والرد على الملاحدة بهذه المناظرة والمحاورة التى أوردها الشيخ صالح البليهى فى كتابه عقيدة المسلمين.. قال تحت عنوان «مناظرة ومحاورة جرت بين مؤمن فقيه وبين ملحد حائر بائر» قال: قال الملحد للمؤمن ما معناه: أنت مؤمن بوجود الله؟ قال: نعم ولا شك ولا ريب. قال: هل رأيته؟ قال: لا. قال: هل سمعته؟ قال: لا. قال: هل شممته أو لمسته؟ قال: لا. قال: فكيف تؤمن به؟ قال المؤمن الفقيه للملحد ما معناه: أنت عاقل؟ قال: نعم. قال: هل رأيت عقلك؟ قال: لا. قال: هل سمعته؟ قال: لا. قال: هل شممته أو لمسته؟ قال: لا. قال: كيف تزعم أنك عاقل؟.

﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٤][٥][٦].

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٣١).

(٢) رواه الترمذى (٣٠٩٥)، وحسنه الشيخ الألبانى فى غاية المرام (٦).

(٣) عقيدة المؤمن (٨١-٨٤) باختصار.

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٥٨).

(٥) عقيدة المسلمين للشيخ صالح البليهى (١/١٢٦، ١٢٧).

(٦) بتصرف من الثمرات الزكية فى العقائد السلفية / د. أحمد فريد (حفظه الله).

توحيد الألوهية

النوع الثانى من التوحيد بعد توحيد المعرفة والإثبات هو توحيد القصد والطلب، أو توحيد الألوهية... ومعنى هذا التوحيد الاعتقاد الجازم بأن الله - عز وجل - وحده هو الإله المستحق للعبادة، وإفراده - عز وجل - بجميع أنواع العبادات الظاهرة والباطنة.

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قوله: ﴿لا إله إلاَّ الله﴾[(١)]. فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة،... ولأجل هذا التوحيد خُلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار، قال الله - تعالى -: ﴿يا أيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا ربَّكُمُ الَّذى خلقكُمْ والَّذين من قبْلكُم لعلَّكُمْ تتَّقُون﴾[(٢)].

فهذا أول أمر فى القرآن.

وقال تعالى: ﴿ولقدْ أرْسلْنا نُوحًا إلى قوْمه فقال يا قوْم اعْبُدُوا الله ما لكُم مِّنْ إلهٍ غيْرُهُ﴾[(٣)].

فهذه أول دعوة رسول بعد حدوث الشرك.... وقال هود لقومه: ﴿اعْبُدُوا

---

(١) سورة محمد: الآية: (١٩).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٢١).
(٣) سورة المؤمنون: الآية: (٢٣).

اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[(١)]، وقال صالح لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[(٢)]، وقال شعيب لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[(٥)]، وهذا التوحيد هو أولُ واجب على المكلف، وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[(٦)].

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح وأبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال بحيث إن كل سورة في القرآن فيها الدلالة على هذا التوحيد[(٧)].

ومما يدل على أهمية توحيد الألوهية أنه هو التوحيد الذي أرسل الله به الرسل من أولهم إلى آخرهم، واتفقت دعوة الرسل من أول رسول بعثه الله إلى خاتمهم محمد ﷺ، اتفقت دعوتهم إلى البدء بدعوة أقوامهم إلى إخلاص العبادة لله ونبذ الشرك بكل صوره وأسبابه ووسائله المؤدية إليه، ... قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٦٥).
(٢) سورة هود: الآية: (٦١).
(٣) سورة الأعراف: الآية: (٨٥).
(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٢٥).
(٥) سورة الزخرف: الآية: (٤٥).
(٦) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٩).
(٧) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص(٣٦).

رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[١]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]، وقال عن نبيه إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣].

وقال تعالى عن كليمه موسى عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[٤]، وقال تعالى عن المسيح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[٥].

- وأول ما بدأ به خاتمهم محمد ﷺ دعوته إلى الله عز وجل دعوة الناس إلى إخلاص العبادة لله، ونبذ الشرك بأنواعه ووسائله وأسبابه بالقول والفعل، ... فحمى النبي ﷺ حمى التوحيد، ودعا إليه، وأنذر من الشرك غاية الإنذار، واستمر على هذا المنهج حتى لحق بالرفيق الأعلى ﷺ، واقتدى به أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين وكل من اتبع طريقته واستنّ بسنته، فطريقته في الدعوة هي: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٦]، وفي هذه الآية أمر الله رسوله ﷺ أن

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٢٥).
(٢) سورة الأعراف: الآية: (٥٩).
(٣) سورة العنكبوت: الآية: (١٦).
(٤) سورة طه: الآية: (٩٨).
(٥) سورة الزخرف: الآيتان: (٦٣، ٦٤).
(٦) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

يخبر الناس أن هذه سبيله أي: طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة وبرهان عقلي وشرعي[(١)].

- وقد بيّن رسول الله ﷺ أن توحيد العبادة أساس الإسلام وأنه أول ما يبدأ له في الدعوة إلى الله... ويدل على ذلك رسائله ﷺ ومبايعته وجهاده ووصاياه لقواده، وغير ذلك من الأمور.

ومن الأمثلة الدالة على هذا:

١- إرساله ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن لدعوة قوم من أهل الكتاب إلى توحيد الله عز وجل،... فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله.

وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك على ذلك فأعلِمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة[(٢)]، فبيَّن ﷺ أن أول ما يبدأ به في الدعوة إلى الله تعالى شهادة أن لا إله إلا الله وإخلاص العبادة له جل وعلا[(٣)].

٢- وكذلك أمره ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر بدعوة اليهود إلى التوحيد أولاً حيث أعطاه ﷺ الراية وقال: «**انفذ على رِسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما**

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٣-٥١٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٣٤٧).

(٣) منهج السلف والمتكلمين (١/ ٢٦٧).

يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك حُمر النعم[(١)]، وفي رواية أخرى: فسار على رضي الله عنه ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ فقال ﷺ: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[(٢)].

٣- وكذلك مبايعاته ﷺ تدل على أن أول ما يبدأ به في الدعوة إلى الله إخلاص العبادة لله الذي هو التوحيد، ومن الأمثلة على ذلك.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا»[(٣)]، وعن أم عطيه رضي الله عنها قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا: ﴿أن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾[(٤)(٥)].

٤- وكذلك جهاد النبي ﷺ وقتاله إنما كان من أجل دعوة الناس إلى إخلاص العبادة لله عز وجل والبراءة من الشرك وأهله، والدفاع عن راية التوحيد، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل»[(٦)(٧)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠٥).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢١٣)، ومسلم (١٧٠٩).
(٤) سورة الممتحنة: الآية: (١٢).
(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢١٥)، ومسلم (٩٣٧).
(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٧) الإيمان بالله (جل وعلا) / د. على الصلابي (ص٧٩-٨١).

أدلته

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

١- تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١).

٢- وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢).

٣- وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(٣).

وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٤).

٤- وتارة ببيان أنه المقصود من إنزال الكتب الإلهية.

كما في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾(٥).

٥- وتارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمة ونعم كريمة في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢١).
(٢) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).
(٣) سورة النحل: الآية: (٣٦).
(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٢٥).
(٥) سورة النحل: الآية: (٢).
(٦) سورة الأنعام: الآية: (٨٢).

٦- وتارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[2].

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

* والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

١- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حقهم عليه؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**ألا يعذبهم**»[3].

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا نحو اليمن قال له: «**إنك تَقْدُم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات**»[4]...

٣- وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات

(١) سورة المائدة: الآية: (٧٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٣٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٧٣)، ومسلم (٣٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).

وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار»[١].

٤- وعن جابر بن عبد الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «من لقى الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»[٢][٣].

معنى لا إله إلا الله

معنى هذه الكلمة (لا إله إلا الله): أى لا معبود بحقٍّ إلا الله، ولا يستحق العبادة أحدٌ إلا الله - عز وجل -، وهى تتضمن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، ويلزم لفهم هذه الكلمة تحديد معنى العبادة وأنواعها.

معنى العبادة وشروط قبولها

والعبادة فى تعريفها الشامل هى: اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار، واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٩٧)، ومسلم (٩٢).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٣).
(٣) أصول الإيمان (٢٧-٢٩) بتصرف.

وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هى من العبادة لله... وذلك أن العبادة هى الغاية المحبوبة له والمرضية له التى خلق الخلق لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وبها أرسل جميع الرسل[2].

والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذى لا يُعظَّم ولا يُذل له لا يكون معبودًا، والمُعظم الذى لا يُحب لا يكون معبودًا[3].

* وهى تُبنى على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[4].

الثانى: كمال الرجاء، كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾[5].

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[6].

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة فى فاتحة الكتاب فى قوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).
(٢) مجموع الفتاوى: (١٠/١٤٩-١٥٠).
(٣) التحفة العراقية صـ ٦٣، مجموع الفتاوى (٢٠/٦).
(٤) سورة البقرة: الآية: (١٦٥).
(٥) سورة الإسراء: الآية: (٥٧).
(٦) سورة الإسراء: الآية: (٥٧).

(٣) ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(١)، فالآية الأولى فيها المحبة؛ فإن الله مُنعم، والمنعم يُحَبُّ على قدر إنعامه، والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة تُرجى رحمته، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يُخاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ذلك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي: أعبدك يا رب هذه الثلاث: بمحبتك التي دل عليها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ورجائك الذي دل عليه: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وخوفك الذي دل عليه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

* والعبادة لا تُقبل إلا بشرطين:

١- الإخلاص فيها للمعبود؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخالص لوجهه سبحانه... قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾(٤).

٢- المتابعة للرسول ﷺ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدى الرسول ﷺ... قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

(١) سورة الفاتحة: الآيات: (٢-٤).
(٢) سورة البينة: الآية: (٥).
(٣) سورة الزمر: الآية: (٣).
(٤) سورة الزمر: الآية: (١٤).
(٥) سورة الحشر: الآية: (٧).

يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (١) .

وقوله ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»(٢) .

أي: مردود عليه .

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصًا لله صوابًا على سنة رسول الله ﷺ .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾(٣) : «أخلصه وأصوبه»؛ قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة»(٤) .

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾(٥) .



(١) سورة النساء: الآية: (٦٥) .
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) .
(٣) سورة هود: الآية: (٧) .
(٤) حلية الأولياء: (٨/ ٩٥) .
(٥) سوة الكهف: الآية: (١١٠) .

بعض أنواع العبادة

العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفردٌ من أفرادها.

وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة على ذلك:

١- فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قال الله تعالى: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾[(٣)].

فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيًا أو ميتًا،... ومن دعا حيًا بما يقدر عليه مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتًا أو غائبًا. بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا.

٢، ٣، ٤- ومن أنواع العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وقد تقدم الكلام عليها وبيان أنها أركان للعبادة.

---

(١) سورة غافر: الآية: (١٤).

(٢) سورة الجن: الآية: (١٨).

(٣) سورة الأحقاف: الآيتان: (٥-٦).

٥- ومن أنواعها: التوكل، وهو الاعتماد على الشيء.

والتوكل على الله: هو صدق تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتماداً عليه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيل المنافع ودفع المضار.. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[2].

٦، ٧، ٨- ومن أنواع العبادة: الرغبة والرهبة والخشوع.

فأما الرغبة: فمحبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

والرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف، والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي... قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة من العبادة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[3].

٩- ومن أنواعها: الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه... قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[4].

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾[5].

١٠- ومنها: الإنابة، وهي الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته، قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[6].

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٢٣).
(٢) سورة الطلاق: الآية: (٣).
(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٩٠).
(٤) سورة البقرة: الآية: (١٥٠).
(٥) سورة المائدة: الآية: (٣).
(٦) سورة الزمر: الآية: (٥٤).

١١- ومنها: الاستعانة، وهي طلب العون من الله في تحقيق أمور الدين والدنيا، . . . قال الله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

وقال ﷺ في وصيته لابن عباس: «إذا استعنت فاستعن بالله»(١).

١٢- ومنها: الاستعاذة، وهي طلب الإعاذة والحماية من المكروه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾(٣).

١٣- ومنها: الاستغاثة، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، . . . قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾(٤).

١٤- ومنها: الذبح، وهو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه الخصوص تقربًا إلى الله، . . . قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾(٦).

١٥- ومنها: النذر، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة، . . . قال الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾(٧).

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦).
(٢) سورة الفلق: الآيتان: (١-٢).
(٣) سورة الناس: الآيات: (١-٤).
(٤) سورة الأنفال: الآية: (٩).
(٥) سورة الأنعام: الآية: (١٦٢).
(٦) سورة الكوثر: الآية: (٢).
(٧) سورة الإنسان: الآية: (٧).

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حقٌ لله وحده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

* والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك[(١)].

* أفضل العبادات:

إن أفضل العبادات، العمل على مرضاة الرب فى كل وقت وبما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته... فأفضل العبادات فى وقت الجهاد، الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار.

- والأفضل فى وقت حضور الضيف مثلاً، القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب وكذلك فى أداء حق الزوجة والأهل.

- والأفضل فى أوقات السَّحر الاشتغال بالصلاة والقرآن، والدعاء والذكر والاستغفار.

- والأفضل فى وقت استرشاد الطالب، وتعليم الجاهل: الإقبال على تعليمه والاشتغال به،... والأفضل فى أوقات الأذان ترك ما

(١) أصول الإيمان (ص٣٣- ٣٨) بتصرف.

هو فيه من وِرده والاشتغال بإجابة المؤذن.

- والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجِدُّ والنُّصح في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى الجامع، وإن بَعُد كان أفضل.

- والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه أو البدن، أو المال: الاشتغال بمساعدته وإغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أورادِك وخلوتك.

- والأفضل في وقت قراءة القرآن: جمع القلب والهمة على تدبره وتفهمه، حتى كأن الله تعالى يُخاطِبك به، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره، والعزم على تنفيذ أوامره، أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

- والأفضل في وقت الوقوف بعرفة، الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر، دون الصوم، المُضعف عن ذلك.

- والأفضل في أيام عشر ذي الحجة، الإكثار من التعبُّد لا سيَّما التكبير والتهليل والتحميد، فهو أفضل من الجهاد غير المتعيَّن.

- والأفضل في العشر الأخير من رمضان، لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف، دون التصدِّي لمخالطة الناس والاشتغال بهم، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم، وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء[1].

- والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته: عيادته

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (١/١٠٣).

وحضور جنازته وتشييعه.

- والأفضل في وقت نزول النوازل، وإيذاء الناس لك: أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم، دون الهرب منهم، فإن المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذى لا يخالطهم ولا يؤذونه.

- والأفضل خُلطتهم فى الخير، فهى خير من اعتزالهم فيه، واعتزالهم فى الشر، فهو أفضل من خلطتهم فيه، فإن عَلِم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلّله، فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم.

- فالأفضل فى كل وقت وحال، إيثار مرضاة الله فى ذلك الوقت والحال والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه[1][2].

❋ ❋ ❋

(١) تهذيب مدارج السالكين (١/ ١٠٣، ١٠٤).
(٢) الإيمان بالله/ د. على الصلابى (ص ٩٩ - ١٠١).

شروط صحة الشهادتين

١- العلم:

أي بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك.

قال الله - عز وجل -: ﴿فاعلَمْ أنَّهُ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ﴾(١).

وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٢).

٢- اليقين:

أي المنافي للشك... قال الله - عز وجل -: ﴿إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(٣)، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة»(٤).

٣- القبول:

لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه.... كما قال الله - عز وجل -: ﴿إنَّهُمْ كَانُوا إذَا قِيلَ لَهُمْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾(٥)، فجعل الله - تعالى - علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء

(١) سورة محمد: الآية: (١٩).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦).
(٣) سورة الحجرات: الآية: (١٥).
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧).
(٥) سورة الصافات: الآيتان: (٣٥، ٣٦).

بها، فلم ينفوا ما نفته، ولم يثبتوا ما أثبتته.

٤- الانقياد:

لما دلَّت عليه المنافي لترك ذلك... قال الله - عز وجل -: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[1]، وقوله - سبحانه -: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2].

٥- الصدق:

المنافي للكذب وهو أن يقولها صدقًا من قلبه يواطئ قلبه لسانه كما أخبر الله - عز وجل - عن المنافقين فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[3].

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرَّمه الله على النار»[4].

٦- الإخلاص:

وهو تصفية العمل بصالح النية عن شوائب الشرك.

قال الله - تعالى -: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[5].

وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٤).

(٢) سورة النساء: الآية: (٦٥).

(٣) سورة البقرة: الآيتان: (٨، ٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(٥) سورة الزمر: الآية: (٣).

حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله»[(١)].

٧- المحبة:

لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك... كما قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[(٢)]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده والناس أجمعين»[(٣)(٤)].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).
(٢) سورة البقرة: الآية: (١٦٥).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٥)، ومسلم(٤٤).
(٤) هذه الشروط السبعة مختصرة من معارج القبول (١/ ٣٧٧-٣٧٨).

نواقض التوحيد(١)

* أولاً: الشرك الأكبر:

تعريفه، وحكمه:

قبل أن نبدأ فى تعـريف الشرك نذكر الفرق بين نواقض التـوحيد ومُنقصاته:

فنواقض التوحيد:

هى الأمور التى إذا وُجدت عند العبد خرج من دين الله بالكلية، وأصبح بسببهـا كافراً أو مرتداً عن دين الإسلام، وهى كثيرة، تجتمع فى الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر (الاعتقادى).

أما مُنقصات التوحيد:

فهى الأمـور التى تنافى كمال التـوحيد ولا تنقضـه بالكلية، فإذا وجدت عند المسلم قـدحت فى توحيده، ونقص إيمانه، ولم يخرج من دين الإسلام.

أما تعريف الشرك الأكبر فهو:

أن يتخذ العـبد لله نداً يسويه فى ربوبيـته أو ألوهيته أو أسـمائه وصفاته.

---

(١) بتصرف من كتاب (مختـصر تسهيل العقيدة الإسلامية) / د . عـبد الله بن الجبرين - حفظه الله -.

أما حكمه:

فإن الشرك هو أعظم ذنب عُصي الله به، فهو أكبر الكبائر، وأعظم الظلم.

* أقسام الشرك الأكبر:

للشرك الأكبر ثلاثة أقسام رئيسة هي:

القسم الأول: الشرك فى الربوبية:

وهو أن يجعل لغير الله تعالى معه نصيبًا من الملك أو التدبير أو الخلق أو الرزق.

القسم الثانى: الشرك فى الأسماء والصفات:

وهو أن يجعل لله تعالى مماثلاً فى شيء من الأسماء أو الصفات، أو يصفه تعالى بشيء من صفات خلقه.

ومن صور هذا الشرك:

الشرك بدعوى علم الغيب، أو باعتقاد أن غير الله تعالى يعلم الغيب، فمن ادَّعى أن أحدًا من الخلق يعلم الغيب، فقد وقع فى الشرك الأكبر المُخرج من الملة.

القسم الثالث: الشرك فى الألوهية:

وهو: اعتقاد أن غير الله تعالى يستحق أن يُعبد أو صَرْف شيء من العبادة لغيره.

* ثانيًا: الكفر الأكبر:

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود فى النار، والأصغر موجب

لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

(١) الكفر الأكبر:

وهو خمسة أنواع:

١- كفر التكذيب: وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام.

فمن كذَّبهم فيما جاؤوا به ظاهراً أو باطنًا فقد كفر.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (١).

٢- كفر الإباء والاستكبار: وذلك بأن يكون عالمًا بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يُذعن لأمره، استكباراً وعناداً، . . . والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

٣- كفر الشك: وهو التردد: وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له: كفر الظن وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٣).

٤- كفر الإعراض: والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يُعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ.

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٦٨).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٣٤).
(٣) سورة الكهف: الآيات: (٣٥-٣٨).

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾[(١)].

٥- كفر النفاق: والمراد النفاق الاعتقادى بأن يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر[(٢)]، . . . والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾[(٣)].

* والنفاق على ضربين:

١- نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من الملة وهو ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصار دين الرسول.

٢- ونفاق عملى وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنه جريمة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبى ﷺ فى الحديث حيث قال: «أربعٌ مَن كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فَجَرَ»[(٤)].

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[(٥)].

(٢) الكفر الأصغر:

وهو لا يُخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود فى النار وإنما عليه

(١) سورة الأحقاف: الآية: (٣).
(٢) مدارج السالكين (١/٣٤٦).
(٣) سورة المنافقون: الآية: (٣).
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤)، ومسلم (٥٨).
(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣)، ومسلم (٥٩).

الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [(١)].

وفي قوله ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت» [(٢)].

وفي قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» [(٣)].

فهذا وأمثاله كُفر دون كُفر وهو لا يُخرج من الملة الإسلامية.

لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [(٤)]، فسماهم الله عز وجل مؤمنين مع الاقتتال[(٥)].

* ثالثاً: النفاق الأكبر (الاعتقاد):

النفاق هو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله

(١) سورة النحل: الآية: (١١٢).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٧).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).
(٤) سورة الحجرات: الآيتان: (٩، ١٠).
(٥) أصول الإيمان (ص ٧٠-٧٣).

واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه.

وذلك بأن يكون فى الظاهر أمام الناس يدَّعى الإسلام، ويُظهر لهم أنه مسلم، وربما يعمل أمامهم بعض العبادات كالصلاة والصيام والحج وغيرها، ولكن قلبه - والعياذ بالله يُبطن الكفر.

أما حكم المنافق فهو حكم المشرك شركًا أكبر وحكم الكافر كفراً أكبر، كما سبق بيانه؛ لأن المنافقين فى الحقيقة كفار، وإن كانوا أسوأ حالاً من سائر الكفار، لأنهم زادوا على الكفر: الكذب والمراوغة والخداع، . . وضررهم على المسلمين أشد؛ لأنهم يندسُّون بين المسلمين ويظهرون أنهم منهم، ويحاربون الإسلام باسم الإصلاح، ولذلك فهم أشد عذابًا فى الآخرة من سائر الكفار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [(١)] .

أعمال المنافقين الكفرية:

للمنافقين أعمال كفرية يستدل بها على ما يبطنون من النفاق، وقد بيَّنها الله تعالى فى كتابه كما فى سورة التوبة التى تُسمَّى «الفاضحة»؛ لأن الله تعالى فضح فيها المنافقين ببيان أعمالهم الكفرية، كما بيَّنها أيضًا فى سور أخرى كثيرة، ومن هذه الأعمال:

١ - الاستهزاء بالله وبرسوله وبالقرآن... قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [(٢)]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا خَلَوْا

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٤٥).

(٢) سورة التوبة، الآيتان: (٦٥، ٦٦).

إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ﴾ (١) .

٢- سبُّ الله تعالى، أو سب رسوله ﷺ أو تكذيبهما.

قال الله تعالى عنهم: ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات ﴾ (٢) .

أي ومن المنافقين من يعيبك في تفريق الصدقات، فيتهمونك بعدم العدل. وأصل اللمز: الإشارة بالعين ونحوها.

٣- الإعراض عن دين الإسلام، وعيبه، والعمل على إبعاد الناس عنه، وعلى عدم التحاكم إليه. . . قال تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ﴾ (٣) .

٤- التحاكم إلى الكفار، والحرص على تطبيق قوانينهم مفضلاً لها على حكم الله. . . قال تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا ﴾ (٤) .

٥- اعتقاد صحة المذاهب الهدامة والدعوة إليها مع معرفة حقيقتها.

٦- مناصرة الكفار ومعاونتهم على المسلمين؛ لأن المنافقين في حقيقتهم كفار فهم يناصرون إخوتهم من الكفار على المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٤).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٥٨).

(٣) سورة النساء: الآية: (٦١).

(٤) سورة النساء: الآية: (٦٠).

﴿٥١﴾ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ [١].

٧- إظهار الفرح والاستبشار عند انتصار الكفار، وعندما يصيب المسلمين هزيمة أو أي ضرر... قال الله تعالى: ﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴿١١٩﴾ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط﴾ [٢].

٨- سب وعيب العلماء والمصلحين وجميع المؤمنين الصادقين، بغضا لهم ولدعوتهم ولدينهم.... قال الله تعالى عنهم: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ [٣].

٩- مدح أهل الكفر، ومدح مفكريهم، ونشر آرائهم المخالفة للإسلام... قال الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾ [٤][٥].



(١) سورة المائدة: الآيتان: (٥١، ٥٢).
(٢) سورة آل عمران: الآيتان: (١١٩، ١٢٠).
(٣) سورة البقرة: الآية: (١٣).
(٤) سورة المجادلة: الآية: (١٤).
(٥) مختصر تسهيل العقيدة (ص٨٢-٨٥) بتصرف.

مُنقصات التوحيد

أولاً: الوسائل التى توصل إلى الشرك الأكبر:

لما كان الشرك الأكبر أعظم ذنب عُصى الله به؛ حرم الله ورسوله ﷺ كل قول أو فعل يؤدى إليه، أو يكون سببًا فى وقوع المسلم فيه.

وسأبين - إن شاء الله - ثلاثًا من أهم الوسائل التى توصل إلى الشرك وتوقع المسلم فيه، والتى حذر منها نبينا محمد ﷺ، فى المباحث الآتية:

* المبحث الأول: الغلو فى الصالحين:

لقد حذر النبى ﷺ من الغلو على وجه العموم، فقال ﷺ: **«إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»**[(١)].

وثبت أن الغلو فى الصالحين كان هو أول وأعظم سبب أوقع بنى آدم فى الشرك الأكبر... فقد روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أخبر عن أصنام قوم نوح أنها صارت فى العرب، ثم قال: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها

(١) صحيح: رواه ابن ماجه، وأحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٢٨٣).

أنصابًا وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونُسخ العلم، عُبدت».

ومن أنواع الغلو المحرم فى حق الصالحين والذى يوصل إلى الشرك:

أولاً: المبالغة فى مدحهم، كما يفعل كثير من الرافضة، وقلدهم فى ذلك كثير من الصوفية.

ثانيًا: تصوير الأولياء والصالحين: من المعلوم أن أول شرك حدث فى بنى آدم سببه الغلو فى الصالحين بتصويرهم، كما حصل من قوم نوح عليه السلام.

* المبحث الثانى: التبرك الممنوع:

التبرك: طلب البركة، . . . والبركة: كثرة الخير وزيادته واستمراره.

* والتبرك ينقسم من جهة حكمه إلى قسمين:

أ - تبرك مشروع:

وهو أن يفعل المسلم العبادات المشروعة طلبًا للثواب المترتب عليها، ومن ذلك أن يتبرك بقراءة القرآن والعمل بأحكامه.

ب - تبرك ممنوع:

وهو ينقسم من حيث حكمه إلى قسمين:

١ - تبرك شركى:

وهو أن يعتقد المتبرِّك أن المتبرَّك به - وهو المخلوق - يهب البركة بنفسه.

٢ - تبرك بدعى:

وهو التبرك بما لم يرد دليل شرعى يدل على جواز التبرك به،

معتقدًا أن الله جعل فيه بركة.

وهذا القسم من التبرك - وهو التبرك البدعي - ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التبرك الممنوع بالأولياء والصالحين:

وردت أدلة كثيرة تدل على مشروعية التبرك بجسد وآثار النبي ﷺ، كشعره وعرقه وثيابه وغير ذلك.

أما غير النبي ﷺ من الأولياء والصالحين فلم يرد دليل صحيح صريح يدل على مشروعية التبرك بأجسادهم ولا بآثارهم، ولذلك لم يَرِد عن أحد من أصحاب النبي ﷺ، ولا عن أحد من التابعين أنهم تبركوا بجسد أو آثار أحد من الصالحين، فلم يتبركوا بأفضل هذه الأمة بعد نبيها، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولا بغيره من العشرة المبشرين بالجنة، ولا بأحد من أهل البيت ولا غيرهم، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، لحرصهم الشديد على فعل جميع أنواع البر والخير، فإجماعهم على ترك التبرك بجسد وآثار غيره ﷺ من الصالحين دليل صريح على عدم مشروعيته.

* ومن أنواع التبرك المحرم بالصالحين:

أ) التمسح بهم ولبس ثيابهم أو الشرب بعد شربهم طلبًا للبركة.

ب) تقبيل قبورهم، والتمسح بها، وأخذ ترابها طلبًا للبركة.

النوع الثاني: التبرك بالأزمان والأماكن والأشياء التي لم يرد في الشرع ما يدل على مشروعية التبرك بها:

ومن أمثلة هذه الأشياء:

١ - الأماكن التي مَرَّ بها النبي ﷺ، أو تعبَّد لله فيها اتفاقًا من

غير قصد لها لذاتها، وإنما لأنه ﷺ كان موجودًا في هذه الأماكن وقت تعبُّدِه لله تعالى بهذه العبادة، ولم يرد دليل شرعي يدل على فضلها.

ومن هذه الأماكن: جبل ثور، وغار حراء، وجبل عرفات، والأماكن التي مر بها النبي ﷺ في أسفاره، والمساجد السبعة التي قرب الخندق.

٢- التبرك ببعض الأشجار وبعض الأحجار وبعض الأعمدة وبعض الآبار والعيون التي يظن بعض العامة أن لها فضلاً، إما لظنهم أن أحد الأنبياء والأولياء وقف على ذلك الحجر، أو لاعتقادهم أن نبيًا نام تحت تلك الشجرة.

النوع الثالث: التبرك بالأماكن والأشياء الفاضلة:

وردت نصوص شرعية كثيرة تدل على فضل وبركة كثير من الأماكن، كالكعبة المشرفة، والمساجد الثلاثة، وكثير من الأزمان كليلة القدر ويوم عرفة، وكثير من الأشياء الأخرى، كماء زمزم، والسحور للصائم، والتبكير في طلب الرزق ونحوه، وغير ذلك.

والتبرك بهذه الأشياء يكون بفعل العبادات وغيرها مما ورد في الشرع ما يدل على فضلها فيها، ولا يجوز التبرك بها بغير ما ورد وذلك كمن يخص ليلة القدر بعمرة، وكمن يتبرك بجدران الكعبة بتقبيلها أو مسحها، أو يتمسح بمقام إبراهيم أو بالحِجر المسمى حجر إسماعيل، أو بأستار الكعبة، أو بجدران المسجد الحرام، أو المسجد النبوي وأعمدتهما ونحو ذلك.

المبحث الثالث: رفع القبور وتجصيصها، وإسراجها، وبناء الغرف فوقها، وبناء المساجد عليها، وعبادة الله عندها.

وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن هذه الأمور كلها، ومنها:

* ما رواه جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «ألا وإن مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[1].

وقوله ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». يُحذر مثل ما صنعوا.

* وما رواه أبو الهياج الأسدي - رحمه الله - قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مُشرفاً إلا سويته»[2][3].

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٣٢).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٦٩).
(٣) بتصرف من (مختصر تسهيل العقيدة).

ثانياً: الشرك الأصغر[(١)]

أنواع الشرك الأصغر:

للشرك الأصغر أنواع كثيرة، أشهرها:

* النوع الأول: الشرك الأصغر فى العبادات القلبية:

ومن أمثلة هذا النوع:

المثال الأول: الرياء:

وهو أن يُظهر الإنسان العمل الصالح للآخرين أو يُحسنه عندهم، أو يَظهر عندهم بمظهر الخاشعين المتقين ليمدحوه ويعظم فى أنفسهم.

فمن أراد وجه الله والرياء معًا فقد أشرك مع الله غيره فى هذه العبادة، أما لو عمل العبادة وليس له مقصد فى فعلها أصلاً سوى مدح الناس فهذا صاحبه على خطر عظيم.

* والرياء له صور عديدة، منها:

١- الرياء بالعمل، كمراءاة المصلى بطول الركوع والسجود.

٢- المراءاة بالقول، كسرد الأدلة إظهاراً لغزارة العلم، ليقال: عالم.

٣- المراءاة بالهيئة والزى، كإبقاء أثر السجود على الجبهة رياءً.

ولهذا ينبغى للمسلم البعد عن الرياء والحذر من الوقوع فيه.

وهناك أمور تعين على البعد عنه أهمها:

١- تقوية الإيمان فى القلب، ليعظم رجاء العبد لربه، ويُعرض عمَّن سواه، ولأن قوة الإيمان فى القلب من أعظم الأسباب التى

---

(١) بتصرف من كتاب (مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية).

يعصم الله بها العبد من وساوس الشيطان، ومن الانقياد لشهوات النفس.

٢- التزود من العلم الشرعي، وبالأخص علم العقيدة الإسلامية ليكون ذلك حرزًا له بإذن الله من فتن الشبهات، وليعرف عظمة ربه جل وعلا، وضعف المخلوقين وفقرهم، فيحمله ذلك كله على مقت الرياء واحتقاره والبعد عنه، وليعرف أيضًا مداخل الشيطان ووساوسه، فيحذرها.

٣- الإكثار من الالتجاء إلى الله تعالى ودعائه أن يُعيذه من شر نفسه ومن شرور الشيطان ووساوسه، وأن يرزقه الإخلاص فيما يأتي وما يذر، والإكثار من الأذكار الشرعية التي هي حصن من شرور النفس والشيطان.

٤- تذكُّر العقوبات الأُخروية العظيمة التي تحصل للمرائي.

ومن أعظمها أنه من أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة.

٥- التفكُّر في حقارة المرائي وأنه من السفهاء والسفلة؛ لأنه يضيع ثواب عمله الذي هو سبب لفوزه بالجنة ونجاته من عذاب القبر وشدة القيامة وعذاب النار من أجل مدح الناس والحصول على منزلة عند المخلوقين، فهو يبحث عن رضا المخلوق بمعصية الخالق، ولهذا لما سُئل الإمام مالك رحمه الله: مَن السفلة؟ قال: «من أكل بدينه».

٦- الحرص على كل ما هو سبب في عدم الوقوع في الرياء، وذلك بالحرص على إخفاء العبادات المستحبة، وبمدافعة الرياء عندما يخطر بالقلب، وبالبعد عن مجالسة المداحين وأهل الرياء، ونحو ذلك.

وفي ختام الكلام على مسألة الرياء يحسن التنبيه إلى أنه لا يجوز للمسلم أن يرمي مسلمًا آخر بالرياء، فإن الرياء من أعمال القلوب ولا يعلمه إلا علام الغيوب.

المثال الثاني: من أمثلة الشرك الأصغر في العبادات القلبية: إرادة الإنسان بعبادته الدنيا:

المراد بهذا النوع: أن يعمل الإنسان العبادة المحضة ليحصل على مصلحة دنيوية مباشرة.

وإرادة الإنسان بعمله الدنيا ينقسم من حيث الأصل إلى أقسام كثيرة، أهمها:

١- أن لا يريد بالعبادة إلا الدنيا وحدها، كمن يحج ليأخذ المال، وكمن يغزو من أجل الغنيمة وحدها، وكمن يطلب العلم الشرعي من أجل الشهادة والوظيفة ولا يريد بذلك كله وجه الله البتة، فلم يخطر بباله احتساب الأجر عند الله تعالى.

وهذا القسم مُحرم، وكبيرة من كبائر الذنوب، وهو من الشرك الأصغر، ويبطل العمل الذي يصاحبه:

ومن الأدلة على تحريم هذا القسم وأنه يبطل العمل الذي يصاحبه:

أ- قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

٢- أن يريد بالعبادة وجه الله والدنيا معًا، كمن يحج لوجه الله

---

(١) سورة هود: الآيتان: (١٥، ١٦).

وللتجارة، وكمن يقاتل ابتغاء وجه الله وللدنيا، وكمن يصوم لوجه الله وللعلاج، وكمن يتوضأ للصلاة وللتبرُّد، وكمن يطلب العلم لوجه الله وللوظيفة، فهذا الأقرب أنه مباح؛ لأن الوعيد إنما ورد في حق من طلب بالعبادة الدنيا وحدها، ولأن الله رتَّب على كثير من العبادات منافع دنيوية عاجلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[(١)]، وكما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[(٢)].

وهذا القسم لا يُبطل العمل الذي يصاحبه، ولكن أجر هذه العبادة يُنقص منه بقدر ما خالط نيته الصالحة من إرادة الدنيا.

المثال الثالث: من أمثلة الشرك الأصغر في الأعمال القلبية:

الاعتماد على الأسباب:

والذي ينبغي للمسلم في هذا الباب هو أن يستعمل الأسباب المشروعة التي ثبت نفعها بالشرع أو بالتجربة الصحيحة، مع توكله على الله تعالى، واعتقاد أن هذا الأمر إنما هو مجرد سبب، وأنه لا أثر له إلا بمشيئة الله تعالى، إن شاء نفع بهذا السبب، وإن شاء أبطل أثره.

المثال الرابع: من أمثلة الشرك الأصغر في الأعمال القلبية:

التطيُّر:

التطيُّر في الاصطلاح: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو غيرهما.

(١) سورة الطلاق: الآيتان: (٢، ٣).

(٢) سورة نوح: الآيات: (١٠- ١٢).

ومعنى ذلك أن يكون الإنسان قد عزم على أمرٍ ما، فيرى أو يسمع أمرًا لا يعجبه فيحمله ذلك على ترك ما يريد فعله.

ومن أمثلة التطيُّر: ما كان يفعله أهل الجاهلية من أن أحدهم إذا أراد سفرًا زجر أو أثار طيرًا، فإن اتجه ذات اليمين تفاءل، فعزم على السفر، وإن اتجه ذات الشمال تشاءم، وترك هذا السفر.

والتطير محرم، وشرك أصغر.

ويُستثنى منه الفأل الحسن، وهو: أن يكون الإنسان قد عزم على أمر معين فيرى أو يسمع أمرًا حسنًا من غير قصد له، فيُسَرُّ به ويستبشر به، ويزيده ذلك اطمئنانًا بأن ما كان قد عزم على فعله سيكون فيه خير وبركة بمشيئة الله تعالى، ويعظم رجاؤه في الله تعالى في تحقيق هذا الأمر، من غير اعتماد على هذا الفأل، فهذا حسن، فالفأل حُسن ظنٍّ بالله تعالى.

وقد وردت أدلة كثيرة تدل على بُطلان التطير، وتحريمه.

ومن ذلك ما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطيرة شرك»(١).

ومما يدل على تحريم الطيرة أيضًا وإباحة الفأل: ما رواه عروة بن عامر، قال: ذُكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتِ بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»(٢).

(١) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٢٩).
(٢) ضعيف: رواه أبو داود، وضعفه الألباني في رياض الصالحين (١٦٨٦).

النوع الثانى من أنواع الشرك الأصغر: الشرك فى الأفعال:

ومن أمثلة هذا النوع:

المثال الأول: الرقى الشركية:

والرقية الشرعى هى الأذكار من القرآن والأدعية والتعويذات الثابتة فى السنة أو الأدعية الأخرى المشروعة التى يقرؤها الإنسان على نفسه أو يقرؤها عليه غيره ليُعيذه الله من الشرور بأنواعها، من الأمراض وشرور جميع مخلوقات الله الأخرى من السباع والهوام والجن والإنس وغيرها، فيعيذه منها بدفعها قبل وقوعها، بأن لا تصيبه، أو يعيذه منها بعد وقوعها بأن يرفعها ويزيلها عنه.

* **والرقى التى يفعلها الناس تنقسم إلى نوعين:**

النوع الأول: الرقى الشرعية، وهى الرُّقى التى سبق ذكرها، وقد أجمع أهل العلم على جوازها فى الجملة.

ويشترط فى هذه الرقية أيضًا أن يعتقد الراقى والمرقى أن الرقية لا تؤثر بذاتها، وأن لا يعتمد عليها المرقى بقلبه، وأن يعتقد أن النفع إنما هو من الله تعالى، وأن هذه الرقية إنما هى سبب من الأسباب المشروعة.

النوع الثانى: الرقى المحرمة:

ومنها: الرقى الشركية، وهى الرقى التى يعتمد فيها الراقى أو المرقى على الرقية... أو تضمنت صرف شىء من العبادة لغير الله، كالدعاء، أو الاستعاذة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

والدليل على تحريم جميع الرقى الشركية: قوله ﷺ: «إن الرُّقَى والتمائم والتولة شرك»(١).

وما روى عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا نرقى في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا عليَّ رُقاكم، لا بأس بالرقى، ما لم يكن فيه شرك»(٢).

المثال الثاني من أمثلة الشرك الأصغر في الأفعال: التمائم الشركية:

التمائم في اللغة: جمع تميمة، وهي في الأصل خرزة كانت تُعلَّق على الأطفال، يتقون بها من العين ونحوها.

ومن أنواع التمائم: الحُجُب والرُّقَى التي يكتبها بعض المشعوذين ويكتبون فيها طلاسم وكتابات لا يُفهم معناها، وغالبها شرك، واستغاثات بالشياطين.

وهذه التمائم كلها محرمة، وهي من الشرك، ....

لقوله ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»(٣).

ولقوله ﷺ: «من علق تميمة فقد أشرك»(٤)، فهي من الشرك، لأنهم ظنوا أن لغير الله تأثيرًا في الشفاء، وطلبوا دفع الأذى من غيره تعالى مع أنه لا يدفعه أحد سواه جل وعلا.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٧٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٧٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٢).

✻ النوع الثالث: الشرك الأصغر فى الأقوال:

ومن أمثلة هذا النوع:

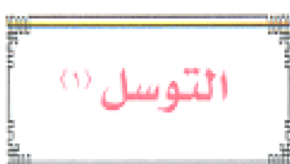
الحلف بغير الله:

وقد أجمع أهل العلم على أن اليمين المشروعة هى قول الرجل: والله، أو بالله، أو تالله، واختلفوا فيما عدا ذلك.

واليمين عبادة من العبادات التى لا يجوز صرفها لغير الله، فيحرم الحلف بغيره تعالى، . . . لقوله ﷺ: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله، وإلا فليصمت»[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦).



التوسل [1]

التوسل في الاصطلاح له تعريفان:

الأول: تعريف عام: وهو التقرب إلى الله تعالى بفعل المأمورات وترك المحرمات.

الثاني: تعريف خاص بباب الدعاء: وهو أن يذكر الداعي في دعائه ما يرجو أن يكون سببًا في قبول دعائه، أو أن يطلب من عبد صالح أن يدعو له.

* والتوسل في أصله ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوسل المشروع:

وهذا القسم يشمل أنواعًا كثيرة، يمكن إجمالها فيما يلي:

١- التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته،... كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [2].

وذلك بأن يدعو الله تعالى بأسمائه كلها، كأن يقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى أن تغفر لي، أو أن يدعو الله تعالى باسم مُعين من أسمائه تعالى يناسب ما يدعو به، كأن يقول: اللهم يا رحمن ارحمني، أو أن يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن

---

(١) بتصرف من (أصول الإيمان) و(مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٨٠).

الرحيم أن ترحمني.

أو أن يدعو الله تعالى بجميع صفاته، كأن يقول: «اللهم إني أسألك بصفاتك العُليا أن ترزقني رزقًا حلالاً» أو أن يدعوه بصفة واحدة من صفاته تعالى تناسب ما يدعو به، كأن يقول: «اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عني»، أو يقول مثلاً: «اللهم انصرنا على القوم الكافرين إنك قوى عزيز».

٢- الثناء على الله تعالى، والصلاة على نبيه محمد ﷺ في بداية الدعاء، . . . لما ثبت عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يُصلِّ على نبيه ﷺ، فقال: «عَجَّل هذا»[١]، ثم دعاه فقال: «**إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليُصلِّ على النبي ﷺ، ثم ليدعُ بما شاء**»[٢].

قال: وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يصلي فمجَّد الله وحمده، وصلى على نبيه محمد ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ادع تجب، وسَلْ تُعط**»[٣].

ومن ذلك أن يثني على الله تعالى بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، التي هي أعظم الثناء على الله تعالى، كما توسل بها يونس عليه السلام في بطن الحوت، ثم يصلي على النبي ﷺ، فيقول في توسله مثلاً: «لا إله إلا الله، اللهم صَلِّ على محمد، اللهم اغفر لي».

---

(١) بكسر الجيم ويجوز الفتح والتشديد أي: حين ترك الترتيب في الدعاء وعرض السؤال قبل الوسيلة وقيل: المسارعة: المبادرة في وقته، والعجلة: المبادرة في غير وقته.

(٢) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٣) صحيح: رواه الترمذي، والنسائي، وصححه الألباني في المشكاة (٩٣٠).

ومن ذلك سورة الفاتحة، فشطرها الأول ثناء على الله تعالى، وآخرها دعاء.

٣- أن يتوسل العبد إلى الله تعالى بعباداته القلبية، أو الفعلية، أو القولية، أو غيرها،... كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ (١)، وكما في قصة الثلاثة أصحاب الغار، فأحدهم توسل إلى الله تعالى ببره بوالديه، والثاني توسل إلى الله تعالى بإعطاء الأجير أجره كاملاً بعد تنميته له، والثالث توسل إلى الله تعالى بتركه الفاحشة، وقال كل واحد منهم في آخر دعائه: «اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه»(٢).

ومن ذلك أن يقول الداعي: اللهم إني أسألك بمحبتي لك ولنبيك محمد ﷺ ولجميع رسلك وأوليائك أن تنجيني من النار.

أو يقول: اللهم إني صمت رمضان ابتغاء وجهك فارزقني السعادة في الدنيا والآخرة.

٤- أن يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله، وأنه محتاج إلى رحمة الله وعونه... كما في دعاء موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٣)، فهو عليه السلام توسل إلى ربه جل وعلا باحتياجه للخير أن يُنزل عليه خيراً.

ومن ذلك قول الداعي: اللهم إني ضعيف لا أتحمل عذاب القبر

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: (١٠٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٣) سورة القصص: الآية: (٢٤).

ولا عذاب جهنم فأنجنى منهما، أو يقول: اللهم إنى قد آلمنى المرض فاشفنى منه.

ويدخل فى هذا الاعتراف بالذنب وإظهار الحاجة لرحمة الله ومغفرته... كما فى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

٥- التوسل بدعاء الصالحين... رجاء أن يستجيب الله دعاءهم. وذلك بأن يطلب من مسلم حىٍّ حاضر أن يدعو له.

كما فى قول أبناء يعقوب عليهم السلام له: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[2]، وكما فى قصة الأعرابى الذى طلب من النبى ﷺ أن يدعو بنزول المطر، فدعا ﷺ، وكما فى قصة المرأة التى طلبت منه عليه الصلاة والسلام أن يدعو الله لها بأن لا تتكشف، وكما طلب عمر - ومعه الصحابة - فى عهد عمر من العباس أن يستسقى لهم، أى أن يدعو الله أن يغيثهم بنزول المطر.

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ لما ذكر أن فى أمته سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وقال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**» قام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلنى منهم، فقال: «**أنت منهم**»[3].

ومن ذلك: حديث ذكر النبى ﷺ أويسًا القرنى وفيه قال: «**فاسألوه أن يستغفر لكم**»[4].

(١) سورة الأعراف: الآية: (٢٣).
(٢) سورة يوسف: الآية: (٩٧).
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٤٢).

وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يُطلب منه الدعاء، أما بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

* القسم الثاني التوسل الممنوع: هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

١- التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

٢- التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

٣- التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المُحْدثة؛ لأنه توسُّل لم يشرعه الله ولم يأذن به.

قال تعالى: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[(١)] ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[(٢)]، ولذا لم يكن هذا التوسل معروفًا في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وقد نَصّ على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

قال أبو حنيفة رحمه الله: «يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام».

---

(١) سورة يونس: الآية: (٥٩).

(٢) سورة النجم: الآية: (٣٩).

توحيد الأسماء والصفات

إن للإيمان بأسماء الله وصفاته آثارًا عظيمة في نفس المسلم وتحقيقه لعبادة ربه. فمن آثارها تلك المعاني التي يجدها العبد في عبوديته القلبية التي تثمر التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، وحفظ جوارحه، وخطرات قلبه، وضبط هواجسه حتى لا يفكر إلا فيما يرضى الله تعالى، ويحب لله وفي الله... به يسمع، وبه يُبصر، ومع ذلك هو واسع الرجاء وحسن الظن بربه.

فلاسمه «الغفار» أثره العظيم في محبته وعدم اليأس من رحمته ولاسمه «شديد العقاب» أثره الكبير في خشيته وعدم الجرأة على محارمه. وهكذا لأسمائه الأخرى وصفاته آثارها بحسب دلالاتها المتنوعة في نفس المسلم واستقامته على شرع الله»[(١)].

* الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات:

إن توحيد الله سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته يتطلب التقيد في ذلك بكتاب ربنا وبسنة رسولنا ﷺ فلا نصنع له اسمًا أو صفة ليست واردة في المنهلين ولا نشبهه بأحد من خلقه فهو سبحانه متصف بكل كمال، منزه عن كل نقص: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [(٢)]. وعلى ذلك فيمكن أن نذكر هذه الأسس:

---

(١) أصول الإيمان (ص٨١).

(٢) سورة الشورى: الآية: (١١).

١- إن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية فلا نُثبت لله تعالى ولا ننفي عنه إلا بدليل من الكتاب أو السنة إذ لا سبيل إلى ذلك إلا من هذا الطريق.

٢- وأن الإيمان بأن الله تعالى لا يُشبه أحدًا من خلقه في أسمائه ولا صفاته كما لا يشبهه أحد من خلقه.

٣- وأن صفات الله كلها صفات كمال، فله سبحانه الكمال المطلق وهو المنزه عن كل نقص.

* أسماء الله الحسنى:

لربنا تبارك وتعالى أسماء سمّى بها نفسه منها ما أنزله في كتابه، كالأسماء الموجودة في القرآن، ومنها ما علمه الله تعالى بعض خلقه من الأنبياء والمرسلين أو الملائكة المقربين أو ما شاء الله تبارك وتعالى، ومن أسمائه سبحانه ما استأثر به في علم الغيب عنده فلا يعلمه أحد، وذلك أن لله تعالى من معاني العظمة ما لا تستطيع المخلوقات إدراكه، لأنه الإله الحق المبين، له الجمال المطلق، والكمال المطلق، والجلال المطلق، والعظمة التامة، والقدرة الكاملة، فلله تعالى أسماء وصفات لا يحيط بها إلا هو سبحانه وتعالى.

* أسماء الله تبارك وتعالى كثيرة، بل كما قال ربنا عز وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

---

(١) سورة الكهف: الآية: (١٠٩).

(٢) سورة لقمان: الآية: (٢٧).

* ينبغي أن نعتقد بأن أسماء الله - عز وجل - ليست منحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن، بل ولا فيما علمه الرسل والملائكة وجميع المخلوقين؛ لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عدلٌ فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحًا»**(١).

٢- أسماء الله تبارك وتعالى توقيفية فلا يحق لأحد من الناس أن يخترع لله تعالى اسمًا، وإنما أسماؤه سبحانه ما جاء في القرآن أو السُّنَّة بصفة الاسم، مثل: الخالق، البارئ، المصور، الملك، القدوس، السلام، العزيز، الحكيم، العلي، العظيم، المؤمن، المهيمن.

٣- من أسماء الله الحسنى ما يختص به سبحانه، فلا يجوز أن يُسمَّى بها غيره وهي «الرحمن» «الله» ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾(٢)، ولهذا لا يتسمى أحد بهذين الاسمين من المخلوقين قط إلا قصمه الله تعالى، فـ «الله» و «الرحمن» من الأسماء التي لا يُسمى بها أحد إلا الله عز وجل»(٣).

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٩).
(٢) سورة الإسراء: الآية: (١١٠).
(٣) مع الله صـ ٢٤ / د. سلمان العوده.

٤- من أسماء الله عز وجل ما يجوز أن يُذكر وحده منفردًا، كالعزيز، والحميد، والحكيم، والرحيم، والعليم، والخبير، والبصير.. وما أشبه ذلك، فتناديه بها وتدعوه بها، وتعرفه سبحانه.

ومن الأسماء ما لا يُذكر إلا مع نظيره، بأن تصف الله تبارك وتعالى بأنه هو «الضار النافع» أو «القابض الباسط» وما أشبه ذلك من الأسماء التي تكون متقابلة، فلو وصفت ربك تبارك وتعالى بأنه الضار فحسب، أو القابض فحسب لكان هذا مُوهمًا لمعنى لا يليق بمجد الله وكرمه وعظمته وكماله وقدسيته، لهذا لا تُذكر هذه الأسماء منفردة، وإنما تُذكر مع نظيرها ومقابلها.

٥- معنى الإحصاء في قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»(١) يشمل أمورًا منها:

أ- معرفة هذه الأسماء وحفظها، بحيث يستطيع الإنسان أن يعدها عدًا.

ب- من معاني إحصائها، معرفة معانيها، فإن هذه الأسماء ليست أسماء رمزية ولا وهمية، ولا جامدة، ولا غامضة المعنى، وإنما هي بلسان عربي مُبين، أُريد من الإنسان أن يتفهم معانيها، حتى تكون تلاوتنا لها ذات معنى وليس مجرد ترديد لألفاظ لا نفقه ما وراءها وهذا بحدّ ذاته مكسب عظيم، يبارك النفس ويزكيها ويرتقي بالقلب والعقل والروح.

ج- الإلحاح بالدعاء لله عز وجل بهذه الأسماء، كما قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٨٠).

د- استحضار معاني تلك الأسماء، فإن شر ما يُبتلى به الناس: الغفلة والاستغراق في ماديات الحياة والانسياق وراء صوارفها وخير دواء للقلوب هو استحضار عظمة علام الغيوب، والتدرج بالنفس في مراقي معرفته والإيمان به سبحانه، حتى تصل درجة أن تعبد الله كأنك تراه[١]، فهذا يزيد المرء إقبالاً على الطاعة وحفاوة ونشاطًا، كما قال سبحانه: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[٢].

كما أن استشعار معاني هذه الأسماء يزيد المؤمن إعراضًا عن المعصية وزهدًا فيها وإسراعًا في الإقلاع عنها، وقوة في التوبة والأوبة لما يحسّ به من وحشة القلب والبعد عن الرب، ولما يحاذره ويستشعره من غضبه أو عتبه أو مؤاخذته سبحانه للعبد على إقامته على الذنب[٣][٤].



(١) مع الله (ص٢٧)/ د. سلمان العودة - حفظه الله -.
(٢) سورة الشعراء: الآيتان: (٢١٨، ٢١٩).
(٣) مع الله (ص٢٨).
(٤) الإيمان بالله / د. علي الصلابي (ص٥٣-٥٦) بتصرف.

بركة أسماء الله الحسنى

وقبل أن أبدأ شرح أسماء الله الحسنى - بإيجاز شديد - أُحب أن أذكر نبذة يسيرة عن بركات وثمرات وفوائد أسماء الله الحسنى التى لا تُعد ولا تُحصى.. ولكن حسبنا أن نذكر بعضها:

(١) أنها من أسباب دخول الجنة: فقد قال ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»[(١)].

(٢) الفوز بمحبة الله (جل وعلا): فإن الله يحب من أحب أسماءه الحسنى... وقد جاء فى الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأى شىء صنع ذلك»؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»[(٢)].

(٣) أنها سبب إجابة الدعاء: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[(٣)].

وقال ﷺ: «أسألك بكل اسم هو لك سمّيت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك..»[(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٨٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٤) أنها أصل من أصول الخشية: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[(١)] .. وإن أشرف العلوم علم الأسماء والصفات.

(٥) أنها من أسباب تفريج الكربات: فقد قال ﷺ: «ما أصاب عبدًا هم ولا حزنٌ فقال: اللهم إنى عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فىَّ حُكمُك، عدلٌ فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلتهُ فى كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى وغمى - إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرحًا» قالوا: يا رسول الله أفلا نتعلمهن؟ قال: «بلى، ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن»[(٢)].

(٦) يدفع الله بها عنك البلاء: قال ﷺ: «من قال حين يمسى: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات، لم يُصبه - فجأة - بلاء حتى يصبح، ومن قاله حين يصبح، ثلاث مرات، لم يصبه - فجأة - بلاء حتى يمسى»[(٣)].

(٧) أنها تجلب الشفاء للعبد: فقد قال ﷺ لأحد الصحابة: «ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثًا وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأُحاذر»[(٤)].

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٢٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠٢).

(٨) أنها كلها بركة: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(١)، وقال ﷺ: «إذا دخل الرجلُ بيته، فذكر اسم الله تعالى حين يدخل وحين يطعمُ، قال الشيطانُ: لا مبيت لكم ولا عشاء ههنا، وإن دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله، قال الشيطانُ: أدركتُمُ المبيت، وإن لم يذكر اسم الله عند مطعمه قال: أدركتُمُ المبيت والعشاء»(٢).

(٩) أنها أصل كل شيء: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾(٣)، وكان ﷺ يقول: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء»(٤).

(١٠) له أعظم الأثر في التحليل والتحريم: فلو أنك ذكرت اسم الله على ذبيحة يحل أكلها ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾(٥).

بل إن الله (عز وجل) عاتب من لم يأكل مما ذُكر اسم الله عليه فقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾(٦).

ونهى عن الأكل مما لم يُذكر اسم الله عليه فقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾(٧).

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٧٨).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٨).
(٣) سورة الحديد: الآية: (٣).
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣).
(٥) سورة الأنعام: الآية: (١١٨).
(٦) سورة الأنعام: الآية: (١١٩).
(٧) سورة الأنعام: الآية: (١٢١).

(١١) بركتها تلحق الذرية: قال ﷺ : «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهلهُ قال: بسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا؛ فإنه إن قضى بينهما ولدٌ من ذلك لم يضره الشيطان أبدًا»(١).

❋ ولو أردنا أن نذكر بركة أسماء الله الحسنى لاحتاج هذا الأمر إلى أن تقوم البشرية كلها في آن واحد - من لدن آدم (عليه السلام) إلى قيام الساعة - ليكتبوا جميعًا عن تلك البركة.. ولن يستطيعوا مع ذلك أن يذكروا ولو شيئًا يسيرًا عن بركة أسماء الله الحسنى(٢).



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٩٦)، ومسلم (١٤٣٤).
(٢) القول الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى/ للمصنف.

قواعد الإيمان بصفات الله (عز وجل)

١- تنزيه رب السموات والأرض عن مشابهة الخلق.

دَلَّ على ذلك قوله - عز وجل -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١]، وقوله - عز وجل -: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[٢]، وقوله - عز وجل -: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٣].

٢- إثبات صفات الله - عز وجل - التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -، دل على ذلك قوله - عز وجل -: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٤].

٣- قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية هذه الصفات.

لقوله - عز وجل -: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[٥].

* ومن صفات الله:

* القدرة:

وهي صفة ذاتية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة. ومعنى ذاتية: أي ملازمة لذات الله لا تنفك عنه سبحانه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦].

---

(١) سورة الشورى: الآية: (١١).
(٢) سورة مريم: الآية: (٦٥).
(٣) سورة الإخلاص: الآية: (٤).
(٤) سورة الشورى: الآية: (١١).
(٥) سورة طه: الآية: (١١٠).
(٦) سورة البقرة: الآية: (٢٠)

ومن السنة: حديث عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى النبي ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثًا وقل - سبع مرات -: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[١].

* **الحياة:**

وهي من صفات الله الذاتية. وهي مشتقة من اسمه الحي.

* **العلم:**

صفة ذاتية لله تعالى وثابتة بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾[٢].

ومن السنة: حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا في الاستخارة: «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك...»[٣].

* **الإرادة:**

وهي صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة. والصفات الفعلية هي المتعلقة بمشيئة الله وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها.

قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[٤].

ومن السنة: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠٢).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).
(٣) صحيح: رواه البخاري (١١٦٦).
(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٢٥).

الله ﷺ يقول: «إذا أراد الله بقوم عذابًا، أصاب العذاب من كان فيهم ثم بُعثوا على أعمالهم»[١].

* **العلو:**

وهو صفة ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[٣].

ومن السنة: حديث أبي هريرة المتقدم وفيه: ... «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء...»[٤].

* **الاستواء:**

وهو صفة فعلية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٥].

وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه»[٦].

ومعنى الاستواء في لغة العرب: العلو والارتفاع، والاستقرار والصعود واستواء الله تعالى على عرشه استواء يليق بجلاله.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٠٨)، ومسلم (٢٨٧٩).
(٢) سورة الأعلى: الآية: (١).
(٣) سورة النحل: الآية: (٥٠).
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣).
(٥) سورة طه: الآية: (٥).
(٦) رواه الذهبي في العلو (١١٩) وقال: رواته ثقات، ورواه الخلال في كتاب السنة.

* **الكلام:**

وهو صفة ذاتية باعتبار النوع وصفة فعلية باعتبار أفراد الكلام فهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء بكلام مسموع.

وقد دَلَّ على صفة الكلام الأدلة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[١]، ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[٢].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّ آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخَطَّ لك التوراة بيده»... الحديث[٣].

* **الوجه:**

وهو صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾[٤].

وقوله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[٥].

ومن السنة: حديث جابر بن عبد الله قال: لما نزلت: هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾[٦] قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك». فقال: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ فقال النبي ﷺ:

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٦٤).
(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٤٣).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦١٤)، مسلم (٢٦٥٢).
(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٧٢).
(٥) سورة الرحمن: الآية: (٢٧).
(٦) سورة الأنعام: الآية: (٦٥).

«أعوذ بوجهك». قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾[١]. فقال النبي ﷺ: «هذا أيسر»[٢].

* **اليدان:**

وهي صفة ذاتية خبرية لله عز وجل وثابتة بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٤].

ومن السنة: حديث أبي موسى الأشعري الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[٥].

* **العينان:**

وهي صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب: قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٧].

ومن السنة: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٦٥).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٦٢٨).
(٣) سورة المائدة: الآية: (٦٤).
(٤) سورة ص: الآية: (٧٥).
(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩).
(٦) سورة طه: الآية: (٣٩).
(٧) سورة هود: الآية: (٣٧).

وأشار بيده إلى عينيه، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية»[١].

* القدم :

وهي صفة ذاتية ثابتة للرب عز وجل بالأحاديث الصحيحة.

ومن ذلك حديث أبي هريرة في تحاجج الجنة والنار وفيه: (... «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله - تبارك وتعالى - رجله، تقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويُزوى بعضها إلى بعض»...)[٢]. وفي بعض الروايات في الصحيحين: «فيضع قدمه عليها»[٣].

وأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة كثيرة لا تُحصَى وإنما هذه أمثلة ويجب على المسلم إثباتها لله - تبارك وتعالى - على ما يليق بجلاله وكماله، كما أثبتها الله لنفسه في كتابه، وهو أعلم بنفسه من خلقه، وأثبتها له رسوله ﷺ في سنته وهو أعلم الخلق بربه وأكملهم نصحًا وأفصحهم وأبلغهم بيانًا وأتقاهم وأخشاهم له، وليحذر من تعطيل الله من صفاته أو تشبيهها بصفات المخلوقين لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٤][٥].



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (١٦٩).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٧).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٤٩) ومسلم (٢٨٤٦).
(٤) سورة الشورى: الآية: (١١).
(٥) أصول الإيمان (ص ٩٠-٩٤).

* وما هى الأسماء الحسنى الثابتة فى الكتاب والسنة بأدلتها التفصيلية:

١-٢ الرحمن الرحيم: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١).

٣-١٠ الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر:
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢).

١١-١٣ الخالق البارئ المصور: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (٣).

١٤-١٧ الأول الآخر الظاهر الباطن: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٤).

١٨-١٩ السميع البصير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٥).

٢٠-٢١ المولى النصير: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٦).

٢٢-٢٣ العفو القدير: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (٧).

٢٤-٢٥ اللطيف الخبير: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٨).

٢٦- الوتر: «وإن الله وتر يُحب الوتر» (٩).

---

(١) سورة فصلت: الآية: (٢).
(٢) سورة الحشر: الآية: (٢٣).
(٣) سورة الحشر: الآية: (٢٤).
(٤) سورة الحديد: الآية: (٣).
(٥) سورة الشورى: الآية: (١١).
(٦) سورة الحج: الآية: (٧٨).
(٧) سورة النساء: الآية: (١٤٩).
(٨) سورة الملك: الآية: (١٤).
(٩) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٧).

٢٧- الجميلُ: «إن الله جميلٌ يُحبُّ الجمال»[١].

٢٨-٢٩ الحيُّ السِّتِّيرُ: «إن الله عز وجل حيي ستيرٌ يُحبُّ الحياء والستر»[٢].

٣٠-٣١ الكبيرُ المتعالُ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[٣].

٣٢-٣٣ الواحد القهارُ: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٤].

٣٤-٣٥ الحقُّ المبينُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[٥].

٣٦- القوىُّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[٦].

٣٧- المتينُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٧].

٣٨-٣٩ الحيُّ القيومُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[٨].

٤٠-٤١ العليُّ العظيمُ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٩].

٤٢-٤٣ الشكورُ الحليمُ: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[١٠].

٤٤-٤٥ الواسعُ العليمُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١١].

٤٦-٤٧ التواب الحكيم: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[١٢].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١).
(٢) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٦).
(٣) سورة الرعد: الآية: (٩).
(٤) سورة الرعد: الآية: (١٦).
(٥) سورة النور: الآية: (٢٥).
(٦) سورة هود: الآية: (٦٦).
(٧) سورة الذاريات: الآية: (٥٨).
(٨)، (٩) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).
(١٠) سورة التغابن: الآية: (١٧).
(١١) سورة البقرة: الآية: (١١٥).
(١٢) سورة النور: الآية: (١٠).

٤٨-٤٩ الغنيُّ الكريمُ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾(١).

٥٠-٥١ الأحدُ الصمدُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ﴾(٢)

٥٢-٥٣ القريبُ المجيبُ: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾(٣).

٥٤-٥٥ الغفورُ الودودُ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾(٤).

٥٦-٥٧ الوليُّ الحميدُ: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾(٥).

٥٨- الحفيظُ: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾(٦).

٥٩- المجيدُ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾(٧).

٦٠ الفتاحُ: ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾(٨).

٦١- الشهيدُ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٩).

٦٢-٦٣ المُقدم المُؤخر: ... حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «أنت المُقدمُ وأنت المُؤخرُ»(١٠).

٦٤-٦٥ المليكُ المقتدرُ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ⑤④ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(١١).

---

(١) سورة النمل: الآية: (٤٠).
(٢) سورة الإخلاص: الآيتان: (١-٢).
(٣) سورة هود: الآية: (٦١).
(٤) سورة البروج: الآية: (١٤).
(٥) سورة الشورى: الآية: (٢٨).
(٦) سورة سبأ: الآية: (٢١).
(٧) سورة البروج: الآية: (١٥).
(٨) سورة سبأ: الآية: (٢٦).
(٩) سورة سبأ: الآية: (٤٧).
(١٠) صحيح: رواه البخاري (١١٢٠).
(١١) سورة القمر: الآيتان: (٥٤، ٥٥).

٦٦-٦٩ المسعِّرُ القابضُ الباسطُ الرازقُ: حديث أنس ﷺ مرفوعًا: «إن الله هو المُسعر القابضُ الباسطُ الرازق»[١].

٧٠- القاهرُ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[٢].

٧١- الديَّانُ: حديث عبد الله بن أنيس ﷺ مرفوعًا: «يَحشرُ الله العباد فيناديهم بصوتٍ يسمعُه من بَعُدَ كما يسمعُه من قَرُبَ، أنا الملكُ أنا الديانُ»[٣].

٧٢- الشاكر: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[٤].

٧٣- المنان: حديث أنس: «لا إله إلا أنت المنانُ»[٥].

٧٤- القادرُ: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[٦].

٧٥- الخلاَّقُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[٧].

٧٦- المالكُ: «لا مالك إلا الله عز وجل»[٨].

٧٧- الرزاقُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٩].

٧٨- الوكيلُ: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[١٠].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، وصححه الألباني في المشكاة (٢٨٩٤).
(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٨).
(٣) حسن لغيره: رواه أحمد، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٠٨).
(٤) سورة النساء: الآية: (١٤٧).
(٥) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٤٢).
(٦) سورة المرسلات: الآية: (٢٣).
(٧) سورة الحجر: الآية: (٨٦).
(٨) صحيح: رواه مسلم (٢١٤٣).
(٩) سورة الذاريات: الآية: (٥٨).
(١٠) سورة آل عمران: الآية: (١٧٣).

٧٩- الرقيبُ: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾(١).

٨٠- المُحسنُ: حديث: «إن الله محسن يحب الإحسان»(٢).

٨١- الحسيبُ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾(٣).

٨٢- الشافي: «اشف وأنت الشافي»(٤).

٨٣- الرفيقُ: «إن الله رفيقٌ يحبُ الرفق»(٥).

٨٤- المُعطي: «والله المُعطي وأنا القاسمُ»(٦).

٨٥- المُقيتُ: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾(٧).

٨٦- السيد: حديث مطرف بن عبد الله ﷺ عند أبي داود: «السيدُ الله تبارك وتعالى»(٨).

٨٧- الطيبُ: «إن الله طيبٌ لا يقبلُ إلا طيبًا»(٩).

٨٨- الحكمُ: حديث شُريح بن هانئ ﷺ مرفوعًا: «إن الله هُو الحكم وإليه الحُكمُ»(١٠).

٨٩- الأكرمُ: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾(١١).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٢).
(٢) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٢٤).
(٣) سورة النساء: الآية: (٨٦).
(٤) صحيح: رواه البخاري (٥٧٤٢).
(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢٥٩٣).
(٦) صحيح: رواه البخاري (٣١١٦).
(٧) سورة النساء: الآية: (٨٥).
(٨) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٠٠).
(٩) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥).
(١٠) صحيح: رواه أبو داود، و النسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٥).
(١١) سورة العلق: الآية: (٣).

٩٠- البَرُّ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾(١).

٩١- الغفارُ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾(٢).

٩٢- الرءوف: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

٩٣- الوهابُ: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾(٤).

٩٤- الجوادُ: حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا: «إن الله عز وجل جوادٌ يحبُ الجود»(٥).

٩٥- السُّبوحُ: حديث عائشة رضي الله عنها: «سُبوحٌ قدوسٌ رب الملائكة والروح»(٦).

٩٦- الوارثُ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾(٧).

٩٧- الرب: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾(٨).

٩٨- الأعلى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾(٩).

٩٩- الإلهُ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾(١٠).

هذه تسعة وتسعون اسمًا هي التي توافقت مع شروط الإحصاء بلا مزيد، ثمانية وسبعون اسمًا في القرآن وواحد وعشرون في السنة.

---

(١) سورة الطور: الآية: (٢٨).

(٢) سورة ص: الآية: (٦٦).

(٣) سورة النور: الآية: (٢٠).

(٤) سورة ص: الآية: (٩).

(٥) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٤٤).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٤٨٧).

(٧) سورة الحجر: الآية: (٢٣).

(٨) سورة يس: الآية: (٥٨).

(٩) سورة الأعلى: الآية: (١).

(١٠) سورة البقرة: الآية: (١٦٣).

ويجدر التنبيه على أن هذا العدد لا يعنى أن الأسماء الكلية لله عز وجل محصورة فى تسعة وتسعين اسمًا؛ فقد جاء فى حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا أن النبى ﷺ قال فى دعاء الكرب: **«أسألك بكل اسم هُو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك، أو علمتهُ أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك»** (١).

فهذا الحديث يدل على أن العدد الكلى لأسمائه الحسنى انفرد الله عز وجل بعلمه، وما استأثر به فى علم الغيب عنده لا يمكن لأحد حصره ولا الإحاطة به.

أما حديث أبى هريرة رضي الله عنه فى ذكر التسعة والتسعين فالمقصود به الأسماء التى تعرَّف الله بها إلى عباده فى الكتاب والسنة (٢).



(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٩).
(٢) المختصر فى التعرف على أسماء الله الحسنى / د. محمود عبد الرازق الرضوانى (ص: ٢٢-٢٦).

من معانى الأسماء الحسنى[1]

وسأذكر لكم نبذة مختصرة من معانى الأسماء الحسنى... عسى أن يُيسر الله (جل وعلا) أن أجمع لكم شرحًا كاملاً لأسماء الله الحسنى في مجلدٍ مُستقلٍ - إن شاء الله تعالى -:

* **الله:**

عَلَمٌ على ذات المعبود - عز وجل -، ومعناه: من له الألوهية بحق.

* **الرحمن:**

صيغة مبالغة من الرحمة... قيل هى للمؤمن والكافر فى الدنيا.

* **الرحيم:**

مشتق من الرحمة، وقيل: خاص بالمؤمنين ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2].

* **الملك:**

أى المتصرف فى ملكه كيف يشاء.

* **القدوس:**

هو المنزه عن العيوب والنقائص.

* **السلام:**

الأمان لخلقه، وقيل: المُسلِّم عباده من المهالك.

* **المؤمن:**

هو الذى صدق نفسه وصدق عباده المؤمنين.

---

(١) بتصرف من كتاب (المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى) للمصنف.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٤٣).

※ المهيمن:

هو المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور الذى أحاط بكل شىء علمًا.

※ العزيز:

هو القاهر الذى لا يُغلب ولا يُقهر.

قال السعدى: (العزيز) الذى له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة، وخضعت لعظمته.

※ الجبار:

هو الذى يَجبر الضعيف وكل قلب منكسر، فيجبر الكسير ويُغنى الفقير وييسر على المعسر... وهو القهار لكل شىء الذى خضع له الكون كله... وهو العلى على كل شىء.

※ المتكبر:

هو سبحانه المتكبر عن السوء والنقص والعيوب؛ لعظمته وكبريائه.

※ الخالق • البارئ • المصور • الخلاق:

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[2].

الذى خلق جميع الموجودات وبرأها، وسوَّاها بحكمته، وصوَّرها بحمده، وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم.

(١) سورة الحشر: الآية: (٢٤).

(٢) سورة الحجر: الآية: (٨٦).

فالخالق هو الفاطر المبدع لكل شيء والمقدر له والموجد للأشياء من العدم فهو خالق كل صانع وصنعته... والبارئ هو الذي خلق الخلق بقدرته لا عن مثال سابق. القادر على إبراز ما قدره إلى الوجود.. والمصور هو الذي صوّر جميع الموجودات ورتّبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها».

* **الغفور • الغفار:**

قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[(٢)].

وأصل الغفر: التغطية والستر.. غفر الله ذنوبه أي: ستره.

قال الغزالي: الغفار هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح التي سترها بإرسال الستر عليها في الدنيا والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة.

وقيل: إن (الغفار، والغفور) صيغتي مبالغة لصفة المغفرة لله عز وجل، أي: كثير المغفرة في العدد والتكرار وأما (الغفار) أي: يغفر مغفرة عظيمة في قدرها وأثرها فالغفور يناسب كثرة خطايا الخلق وتكرارها و(الغفار) يناسب عظيم الجرم وكبير الآثام.

* **القهار:**

هو الذي قهر جميع الكائنات وذلّت له جميع المخلوقات: ودانت

(١) سورة الحجر: الآية: (٤٩).
(٢) سورة نوح: الآية: (١٠).

لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوى والسُّفلى، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، ولا خيرًا ولا شرًا.

* الوهّاب:

«الوهاب»: الذى كل موهوب وصل إلى خلقه فمن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة.

وهو المتفضل بالعطايا المنعم بها دون أن يستحق العباد.

* الرزاق • الرازق:

هو الذى يرزق عباده جميعًا.

وقد يعتقد بعض الناس أن الرزق هو المال فحسب.. بل إن الرزق أشمل من ذلك: فنعمة التوحيد هى أعظم أنواع الرزق.. والقناعة رزق... والأخلاق الحسنة رزق... والعلم رزق... والزوجة الصالحة والأولاد رزق... واتباع النبى ﷺ رزق... والصحة رزق... وراحة القلب رزق... والجنة من أعظم أنواع الرزق... ولكن أعظم أنواع الرزق على الإطلاق الفوز برضوان الله والنظر إلى وجهه الكريم (سبحانه وتعالى).

* الفتاح:

هو الذى يفتح مغلق الأمور ويُسهل العسير وبيده مفاتيح السموات والأرض.

هو الذى يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده.

*** اللطيف • الخبير:**

قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[(١)].

(اللطيف) الذى أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن، والأمور الدقيقة... اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه، من طرق لا يشعرون بها، فهو بمعنى «الخبير» وبمعنى «الرءوف».

والخبير: هو الذى لا تَعْزُب عنه الأخبار الباطنة؛ ولا يجرى فى الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا يضطرب نفس ولا يطمئن إلا ويكون عنده خبره.

*** المُسعّر • القابض • الباسط:**

عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: (قال الناس: يا رسول الله غلا السعر فسعِّر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله هو المُسعِّر القابض الباسط الرازق، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة فى دم ولا مال**»[(٢)].

والمُسعِّر سبحانه هو الذى يزيد الشيء ويرفع من قيمته أو تأثيره ومكانته، فيقبض ويبسط وفق مشيئته وحكمته.

والمسعر سبحانه هو الذى يسعر بعدله العذاب على أعدائه:

القابض، الباسط: الأدب فى هذين الاسمين أن يُذكرا معًا؛ لأن تمام القدرة بذكرهما معًا:

---

(١) سورة الملك: الآية: (١٤).

(٢) رواه الترمذى وصححه الألبانى فى غاية المرام (٣٢٣).

الباسط: هو الذى يبسط الرزق لعباده، ويوسّعه عليهم بجوده ورحمته، ويبسط الأرواح فى الأجساد عند الحياة سبحانه وتعالى.

القابض: هو الذى يُمسك الرزق وغيرَه من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته، ويقبض الأرواح عند الممات سبحانه وتعالى.

* المولى • النصير:

والمولى سبحانه هو من يركن إليه الموحدون ويعتمد عليه المؤمنون فى الشدة والرخاء والسراء والضراء ولذلك خص الولاية هنا بالمؤمنين، . . . قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾(١).

ولايته للموحدين مشروطة بالاستجابة لأمره، والعمل فى طاعته وقربه، والسعى إلى مرضاته وحبه.

والله عز وجل هو النصير الذى ينصر عباده المؤمنين ويعينهم.

كما قال عز وجل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٢).

فهو ينصر من ينصره ويعينه، ويسدده. أما نصرة العبد لله فهى: أن ينصر عباد الله المؤمنين والقيام بحقوق الله عز وجل، ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، والابتعاد عما حرم الله عليه فهذا من نصرة العبد لربه، كما قال عز وجل: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾(٣).

ومن نصر الله بطاعته، والابتعاد عن معصيته، نصره الله نصراً مؤزراً.

---

(١) سورة محمد: الآية: (١١).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٦٠).

(٣) سورة محمد: الآية: (٧).

* **السميع • البصير:**

فهو الذى يسمع السر والنجوى. . . سواء عنده الجهر والخفوت والنطق والسكوت. . . . قال الغزالى - رحمه الله -: هو الذى لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفى، ويدرك دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء فى الليلة الظلماء. . يسمع حمد الحامدين فيجازيهم، ودعاء الداعين فيستجيب لهم.

والبصير: هو الذى أحاط بصره بجميع المُبْصرات فى أقطار الأرض والسموات، حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء فى الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة وسريان القوت فى أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه فى أغصان الأشجار وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها.

* **الحَكَم:**

(الحكم العدل) الذى يحكم بين عباده فى الدنيا والآخرة، بعدله وقسطه. فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يُحمِّل أحدًا وزر أحد ولا يجازى العبد أكثر من ذنبه، ويؤدى الحقوق إلى أهلها. فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه.

* **الشاكر • الشكور • الحليم:**

قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾(٢).

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٧).

(٢) سورة التغابن: الآية: (١٧).

فهو الذى يجازى بيسير الطاعات، كثير الدرجات، ويقبل اليسير من صالح العمل، فيضاعفه أضعافًا كثيرة ويثيب عليه الثواب الجلل، وكل هذا لأهل التوحيد.

قال السعدى: هو الذى يشكر القليل من العمل ويغفر الكثير من الزلل، ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب.

فأنت إذا تقربت إلى الله بعملٍ يسير، فإنه يعطيك الأجر الكبير.

(الحليم) فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب، بل يعافيهم ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم إنه هو التواب العظيم.

* الرفيق:

الرفيق أى: اللَيِّن المُسهِّل على عباده. فالله عز وجل يغيث عباده فى الشدائد والمشقات، فهو يغيث جميع المخلوقات عندما تتعسر أمورها، وتقع فى الشدائد والكربات: يُطعم جائعهم ويكسو عاريهم، ويُخلِّص مكروبهم، وينزل الغيث فى وقت الضرورة والحاجة، وكذلك يجيب إغاثة اللهفان أى: دعاء من دعاه فى حالة اللهف والشدة والاضطرار، فمن استغاثه أغاثه.

ويأتى الرفق بمعنى التأنّى وعدم العجلة.

* القريب • المجيب:

قال تعالى: ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب ﴾ (٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٨٦).

(٢) سورة هود: الآية: (٦١).

* وقُربه نوعان:

١- قربٌ عام: وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وهو بمعنى المعية العامة.

٢- وقربٌ خاص: بالداعين والعابدين المحبين، وهو قرب يقتضى المحبة، والنصرة، والتأييد فى الحركات والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول والإثابة للعابدين.

والمجيب: هو الذى يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه.

* العلى • العظيم:

العلى: الذى له صفة علو الشأن، وعلو القهر، وعلو الذات.

والعظيم: الذى جاوز قدره عز وجل عن حدود العقول.. فهو عظيم الشأن والسلطان.

* الحيىُّ • السِّتِّير:

قال ﷺ: «إن الله تعالى حَيِىٌّ سِتِّير يحب الحياء والستر»(١).

فالله (عز وجل) يتحبب إلى عباده بالنعم، وهم يتبغضون إليه بالمعاصى، ومع ذلك إذا تاب أحدهم ورفع يديه بالتوبة إلى الله فإن الله (جل وعلا) يستحى أن يرد دعاءه وتوبته.

ولقد «كان ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها»(٢).

وأما السِّتِّير: فهو الذى يستر على عباده سترًا عظيمًا فلا يفضحهم فى الدنيا والآخرة.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والنسائى وأحمد، وصححه الألبانى فى الإرواء (٢٣٣٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

* **الكبير • المتعال :**

(الكبير) الذي كل شيء دونه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾(١).

والمُتعال اسم يدل على أن جميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه، فله علو الذات، فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى، أي: علا وارتفع. وله علو القدر، وهو علو صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوقه، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته.

* **المقيت:**

هو المتكفل بإيصال أقوات الخلق إليهم، وهو الحفيظ والمقتدر والقدير والمُمد.

* **الحفيظ :**

هو الحافظ الذي يحفظ السموات والأرض وما فيهما فلا تزول ولا تندثر إلا بأمره، وهو الذي يحفظ عبده من المهالك والمعاطب، ومصارع السوء... كما في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾(٢).

وهو الذي يحفظ على عباده أعمالهم وأقوالهم، ويعلم نياتهم، وما تُكِنُّ صدورهم، ولا يغيب عنه غائبة، ولا تخفى عليه خافية.

وهو الذي يحفظ أولياءه من المعاصي والذنوب ومن الشُّبَه والفتن

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٧).
(٢) سورة الرعد: الآية: (١١).

والشهوات، فيعافيهم منها، ويُخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية. . وعلى قدر إيمان العبد تكون مدافعة الله عنه كما قال ﷺ : «احفظ الله يحفظك»(١).

* الحسيب:

والحسيب هو الكافى للعباد جميع ما أهمَّهم من أمر دينهم ودنياهم من حصول المنافع ودفع المضار.

والحسيب: بالمعنى الأخص هو الكافى لعبده المتقى المتوكل عليه كفاية خاصة، يُصلح بها دينه ودنياه.

والحسيب أيضًا هو الذى يحفظ أعمال عباده من خير وشر ويحاسبهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

* الجميل:

قال ﷺ : «إن الله جميل يحب الجمال»(٢).

فهو سبحانه الذى له مطلق الجمال فى الذات والصفات والأسماء والأفعال، فلا يستطيع مخلوق أن يُعبر عن بعض جمال ذاته حتى إن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم واللذات والسرور والأفراح التى لا يُقدر قدرها إذا رأوا ربهم وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودوا أن لو تدوم هذه الحال، واكتسبوا من جماله ونوره جمالاً إلى جمالهم، وكانت قلوبهم فى شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد

(١) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى المشكاة (٥٣٠٢).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٩١).

فرحًا تكاد تطير له القلوب.

وكذلك هو الجميل في أسمائه فإنها كلها حُسنى بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها أوصافه، فإن أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد وكذلك أفعاله كلها جميلة.

* **الرقيب:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[(١)].

قال ابن جرير: رقيبًا: أي: حفيظًا مُحصيًا عليكم أعمالكم متفقدًا رعايتكم حُرمة أرحامكم وصلتكم إياها حفيظًا لا يعزب عن علمه شيء.

* **الكريم • الأكرم:**

قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾[(٣)].

قال الغزالي: هو الذي إذا وعد وفَّى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى.

ومن كرمه أن يقابل الإساءة بالإحسان، والذنب بالغفران، ويقبل التوبة، ويعفو عن التقصير.

وهو الذي يعطي، ولا يقبل العوض، وهو الذي لا يحتاج إلى وسيلة، وهو الكريم الذي يستبشر بقبول عطائه، وهو الذي يعطي ويُثني، وهو الذي يعطي قبل السؤال.

(١) سورة النساء: الآية: (١).
(٢) سورة النمل: الآية: (٤٠).
(٣) سورة العلق: الآية: (٣).

أما (الأكرم).. قال الخطابي: أكرم الأكرمين الذى لا يوازيه كريم.

* **الواسع • العليم:**

الواسع: الذى وسعت رحمته كل شيء، ووسع علمه كل شيء.

والعليم: هو الذى أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوى والسُّفلي وبالماضي والحاضر والمستقبل؛ فلا يخفي عليه شيء من الأشياء.

فهو (جل وعلا) الذى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

* **التواب • الحكيم:**

هو الذى يوفق عباده للتوبة حتى يتوب عليهم، ويقبل توبتهم، فيقابل الدعاء بالعطاء، والتوبة بغفران الذنوب.

و(الحكيم) هو الذى له الحكمة العليا فى خلقه، وأمره، الذى أحسن كل شيء خلقه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].

فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع شيئًا سُدىً، الذى له الحكم فى الأولى والآخرة.

* **الودود:**

هو الذى يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم، ويحبونه فهو أحب إليهم من كل شيء قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء

(١) سورة المائدة: الآية: (٥٠).

عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه وداً وإخلاصاً، وإنابة من جميع الوجوه.

* **المنّان:**

فالله عز وجل هو الذى مَنَّ على عباده: بالخلق والرزق، والصحة فى الأبدان، والأمن فى الأوطان، وأسبغ عليهم النعم الظاهرة والباطنة، ومن أعظم المنن وأكملها وأنفعها - بل أصل النعم - الهداية للإسلام ومنته بالإيمان، وهذا أفضل من كل شيء.

* **المجيد :**

(المجيد الكبير العظيم الجليل) وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة والجلال، الذى هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجلّ وأعلى.

وله التعظيم والإجلال فى قلوب أوليائه وأصفيائه. قد مُلئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه.

* **الشهيد :**

أى: المطلع على جميع الأشياء.

سمع جميع الأصوات، خفيّها وجليّها. وأبصر جميع الموجودات، دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها.

وأحاط علمه بكل شيء، الذى شهد لعباده، وعلى عباده بما عملوه.

* **الحق • المبين:**

الحق: أى المتحقق وجوده وإلهيته، والحق ضد الباطل.

وأما المبين: فالله عز وجل هو المبين لعباده سبيل الرشاد، والموضح لهم الأعمال التى يستحقون الثواب على فعلها والأعمال التى يستحقون العقاب عليها، وبيّن لهم ما يأتون، وما يذرون.

وهو سبحانه الذى بيّن لعباده طُرق الهداية وحذَّرهم من أن يسلكوا طرق الضلال، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل الكتب ليبين لهم.

والله عز وجل يبين للناس الأحكام الشرعية، ويوضحها ويبين الحكم القدرية، وهو عليم بما يصلح عباده، حكيم فى شرعه وقدره، فله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

* الوكيل:

الوكيل: الذى ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه... ومن يتوكل على الله فهو حسبُه، فنعم المولى ونعم النصير.

* القوى • المتين:

القوى: هو الذى لا يغلبه غالبٌ ولا يرد قضاءه رادٌّ. ينفذ أمره ويُمضى قضاءه. ومن قوته أنه إذا بطش بشيء أهلكه.

ومن معانى قوته أنه ينصر رسله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[1].

والعبد لا يستطيع أن يجتنب الذنوب والمعاصى إلا بحول الله وقوته، ولذلك أخبرنا النبى ﷺ أن كلمة: «لا حول ولا قوة إلا بالله كنزٌ من كنوز الجنة»[2].

---

(١) سورة غافر: الآية: (٥١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٨٤)، ومسلم (٤ - ٢٧).

المتين: الشديد الـذى لا يلحقه في أفـعاله مـشقـة ولا كلفة ولا تعب.

* الولى • الحميد :

فهو سبحانـه الولى الذى تولى أمور العالم والخلائق، وهو مالك التدبير، وهو الولى الذى صرف لخلقه مـا ينفعهم فى دينهم ودنياهم وأخراهم.

- وأما الحميد: فهو المحمود بكل لسان على كل حال.. المستحق للثناء.

* الحى • القيوم :

الحى: صاحب الحياة الدائمة.

القيوم: القائم بنفسه والمقيم لغيره.

* الواحد • الأحد :

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٢).

قـال الحكمى: (الواحـد الأحـد) الذى لا شريك لـه فى إلهيتـه وربوبيتـه وأسمـائه وصفـاته وملكوته وجـبروته وعظمـته وكبـريائه وجلاله، لا ضد له ولا ند ولا شبيه له ولا كفؤ ولا عديل.

* الصمد :

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الرعد: الآية: (١٦).
(٢) سورة الإخلاص: الآية: (١).
(٣) سورة الإخلاص: الآيتان: (١ - ٢).

قال الحكمي: (الصمد) الذي يصمد إليه جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم فهو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب، فإليه منتهى الطلبات، ومنه يُسأل قضاء الحاجات، وهو الذي لا تعتريه الآفات، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* **السيد:**

قال ﷺ: «**السيد الله تبارك وتعالى**»(١).

قال الخطابي: معناه أن حقيقة السؤدد لله رب العالمين وكل الخلق عبيد لله السيد. وقيل معناه: المحتاج إليه كل الخلائق.

* **العفو • القدير:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾(٢).

فهو الذي يترك المؤاخذة على الذنوب ولا يُذكرك بالعيوب فهو يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي.

قال السعدي: (القدير) كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبَّرها، وبقدرته سوَّاها وأحكمها.

وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها على ما يشاء ويريد.

* **القادر:**

(القادر المقتدر) الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٠٠).

(٢) سورة الحج: الآية: (٦٠).

فيكون، وما كان الله ليُعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، إنه على كل شيء قدير.

فقدرة الله في الخلق لا تحدُّها حدود.

※ **المقدم • المؤخر:**

وهذان الاسمان من الأدب أن يُذكرا معًا، فالله هو الذي يقدم ما ينبغي تقديمه من شيء حكمًا وفعلاً على ما أحب وكيف أحب وما قدمه فهو المُقدَّم، وما أخره فهو المؤخَّر.

المؤخر: هو الذي يؤخر ما ينبغي تأخيره، والحكمة والصلاح فيما يفعله الله سبحانه وتعالى وإن خَفِيَ علينا وجه الحكمة والصلاح فيه.

※ **الأول • الآخر • الظاهر • الباطن:**

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[١]. هذه الأسماء الأربعة المباركة قد فسرها النبي ﷺ تفسيرًا جامعًا واضحًا فقال يخاطب ربه: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[٢].

وقال الطحاوي: قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء.

※ **الوتر:**

قال ﷺ: «**وإن الله وتر يحب الوتر**»[٣].

(١) سورة الحديد: الآية: (٣).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٧).

والله تعالى وتر انفرد عن خلقه فجعلهم شفعًا، وقد خلق الله المخلوقات بحيث لا تعتدل ولا تستقر إلا بالزوجية ولا تهنأ على الفردية والأحدية... يقول الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، فالرجل لا يهنأ إلا بزوجته ولا يشعر بالسعادة إلا مع أسرته، ولا يمكن أن تستمر الحياة التي قدرها الله على خلقه بغير الزوجية حتى في تكوين أدق المواد الطبيعية.

أما ربنا عز وجل فذاته صمدية وصفاته فردية، فهو المنفرد بالأحدية والوترية.

وقد قيل أيضًا في معنى الشفع والوتر أن الشفع تنوع أوصاف العباد بين عِزٍّ وذل وعجز وقدرة، وضعف وقوة، وعلم وجهل، وموت وحياة، والوتر انفراد صفات الله عز وجل فهو العزيز بلا ذل، والقدير بلا عجز، والقوى بلا ضعف، والعليم بلا جهل وهو الحى الذى لا يموت، والقيوم الذى لا ينام، ومن أساسيات التوحيد والوترية إفراد الله عمّن سواه في ذاته وصفاته وأفعاله وعبوديته[2].

* الغنى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[3].

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٤٩).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/٤١)، الأسماء والصفات للبيهقي ص٣٠ - نقلاً عن (أسماء الله الحسنى) د. محمود عبد الرازق الرضواني.

(٣) سورة فاطر: الآية: (١٥).

* قال الحكمي: (الغني) فلا يحتاج إلى شيء ولا تزيد في ملكه طاعة الطائعين ولا تنقصه معصية العاصين من العباد، وكل خلقه مفتقرون إليه لا غنى بهم عن بابه طرفة عين.

وقال السعدي: (الغني) فهو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته. فلا يتطرق إليها نقصٌ بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنيًا لأن غناه من لوازم ذاته.

* القريب • المجيب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[1].

والقريب سبحانه هو الذي يقرب من خلقه كما شاء وكيف شاء، وهو القريب من فوق عرشه، أقرب إلى عباده من حبل الوريد.

والمُجيب سبحانه هو الذي يُقابل السؤال والدُّعاء بالقبول والعطاء، وهو المجيب الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويغيث الملهوف إذا ناداه، ويكشف السوء عن أوليائه ويرفع البلاء عن أحبائه، وكل الخلائق مفتقرة إليه، ولا قوام لحياتها إلا عليه، لا ملجأ لها منه إلا إليه[2].

* المليك • المقتدر:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[3].

---

(١) سورة هود: الآية: (٦١).

(٢) أسماء الله الحسنى / د. محمود الرضواني (ص٤٧٧، ٤٨٢).

(٣) سورة القمر: الآية: (٥٥).

والمليك هو المالك العظيم المُلك، ويكون بمعنى الملك[١]، وهو اسم يدل على العلو المطلق للملك في مُلكه وملكيته، فله علو الشأن والقهر في وصف الملكية، وله علو الشأن والفوقية في وصف الملك والاستواء على العرش.

والمقتدر سبحانه هو الذي يُقدِّر الأشياء بعلمه وينفذها بقدرته.

* الرءوف:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

(الرءوف) بالمؤمنين، ومن رأفته بهم أن نزّل على عبده آيات مبينات، ليُخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه، ولم ينزع عنهم التوبة.

* الشافي:

إن الله (جل وعلا) هو الشافي من جميع الأمراض الروحية والبدنية.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يُعوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى، ويقولُ: «**اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا**»[٣].

والشافي سبحانه هو الذي يرفع البأس والعلل، ويشفي العليل بالأسباب والأمل... فقد يبرأ الداء مع انعدام الدواء، وقد يشفي

(١) زاد المسير (٨/ ١٠٤).
(٢) سورة النور: الآية: (٢٠).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٧٥)، ومسلم (٢١٩١).

الداء بلزوم الدواء، ويرتب عليه أسباب الشفاء، وكلاهما باعتبار قدرة الله سواء، فهو الشافي الذي خلق أسباب الشفاء.

* **الوارث:**

قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾[1].

(الوارث) الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وإليه المرجع والمآل فبإيجاده كل موجود وجد وإليه كل الأمور تصير.

* **البَر:**

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[2].

البَر هو العطوف على عباده ببره ولُطفه.

* **القاهر:**

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[3].

أي هو الذي قهر كل شيء، وخضع لجلاله كل شيء، وذَلَّ لعظمته وكبريائه كل شيء، وعلا على عرشه فوق كل شيء.

* **الديَّان:**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَحشُرُ اللهُ العباد فيناديهم بصوت يسمعُهُ مَن بَعُدَ كما يسمعُهُ من قَرُبَ، أنا الملكُ أنا الديانُ»[4].

(١) سورة الحجر: الآية: (٢٣).
(٢) سورة الطور: الآية: (٢٨).
(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٨).
(٤) البخاري معلقًا في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (٦/ ٢٧١٩)، وقد وصله ابن حجر في تغليق التعليق (٥/ ٣٥٥)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (١/ ٢٢٥).

والديَّان سبحانه هو الذى دانت له الخليقة، وعنت له الوجوه وذلَّت لعظمته الجبابرة وخضع لعزته كل عزيز، . . . ملكٌ قاهرٌ على عرش السماء مهيمن، لعزته تعنو الوجوه وتسجد، يرضى على من يستحق الرضا ويثيبه ويكرمه ويدنيه، ويغضب على من يستحق الغضب ويعاقبه ويُهينه ويُقصيه، فيعذب من يشاء ويرحم من يشاء، ويعطى من يشاء ويمنع من يشاء، ويقرب من يشاء ويقصى من يشاء، له دار البقاء دار عذاب أليمة وهى النار، ودار سعادة دار عظيمة وهى الجنة، فهو الديان الذى يدين العباد أجمعين ويفصل بينهم يوم الدين[١].

* المَحسن:

قال ﷺ: «إن الله محسن يحب الإحسان»[٢].

والمحسن سبحانه هو الذى له كمال الحسن فى أسمائه وصفاته وأفعاله، . . . كما قال تعالى فى كتابه: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[٣]، فلا شيء أكمل ولا أجمل من الله، فكل كمال وجمال فى المخلوق من آثار صنعته، وهو الذى لا يُحَدُّ كماله ولا يوصف جلاله، ولا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه[٤].

---

(١) الصلاة وحكم تاركها (ص٢٠٤).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى، وعبد الرزاق، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٢٤).

(٣) سورة طه: الآية: (٨).

(٤) أسماء الله الحسنى (ص٦١٥).

* **الطيب:**

قال ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا»[١].

والله سبحانه طيب له الكمال في ذاته وأسمائه وصفاته.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣]، وهو أيضًا طيب في أفعاله يفعل الأكمل والأحسن، فهو الذي أتقن كل شيء، وأحسن كل شيء[٤].

* **المعطي:**

قال ﷺ: «والله المعطي وأنا القاسم»[٥].

والمعطي سبحانه هو الذي أعطى كل شيء خلقه وتولى أمره ورزقه في الدنيا والآخرة.

كما قال تعالى عن موسى عليه السلام وهو يصف عطاء الربوبية:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٦]، وقال تعالى عن عطاء الآخرة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[٧]، وعطاء الله قد يكون عامًا أو خاصًا، فالعطاء العام يكون للخلائق أجمعين، والعطاء الخاص يكون للأنبياء والمرسلين وصالح المؤمنين[٨].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥).
(٢) سورة طه: الآية: (٨).
(٣) سورة الشورى: الآية: (١١).
(٤) أسماء الله الحسنى (ص٦٤٧).
(٥) صحيح: رواه البخاري (٣١١٦).
(٦) سورة طه: الآية: (٥٠).
(٧) سورة هود: الآية: (١٠٨).
(٨) أسماء الله الحسنى (ص٦٣٥).

* الجواد:

قال ﷺ: «إن الله عز وجل جوادٌ يحب الجود»(١).

والجواد سبحانه هو الكامل فى ذاته وأسمائه وصفاته، الذى ينفق على خلقه بكثرة جوده وكـرمه وفضله ومدده، فلا تنفد خزائنه ولا ينقطع سخاؤه ولا يمتنع عطاؤه، ... روى البخارى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يد الله ملأى لا يغيضُـها نفقة سحَّاء الليل والنهار، أرأيتُم ما أنفق مُنذ خلق السموات والأرض فإنهُ لم يغض ما فى يده»(٢)، وهو سبحانه من فوق عرشه عليم بموضع جُوده فى خلقه، فلا يعطى إلا بمقتضى عدله وحكمته، وما يحقق مصلحة الشيء وغايته، ولذلك جاء عقب ذكر جوده ونفقته: «وعرشُهُ على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفضُ ويرفعُ»(٣).

* السُّبوح:

عن عـائشة رضي الله عنها أن رسـول الله ﷺ كـان يقـولُ فى ركوعـه وسُجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ربُّ الملائكة الروح»(٤).

والسُّبوح سـبحانه هو الذى سبَّح بحـمده المُسبحـون قال تعالى: ﴿إنَّ الَّذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾(٥)،

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٤٤).
(٢) البخارى فى كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدى﴾ (٦/ ٢٦٩٧) (٦٩٧٦)، معنى: «لا يغيضها» أى لا ينقصها نفقة، ومعنى «سحاء» أى كثرة السح والعطاء وهو إنزال الخير المتواصل، انظر فتح البارى (١٣/ ٣٩٥).
(٣) تكملة الحديث السابق عند البخارى.
(٤) صحيح: رواه مسلم (٤٨٧).
(٥) سورة الأعراف، الآية: (٢٠٦).

وقال: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾[(١)].

وقال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[(٢)].

* **الرب:**

قال تعالى: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[(٣)].

والرب سبحانه هو المتكفل بخلق الموجودات وإنشائها والقائم على هدايتها وإصلاحها وهو الذى نظم معيشتها ودبّر أمرها.

وحقيقة معنى الربوبية فى القرآن تقوم على ركنين اثنين وردا فى آيات كثيرة أحدهما: إفراد الله بالخلق، والثانى: إفراده بالأمر وتدبير ما خلق.

* **الأعلى:**

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[(٤)].

واسم الله الأعلى دلّ على علو الشأن وهو أحد معانى العلو، فالله عز وجل تعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته، وتعالى فى أحديته عن الشريك والظهير والولى والنصير، وتعالى فى عظمته أن يشفع أحد عنده دون إذنه، وتعالى فى صمديته عن الصاحبة والولد وأن يكون له كفواً أحد، وتعالى فى كمال حياته وقيوميته عن السِّنة والنوم، وتعالى فى قدرته وحكمته عن العبث

(١) سورة يونس: الآية: (١٠).
(٢) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).
(٣) سورة يس: الآية: (٥٨).
(٤) سورة الأعلى: الآية: (١).

والظلم، . . . تعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل[١].

* **الإله:**

قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

والإله سبحانه هو المعبود بحق، المستحق للعبادة وحده دون غيره، وقد قامت.

واسم الإله يختلف في معناه عن اسم الرب في كثير من النواحي، فالرب معناه يعود إلى الانفراد بالخلق والتدبير، أما الإله فهو المستحق للعبادة المألوه الذي تُعظمه القلوب وتخضع له وتعبده عن محبة وتعظيم وطاعة وتسليم، ولذلك كان التوحيد الذي أمر الله عز وجل به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية[٣].



---

(١) أسماء الله الحسنى (ص٦٩٧).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٦٣).

(٣) أسماء الله الحسنى (ص٧٠٠-٧٠١) بتصرف.

ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات

إن معرفة العبد بأسماء الله وصفاته ومعرفته بمعانيها وإيمانه بأنها صفات حقيقية تليق بجلال الله وعظمته وأنها لا تماثل صفات المخلوقين يكسبه سعادة الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بها أو أولها وصرفها عن معناها الحقيقي حُرِم السعادة، فإيمان العبد بأسماء الله وصفاته له ثمرات وفوائد كثيرة، من أهمها ما يلي:

١ - أعظم ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات: تنزيه الله تعالى عن النقائص والعيوب، ووصفه بصفات الكمال اللائقة بجلاله، ونفي مماثلتها لصفات المخلوق الضعيف، وإثبات الأسماء الحسنى له جل وعلا.

٢ - أن من آمن بأن من أسماء الله تعالى «العفو» و «الغفور» و«الرحيم»، وأن من صفاته «المغفرة للمذنبين» و «الرحمة» و «العفو» دعاه ذلك إلى عدم اليأس من روح الله، وإلى عدم القنوط من رحمته، بل ينشرح صدره لما يرجو من رحمة ربه ومغفرته.

٣ - أن من عرف أن من صفات الله تعالى أنه «شديد العقاب»، و«الغيرة إذا انتهكت محارمه»، و«الغضب»، وأنه «ذو انتقام ممن عصاه» حمله ذلك على الخوف من الله تعالى والبعد عن معصيته.

٤ - أن المؤمن إذا أيقن أن من أسماء الله تعالى: «القوي»، و«القادر»، و«العزيز»، وأنه تعالى «يتولى المؤمنين بالحفظ والنصر» أكسبه ذلك عظمة التوكل على الله والوثوق بنصره، وعدم الهلع من

أعدائه، فيعيش قرير العين، واثقًا بحفظ الله وتأييده ونصره.

٥- أن من استقر في قلبه أن من أسماء الله تعالى «البصير» وأنه تعالى يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، وكذلك إذا علم أن من أسماء الله تعالى «الرقيب»، و«العليم»، وأنه تعالى يعلم نيات العباد وخلجات نفوسهم، حمله ذلك على البعد عن معصية الله، وألا يراه الله حيث نهاه، وعلى مراقبته سبحانه في كل ما يأتي وما يذر.

٦- أن من آمن بصفات الله واستعاذ بها أعاذه الله مما يخاف منه.

٧- أن من علم أسماء الله وصفاته وتوسل إلى الله تعالى بها استجاب الله دعاءه، فحصل له ما يرجوه من مرغوب، واندفع عنه ما يخافه من مرهوب.

وهذا كله قطرة في بحر من ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات[1].



(١) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية (ص٤٦-٤٧).

ثانيًا: الإيمان بالملائكة[1]

س: من هم الملائكة؟

ج: الملائكة عالم غير عالم الإنس وعالم الجن، وهو عالم كريم، كله طُهر وصفاء ونقاء، وهم كرام أتقياء، يعبدون الله حق العبادة، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به، ولا يعصون الله أبدًا.

والإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، لا يصح إيمان عبد ما لم يؤمن بهم... قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[2].



س: متى خلقت الملائكة؟

ج: من المعلوم أن الملائكة خُلقوا قبل آدم (عليه السلام) بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

---

(١) بتصرف من كتاب (عالم الملائكة الأبرار) د. عمر الأشقر (حفظه الله)، كتاب (ملائكة الرحمن) للمصنف.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٨٥).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٣٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[1].

والمراد بالخليفة هو آدم (عليه السلام).

- لكن مع كل هذا فنحن لا ندرى متى خلق الله الملائكة... وكما سبق أن قلنا: نحن لسنا بحاجة إلى معرفة مثل هذه التفاصيل.

❊ ❊ ❊

س: من أى شيء خُلقت الملائكة؟

ج: إن المادة التى خُلق منها الملائكة هى النور.

ففى صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: أن رسول الله ﷺ قال: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم**»[2].

- وإذا كان النبى ﷺ لم يحدد نوعية النور الذى خُلق منه الملائكة فلا داعى لأن نتعنت فى محاولة الوصول إلى معرفة نوعية هذا النور لأن هذا من الغيب الذى أمرنا الله أن نؤمن به دون أن نتكلف معرفة تفاصيله.

❊ ❊ ❊

س: هل هناك أحاديث توضح لنا مدى عظم خلق حملة العرش من الملائكة؟

ج: نعم.. وردت أحاديث صحيحة فى هذا الشأن وسأكتفى بذكر حديثين اثنين فقط.

(١) سورة الحجر: الآيتان: (٢٨-٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٦).

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام، يقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت»[(١)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدّث عن ملك من ملائكة الله، من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[(٢)].



س: ماذا تعرف عن عظم خلق جبريل (عليه السلام)؟

ج: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الملائكية التي خلقه الله عليها مرتين، هما المذكورتان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾[(٣)] وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾[(٤)] عندما عُرج به إلى السموات العُلا.

وقد ورد في صحيح مسلم: أن عائشة رضي الله عنها سألت الرسول ﷺ عن هاتين الآيتين فقال ﷺ : «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين» رأيته منهبطًا من السماء، سادًا عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض)[(٥)].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٨٥٣).
(٢) رواه أبو داود والضياء وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٨٥٤).
(٣) سورة التكوير: الآية: (٢٣).
(٤) سورة النجم: الآيات: (١٣-١٥).
(٥) صحيح: رواه مسلم (١٧٧).

وسُئلت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾(١) فقالت: «إنما ذلك جبريل عليه السلام، كان يأتيه في صورة الرجال، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته، التي هي صورته، فسدَّ أفق السماء»(٢).

وورد في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «رأى محمد ﷺ جبريل له ستمائة جناح»(٣).

* * *

س: هل للملائكة أجنحة؟

ج: إن للملائكة أجنحة كما أخبر بذلك الحق (جل وعلا).. فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك... فقد قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤).

* وقد ثبت أن النبي ﷺ رأى جبريل (عليه السلام) وله ستمائة جناح.

* * *

س: ماذا تعرف عن جمال خلق الملائكة؟

ج: لقد خلق الله الملائكة على صور جميلة كريمة كما قال تعالى في جبريل: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾(٥).

---

(١) سورة النجم: الآية: (٨).
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٧).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).
(٤) سورة فاطر: الآية: (١).
(٥) سورة النجم: الآيتان: (٥-٦).

قال ابن عباس: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: ذو منظر حسن، وقال قتاده: ذو خَلْق طويل حسن. وقيل: ذو مرة: ذو قوة. ولا منافاة بين القولين، فهو قوى وحسن المنظر.

وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقُبح، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالمَلَك... انظر إلى ما قالته النسوة فى يوسف الصدّيق عندما رأينه: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(١).



س: هل توصف الملائكة بالذكورة والأنوثة؟

ج: لا توصف الملائكة بالذكورة أو الأنوثة، كما هو الحال عند الجن والإنس، وقد أكذب الله مشركى العرب الذين جعلوا الملائكة إناثًا وزعموا أنهم بنات الله، مع أن الواحد منهم كان يستنكف إذا رُزق بأنثى ويظل وجهه مسودًا وهو كظيم كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾(٣).



---

(١) سورة يوسف: الآية: (٣١).
(٢) سورة الزخرف: الآية: (١٩).
(٣) سورة الصافات: الآيتان: (١٤٩-١٥٠).

س: هل هناك شبه بين الملائكة والبشر فى الشكل والصورة؟

ج: ليس هناك شبه بين الملائكة والبشر فى الشكل والصورة لكن ورد فى الحديث أن جبريل (عليه السلام) كان إذا جاء إلى النبى ﷺ فى صورة بشرية فإنه كان يتمثل فى صورة رجل اسمه (دحية الكلبى).



س: اذكر لنا بعض المواقف التى تشكلت فيها الملائكة فى صورة بشر؟

ج: هناك مواقف كثيرة تشكلت فيها الملائكة فى صورة بشرية وسأكتفى بذكر بعضها.

* فنحن نعلم أن الملائكة جاءت إلى خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) فى صورة بشر ولم يعرف أنهم ملائكة حتى أخبروه..

قال تعالى: ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ (٦٩) فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾[1].

* وجاءوا أيضًا إلى لوط (عليه السلام) فى صورة شبان حسان الوجوه فخشى عليهم من قومه وضاق بهم ذرعًا لأن قومه كانوا قوم سوء يفعلون الفواحش ويأتون الذكران من العالمين... ولذا قال تعالى: ﴿ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب﴾[2].

(١) سورة هود: الآيتان: (٦٩-٧٠).
(٢) سورة هود: الآية: (٧٧).

يقول ابن كثير: «تبدَّى لهم الملائكة في صورة شباب حِسان امتحانًا واختبارًا حتى قامت على قوم لوط الحجة، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر»[١].

* وكذلك جاء جبريل (عليه السلام) إلى مريم في صورة بشر.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[٢].

* وفي قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا وأراد أن يتوب وأمره العالم أن يهاجر إلى أرض فيها أُناسٌ صالحون ليكونوا عونًا له على عبادة الله فمات في منتصف الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأرسل الله إليهم ملكًا في صورة بشر ليحكم بينهم.

- قال ﷺ حاكيًا هذا المشهد أن العالِم قال للرجل التائب: «انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبُدُون الله تعالى فاعبد الله معهُم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرضُ سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموتُ فاختصمت فيه ملائكةُ الرحمة وملائكةُ العذاب. فقالت ملائكةُ الرحمة: جاء تائبًا مُقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكةُ العذاب، إنهُ لم يعمل خيرًا قط، فأتاهُم ملكٌ في صُورة آدمي فجعلوهُ بينهُم: أي: حكمًا، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو لهُ، فقاسُوا

(١) البداية والنهاية (١/ ٤٣).
(٢) سورة مريم: الآيات: (١٦-١٩).

فوجدُوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضتهُ ملائكةُ الرحمة»(١).

* بل وفى قصة الثلاثة الذين ابتلاهم الله (عز وجل) من بنى إسرائيل.. وهم الأبرص والأقرع والأعمى فقد جاءهم الملك فى صورة بشر.

- وها هى القصة كما حكاها النبى ﷺ:

«إن ثلاثة من بنى إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص، فقال: أى شيء أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسن، وجلد حسن، ويذهب عنى الذى قد قَذِرنى الناس، فمسحه فذهب عنه قذره وأُعطى لونًا حسنًا.

قال: فأى المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل فأُعطى ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأقرع فقال: أى شيء أحبُّ إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عنى هذا الذى قذرنى الناس، فمسحه عنه، وأُعطى شعرًا حسنًا. قال: فأى المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر، فأُعطى بقرة حاملاً، وقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال: أى شيء أحبُّ إليك؟ قال: أن يردَّ الله إلىَّ بصرى، فأُبصر الناس... فمسحه، فرد إليه الله بصره، قال: فأىُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم فأُعطى شاة والدًا، فأنتج هذان وولَّد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرص فى صُورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفرى، فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال بعيرًا أتبلغ به فى سفرى، فقال: الحقوق كثيرةٌ. فقال: كأنى أعرفك ألم تكن أبرص

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

*فهم لا يحتاجون إلى الطعام أو الشراب.

ولقد أخبرنا الحق (جل وعلا) أن الملائكة عندما ذهبوا لإبراهيم (عليه السلام) ليبشروه بغلام عليم فجاءوه في صورة بشر فقرب إليهم الطعام فلم تمتد أيديهم فأوجس منهم خيفة حتى كشفوا له عن حقيقتهم والمقصد من إرسالهم فزال خوفه وتعجبه.. قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ [١].

وفي آية أخرى قال: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [٢].

* * *

س: هل يستطيع أحدٌ من البشر أن يرى الملائكة؟

ج: لما كانت الملائكة أجسامًا نورانية لطيفة، فإن العباد لا يستطيعون رؤيتهم، خاصة أن الله لم يُعطِ أبصارنا القدرة على هذه الرؤية.

ولم يرَ الملائكة في صورهم الحقيقية من هذه الأمة إلا الرسول ﷺ، فإنه رأى جبريل مرتين في صورته التي خلقه الله عليها.

* * *

س: هل تعرف عدد الملائكة؟

ج: إن الملائكة خلقٌ كثير لا يعلم عددهم إلا الخالق (جل

(١) سورة الذاريات: الآيات: (٢٤-٢٨).
(٢) سورة هود: الآية: (٧٠).

وعلا). ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾[(١)] ولكن سأذكر لك بعض الأحاديث التي توضح لنا مدى كثرتهم.

- تأمل معي ما قاله جبريل (عليه السلام) عن البيت المعمور عندما سأله الرسول ﷺ عنه عندما بلغه في الإسراء: «هذا البيت المعمور يصلي فيه في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم»[(٢)].

والبيت المعمور هو قبلة أهل السماء السابعة... فمنذ خلق الله الملائكة وإلى قيام الساعة يدخل كل يوم سبعون ألف ملك إلى البيت المعمور ولا يرجعون إليه.. وهذا في السماء السابعة فقط فكيف بعدد سائر الملائكة في السماوات السبع.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتَى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[(٣)].

فعلى ذلك فإن الذين يأتون بجهنم يوم القيامة أربعة مليارات وتسعمائة مليون ملك.

وقال النبي ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمعُ ما لا تسمعُون أطَّت السماءُ وحُق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهتهُ ساجدًا لله»[(٤)].

وإذا تأملت النصوص الواردة في الملائكة التي تقوم على الإنسان علمت مدى كثرتهم، فهناك ملك موكل بالنطفة، وملكان لكتابة

---

(١) سورة المدثر: الآية: (٣١)

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٢).

(٤) حسن: رواه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٤٤٩).

أعمال كل إنسان، وملائكة لحفظه، وقرين ملكي لهدايته وإرشاده.



س: أين منازل الملائكة؟

ج: الأصل أن مساكن الملائكة ومنازلهم في السماء، وإن كانوا يتنزلون منها تنفيذًا لما يأمرهم الله تعالى به ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾(١) وقوله: ﴿ فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ ﴾(٢) وقال النبي ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمعُ ما لا تسمعُون أطَّت السماءُ وحُقّ لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهتهُ ساجدًا لله»(٣).

وهم حينما يتنزلون من السماء إلى الأرض فلا يفعلون ذلك إلا بإذن الله، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾(٤) وثبت أن النبي ﷺ قال لجبريل ألا تزورنا أكثر مما تزورنا قال فنزلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ الآية(٥)... ويكثر نزول الملائكة في بعض الليالي الفاضلة مثل ليلة القدر ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾(٦).

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٥).

(٢) سورة فصلت: الآية: (٣٨).

(٣) حسن: رواه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٤) سورة مريم: الآية: (٦٤).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٣٢١٨، ٤٧٣١).

(٦) سورة القدر: الآيتان: (٣-٤).

س: ماذا تعرف عن سرعة الملائكة؟

ج: أما عن سرعة الملائكة فأحب أن أقول أولاً:

إن أعظم سرعة يعرفها البشر هي سرعة الضوء، فهو ينطلق بسرعة (١٨٦) ألف ميل في الثانية الواحدة.

أما سرعة الملائكة فهي فوق ذلك، وهي سرعة لا تقاس بمقاييس البشر...

كان السائل يأتي إلى الرسول ﷺ فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل بالجواب من رب العزة سبحانه وتعالى.

واليوم لو وُجدت المراكب التي تسير بسرعة الضوء، فإنها تحتاج إلى (مليار) سنة ضوئية حتى تبلغ بعض الكواكب الموجودة في آفاق هذا الكون الواسع الشاسع.



س: هل إبليس من الملائكة؟

ج: إبليس ليس من الملائكة.. وذلك لأنه خُلق من نار والملائكة خُلقوا من نور.

ولقد وصف الله الملائكة بأنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] ووصفهم بقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[2].

أما الشيطان فإنه على العكس من ذلك فإنه كان مستكبراً ولذا وصفه الله بقوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[3].

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).
(٢) سورة الأنبياء: الآيتان: (١٩-٢٠).
(٣) سورة البقرة: الآية: (٣٤).

وكان إبليس يعيش بين الملائكة مع أنه ليس منهم.. ولذلك لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام) جاء الأمر لإبليس أيضاً لأنه كان بينهم.

ولذا جاءت هذه الآية لتوضح أن إبليس من الجن وليس من الملائكة فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[١].



س: هل ملك الموت يُسمى عزرائيل؟

ج: اشتهر على ألسنة كثير من الناس أن ملك الموت اسمه عزرائيل... وهذا خطأ لأن ذلك لم يَرِد في كتاب الله ولا في السنة الصحيحة.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

وقد جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت باسم عزرائيل، ولا وجود لهذا الاسم في القرآن، ولا في الأحاديث الصحيحة[٢].



س: هل هناك ملك اسمه (رقيب) وآخر اسمه (عتيد)؟

ج: يذكر بعض العلماء أن من الملائكة من اسمه رقيب وعتيد، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٣].

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٥٠).

(٢) البداية والنهاية: (١/ ٥٠).

(٣) سورة ق: الآيتان: (١٧-١٨).

وما ذكروه غير صحيح، فالرقيب والعتيد هنا وصفان للملكين اللذين يسجلان أعمال العباد، ومعنى رقيب وعتيد؛ أي: ملكان حاضران شاهدان، لا يغيبان عن العبد، وليس المراد أنهما اسمان للملكين.



س: ما هى الأعمال التى تقوم بها الملائكة؟

ج: إن ما يقوم به الملائكة من أعمال لكثير جداً، ومختلف متنوع إلى حدٍّ كبير، . . . . وهذا بيان مجمل عما جاء فى القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة من وظائف الملائكة وأعمالهم التى أناطها الله تعالى بهم عبادةً له وطاعة:

١- جبريل عليه السلام:

ويُسمَّى روح القُدُس أيضًا، وصفه الله عز وجل بالقوة والأمانة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[١].

وخصَّه بأشرف وظيفة، وهى السفارة بينه تعالى، وبين رسله عليهم السلام فكان ينزل بالوحى كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[٢].

وصَحَّ عن النبى ﷺ أنه رافقه فى أعظم رحلة تمَّت فى الوجود وهى إسراء النبى ﷺ ومعراجه، فرافقه ﷺ من مكة إلى المسجد الأقصى، ومنه إلى سدرة المنتهى بالملكوت الأعلى[٣].

(١) سورة التكوير: الآيات: (١٩-٢١).
(٢) سورة الشعراء: الآيات: (١٩٢-١٩٤).
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

٢- ميكائيل:

ووظيفته التي وكله الله بها المطر والنبات.

٣- إسرافيل:

ومن الملائكة إسرافيل الذي ينفخ في الصور.

وجبريل وميكائيل وإسرافيل هم الذين كان يذكرهم الرسول ﷺ، في دعائه عندما يستفتح صلاته من الليل: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[1].

٤- ملك الموت:

وهو موكَّل بقبض الأرواح، وله أعوان من الملائكة... لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[2].

٥- أعوان ملك الموت:

وهم صنفان: ملائكة رحمة، وملائكة عذاب، وهم مع ملك الموت،... وهم المقصودون بقوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.

٦- حَمَلة العرش:

أي عرش الرحمن عز وجل.... وهم أربعة، وإذا جاء يوم القيامة أضيف إليهم أربعة آخرون، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[3].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٧٠).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٦١).

(٣) سورة غافر: الآية: (٧).

ولقوله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾[١].

٧- رضوان:

وعمله الذي وُكِّل به خزانة الجنان، فهو خازن الجنة ورئيس الخدم بها.

قال ابن كثير: «وخازن الجنة ملك يقال له رضوان، جاء مصرحًا به في بعض الأحاديث»[٢].

قلت: ولم يثبت اسم رضوان في حديث صحيح ولكنه ذُكر في بعض الآثار - والله أعلم-.

٨- خدم الجنة:

وهم ملائكة لا يحصى عددهم إلا الله تعالى.

قال تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾[٣].

وورد أن للواحد من أهل الجنة خدمًا لا يقلون عن ثمانين ألف خادم، وظيفتهم خدمة أهل الجنة[٤].

٩- الزبانية:

وهم تسعة عشر ملكًا، وكَّلهم الله تعالى بالنار فهم خُزانها يعذبون فيها أهلها. قال تعالى: ﴿سأصليه سقر (٢٦) وما أدراك ما سقر (٢٧) لا تبقي ولا تذر (٢٨) لواحة للبشر (٢٩) عليها تسعة عشر (٣٠) وما جعلنا

---

(١) سورة الحاقة: الآية: (١٧).

(٢) البداية والنهاية (١/ ٥٣).

(٣) سورة الرعد: الآيتان: (٢٣-٢٤).

(٤) روى الترمذي حديثًا في هذا المعنى ولكن في إسناده كلام.

أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[1] .

ورئيس هؤلاء الخزنة يُدعى مالكًا .

قال تعالى فى الحديث عن أهل النار: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾[2] .

١٠- الكرام الكاتبون:

وعملهم كتابة أعمال البشر، وإحصاؤها عليهم، فعلى يمين كل مكلف ملك يكتب صالح أعماله، وعن يساره ملك يكتب سيئات عمله .

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[3] .

وفى الصحيح: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه فإنه يناجى الله تعالى ما دام فى مُصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكًا، ليبصق عن يساره أو تحت قدمه»[4][5] .

١١- الحفظة:

عملهم حفظ الإنسان من الجان، والشيطان، والعاهات، والآفات .

قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[6] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما فى تفسير الآية: «ملائكة يحفظونه من بين يديه

---

(١) سورة المدثر: الآيات: (٢٦-٣١).

(٢) سورة الزخرف: الآيتان: (٧٧-٧٨).

(٣) سورة الإنفطار: الآيات: (١٠-١٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤١٦)، ومسلم (٥٤٨).

(٥) وإن قيل كيف يبصق عن يساره وكاتب السيئات عن يساره؟ قيل: إن المؤمن فى الصلاة لا يفعل سوءاً قط فلذا ينضم كاتب السيئات إلى كاتب الحسنات.. إذ الصلاة هى أم الحسنات ولا سيئة فيها، والحديث رواه الشيخان بلفظ قريب من هذا - اللؤلؤ والمرجان - (١/١١١).

(٦) سورة الرعد: الآية: (١١).

ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلّوا عنه»(١).

وقال مجاهد: «يحفظونه في نومه ويقظته من الجن والإنس، والهوام»(٢).

١٢- الملك الموكل بالرحم:

لحديث البخاري ومسلم واللفظ له: «إن الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكًا فيقول أي رب نُطفة، أي رب علقة، أي رب مُضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقًا قال: قال الملكُ: أي رب ذكر أم أنثى، شقيٌّ أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجلُ؟ فيكتبُ كذلك في بطن أمه»(٣).

١٣- ملك الجبال:

وهو ملك وكَّله الله بالجبال.... لحديث البخاري ومسلم: «فناداني ملكُ الجبال فسلَّم عليَّ فقال: يا مُحمد ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين..» الحديث(٤).

١٤- الملائكة السياحون:

وهم ملائكة في الأرض يبلغون سلام أمة محمد وصلاتها على نبيها ﷺ... لحديث أحمد وهو صحيح الإسناد: «إن لله في الأرض ملائكةً سياحين يُبلغوني عن أمتي السلام»(٥).

١٥- ملائكة الدعاء:

وعملهم الذي وُكّلوا به أن العبد إذا دعا بدعوة لأخيه المؤمن وهو

---

(١) تفسير ابن كثير طبعة الحلبي (٢/ ٥٠٣).

(٢) اللؤلؤ والمرجان (٣/ ٢٠٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٩٥)، ومسلم (٢٦٤٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٥) أخرجه النسائي وابن حبان، فضل الصلاة على النبي ﷺ بتعليق ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية (ص٢٦).

غائب قال الملك: «آمين ولك بمثل ذلك»، ... فقد قال النبي ﷺ: «دعوةُ المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مُستجابةٌ، عند رأسه ملكٌ موكلٌ كُلما دعا لأخيه بخير قال الملكُ الموكل به: آمين ولك بمثلٍ»(١).

١٦- ملائكة العروج بأرواح العباد بعد الموت:

لحديث مسلم: «إذا خرجت روحُ المؤمن تلقاها ملكان فيُصعدانها» - قال حماد (راوي الحديث): فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال: - «ويقولُ أهلُ السماءُ: رُوحٌ طيبةٌ جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى ما كُنت تعمرينه، فينطلقُ به إلى ربه، عز وجل ثُم يقول: انطلقوا به إلى آخر الآجل..» وذكر للكافر عكسُ ذلك(٢).

١٧- منكر ونكير:

وعملهما سؤال العباد في قبورهم عن الرب تعالى، والدين، والنبي ﷺ أي يقولان له: من ربُّك، ما دينك، ومن نبيُّك؟ لحديث الترمذي وفيه: «إذا قُبر الميتُ أتاهُ ملكان أسودان أزرقان يُقال لأحدهما المُنكر، وللآخر نكير، فيقولان: ما كُنت تقولُ في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسولهُ، فيقولان: قد كنا نعلمُ أنك تقول هذا، ثُم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم يُنورُ له فيه، ثُم يقال له: نم فيقول: أرجع إلي أهلي فأخبرهم فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُ أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعتُ الناس يقولون قولاً فقلتُ مثله، لا أدري، فيقولون: قد علمنا أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٢).

فتلتئم عليه، فتختلفُ أضلاعُه فلا يزال فيها مُعذَّبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[(١)][(٢)].



س: اذكر لنا نماذج من العبادات التى تقوم بها الملائكة؟

ج: كما أسلفنا أن الملائكة عبادٌ لله (جل وعلا) فقد قال تعالى عنهم: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[(٣)].

- وإليك بعض العبادات التى يقوم بها الملائكة:

١- الخوف من الله تعالى وخشيته:

فهم من أعرف الخلق بالخالق (جل وعلا) ولذلك تجدهم أكثر خوف وخشية من الله (جل وعلا)... قال تعالى عنهم: ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾.

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مررت ليلة أُسرى بى بالملأ الأعلى، وجبريل كالحلس البالى من خشية الله تعالى»[(٤)].

«والحلس: كساء يُبسط فى أرض البيت».

* بل وضح النبى ﷺ شدة خوفهم من ربهم (جل وعلا).

(١) حسن: رواه الترمذى (١٠٧١)، وحسنه الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٣٩٢).
(٢) عقيدة المؤمن/ للشيخ أبو بكر الجزائرى (ص: ١٥٢-١٥٥) بتصرف.
(٣) سورة الأنبياء: الآيات: (٢٦-٢٨).
(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط، وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨٦٤).

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كالسلسلة على صفوان».

قال علي، وقال غيره: «صفوان ينفذهم ذلك. فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، وهو العلي الكبير»[(١)].

٢- التسبيح:

نحن نعلم أن التسبيح أفضل الذكر.

* روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر، قال: سُئل رسول الله ﷺ أي الذكر أفضل؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده»[(٢)].

* لذلك فإن الملائكة يُسبحون الله (جل وعلا) تسبيحًا دائمًا لا ينقطع أبدًا ليل نهار ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[(٣)].

ولا يوجد ملك يفتر لحظة عن تسبيح الخالق (جل وعلا) حتى حملة العرش. ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[(٤)] كما يسبحه عموم ملائكته: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[(٥)].

* ولأنهم يعرفون قدر التسبيح فجدير بهم أن يفخروا بكثرة تسبيحهم لله (جل وعلا) ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[(٦)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٠-٤٧).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣١).
(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٢٠).
(٤) سورة غافر: الآية: (٧).
(٥) سورة الشورى: الآية: (٥).
(٦) سورة الصافات: الآيتان: (١٦٥-١٦٦).

٣- الاصطفاف:

قال ﷺ يومًا لأصحابه يحثهم على الاقتداء بالملائكة في الاصطفاف للصلاة:

«ألا تَصفُّون كما تصف الملائكة عند ربها؟». وعندما سُئل عن كيفية اصطفافهم قال: «يتمون الصفوف، ويتراصون في الصف»[(١)].

وفي القرآن عن الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾[(٢)] وهم يقومون، ويركعون، ويسجدون.

* وقال ﷺ: «أطَّت السماءُ ويحقُّ لها أن تئط، والذي نفسُ محمد بيده، ما فيها موضعُ شبرٍ إلا وفيه جبهةُ ملكٍ ساجدٍ يسبحُ اللهَ بحمده»[(٣)].

٤- الحج:

فنحن نعلم أن الملائكة لهم كعبة في السماء السابعة يحجون إليها وهي التي تُسمى بالبيت المعمور... وقد ذكرها الله (عز وجل) في سورة الطور فقال تعالى: ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾[(٤)].

* قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

عند تفسير هذه الآية: «ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء، بعد مجاوزته السماء السابعة: «ثم

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٣٠).

(٢) سورة الصافات: الآية: (١٦٥).

(٣) صحيح: رواه ابن مردويه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٠).

(٤) سورة الطور: الآيات: (١-٤).

رُفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفًا، لا يعودون إليه آخر ما عليهم»[(١)]؛ يعني: يتعبدون فيه، ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، . . . والبيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وَجَد إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - مسندًا ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل».



س: هل الملائكة يملون أو يتعبون من العبادة؟

ج: يختلف الملائكة عن البشر والجن أيضًا في أنهم لا يملون ولا يتعبون ولا يصيبهم الضجر أو السآمة، بل يقومون بعبادة الله وطاعته وامتثال أوامره دون كلل أو ملل، وقد وصفهم الله بذلك فقال سبحانه: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾[(٣)].

وقد استدل السيوطي بقوله: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ على أن الملائكة لا ينامون، ونقله عن الفخر الرازي[(٤)].



س: هل الملائكة مكلفون أم غير مكلفين؟

ج: نحن نعلم أن الملائكة لا شهوة لهم ولذلك فهم مطبوعون

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢)، وفي اللفظ بعض الاختلاف عما هو في الصحيحين.

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٢٠).

(٣) سورة فصلت: الآية: (٣٨).

(٤) الحبائك في أخبار الملائك: ص٢٦٤.

على طاعة الله وعلى ترك معصيته ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[(١)].

ولعل هذا هو السبب الذى دعا فريقًا من العلماء إلى القول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين، وإنهم ليسوا بداخلين فى الوعد والوعيد[(٢)].

* والراجح - والله أعلم - أن القول بأن الملائكة غير مكلفين قول مردود فهم مكلفون ولكنهم ليسوا بمكلفين بنفس التكاليف التى كلف الله بها بنى آدم... فالملائكة يفعلون كل ما أمرهم الله به - وهذا تكليف -.

وكذلك فهم ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[(٣)].

﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[(٤)].. والخوف والخشية نوع من التكاليف الشرعية بل هو من أعلى أنواع العبودية.

* * *

س: هل الملائكة يموتون؟

ج: قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[(٥)].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[(٦)].

فالملائكة يموتون كما يموت الإنس والجن.. وهذا الذى أخبر

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).
(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/٤٠٩).
(٣) سورة النحل: الآية: (٥٠).
(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٢٨).
(٥) سورة الرحمن: الآيتان: (٢٦-٢٧).
(٦) سورة القصص: الآية: (٨٨).

عنه الحق (جل وعلا) في كتابه حيث قال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1].

❋ ❋ ❋

س: كيف يكون الإيمان بالملائكة؟

ج: نقل السيوطي عن البيهقي في كتابه (شُعب الإيمان): «إن الإيمان بالملائكة ينتظم في معانٍ:

أحدها: التصديق بوجودهم.

الثاني: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه، كالإنس والجن مأمورون مكلَّفون، لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله تعالى جعل لهم أمدًا بعيدًا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى، ولا يدعون آلهة كما دعتهم الأوائل.

الثالث: الاعتراف بأن منهم رسلاً يرسلهم الله إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافُّون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، فقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره»[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٨).

(٢) الحبائك في أخبار الملائك، للسيوطي: ص١٠. وانظر مختصر شعب الإيمان: ١/٤٠٥-٤٠٦.

س: لماذا لم يرسل الله رسله من الملائكة؟

ج: نحن نعلم أن طبيعة الملائكة تختلف تمامًا عن طبيعة البشر فلو أرسل الله رسولاً من الملائكة لكان التواصل بينه وبين البشر فيه مشقة عليهم ولما استطاعوا أن يتواصلوا معه في كل ما يريدون معرفته من دقائق الأمور التي يحتاجون إليها في عبادتهم.

* بل إن الناس يحتاجون إلى رسولٍ من البشر حتى يستطيعوا أن يقلدوه في كل ما يفعل وليكون أسوة لهم وقدوة... فلو كان ملكًا لما استطاعوا أن يقلدوه لاختلاف الطبيعة بين البشر وبين الملائكة.

* ولذلك لو قدَّر الله أن يرسل إلى البشر رسولاً من الملائكة لأنزله إليهم في صورة بشرية ليتمكن البشر من تقليده والأخذ عنه.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[1]..

ونحن نعلم كيف كان يشق على النبي ﷺ مجيء جبريل إليه في صورته الملائكية حتى أنه لما رآه أول مرة عاد فزعًا إلى زوجه خديجة رضي الله عنها وقال لها: «دثروني دثروني».

* أما لو كان سكان الأرض من الملائكة لأرسل الله إليهم ملكًا رسولاً.

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾[2].



(١) سورة الأنعام: الآيتان: (٨-٩).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٩٥).

س: هل وكَّل الله بكل إنسان ملكين يكتبان كل ما يصدر منه؟

ج: بلى.. إن الله (عز وجل) قد وكَّل بكل إنسان ملكين يكتبان كل ما يصدر منه من أقوال وأعمال.. وهما لا يفارقانه.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كِرَامًا كَاتِبِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ⑯ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ⑰ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2].



س: هل صحَّ أن صاحب الشمال يرفع القلم عن العبد المخطئ ست ساعات عسى أن يستغفر؟

ج: أجل... فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن صاحب الشمال ليرفعُ القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كُتبت واحدةً»[3].



(١) سورة الانفطار: الآيات: (١٠-١٢).

(٢) سورة ق: الآيات: (١٦-١٨).

ومعنى قعيد، أي: مترصد. ورقيب عتيد، أي: مراقب معد لذلك لا يترك كلمة تفلت.

(٣) حسن: رواه الطبراني في الكبير، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٩٧).

س: هل هناك ملائكة يحرسون العبد ويحفظونه؟

ج: أجل.. هناك ملائكة يحرسون العبد ويحفظونه بأمر الله (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُم مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[١].

أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه. حرس بالليل، وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر ليلاً ونهاراً.

وقوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: يحفظونه من أمر الله بأمر الله كما جاء في الحديث أنهم قالوا: يا رسول الله: أرأيت رُقًا نسترقي بها، هل ترد من قدر الله شيئًا فقال: «هي من قدر الله»[٢].

* وقال تعالى: ﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾[٣] فالحفظة الذين يرسلهم الله يحفظون العبد حتى يأتي أجله المقدر له.

قال رجل لعلي بن أبي طالب: «إن نفرًا من مراد يريدون قتلك، فقال (أي: علي): إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يُقدَّر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، إن الأجل جُنَّة حصينة»[٤].

---

(١) سورة الرعد: الآيتان: (١٠-١١).
(٢) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٢).
(٣) سورة الأنعام: الآية: (٦١).
(٤) البداية والنهاية (١/ ٥٤).

وقد بيَّن تُرجمان القرآن ابن عباس أن المعقبات من الله هم الملائكة جعلهم الله ليحفظوا الإنسان من أمامه ومن ورائه، فإذا جاء قدر الله - الذى قدّر أن يصل إليه - خلوا عنه.

وقال مجاهد: «ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه فى نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراءك، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه».

* * *

س: هل هناك محبة بين الملائكة والمؤمنين؟

ج: لابد أن نعلم أن الملائكة يحبون كل عبدٍ تقى ويبغضون كل عبدٍ يبارز ربه (جل وعلا) بالذنوب والمعاصى وكل عبدٍ يكفر بالخالق (جل وعلا).

* قال ﷺ: «إن الله تعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إنى أحبُّ فُلانًا فأحبه، فيُحبُّه جبريلُ، ثم يُنادى فى السماء فيقولُ: إن الله تعالى يحبُّ فُلانًا فأحبُّوه، فيحبُّه أهلُ السماء، ثم يوضعُ له القبولُ فى الأرض...»(١).

* * *

س: هل الملائكة يحملون البشرى لعباد الله المؤمنين؟

ج: بلى.. إن الملائكة يحملون البشرى لعباد الله المؤمنين إذا أمرهم الله بهذا.

* فها هم الملائكة يحملون البشرى لإبراهيم (عليه السلام) بأن

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).

الله سيرزقه بغلام عليم... قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[١].

* بل وبشروا زكريا بيحيى (عليهما السلام).

قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[٢].

* ولم تكن هذه البشرى قاصرة على الأنبياء والمرسلين فحسب بل قد تبشر الملائكة واحداً من المؤمنين.

ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل، فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام - أو طعام أو شراب -، فإذا هي قد أتتك، فاقرأ عليها السلام، من ربها ومنّي، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صَخَب فيه ولا نَصَب»[٣].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنّ رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله[٤] له على مدرجته (طريقه) ملكًا، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[٥].

(١) سورة الذاريات: الآيات: (٢٤-٢٨).
(٢) سورة آل عمران: الآية: (٣٩).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢)، ومسلم (٢٤٣٢).
(٤) أرصد على مدرجته: أقعد على طريقه.
(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٧).

س: هل هناك أحدٌ من البشر سلّمت عليه الملائكة؟

ج: بلى.. لقد سلم جبريل (عليه السلام) على أمنا خديجة رضي الله عنها عندما أخبر النبي ﷺ أن الله يسلم عليها وأنه (يعني جبريل) يسلم عليها.

ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني جبريل، فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام - أو طعام أو شراب -، فإذا هي قد أتتك، فاقرأ عليها السلام، من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»**[(١)].

* وسلمت الملائكة على الصحابي الجليل عمران بن حصين.

* فالشاهد: أن الأعمال الصالحة تُقرب العبد المؤمن من الملائكة وتقرب الملائكة منه حتى إن العبد إذا ارتقى في حالته الإيمانية واستمر على ذلك فقد يصل إلى مرتبة عالية تطمح إليها النفوس وتشرئب لها الأعناق وهي التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: **«والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فُرشكم وفي طُرقكم»**[(٢)].

وفي رواية الترمذي عن حنظلة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو أنكم تكونون كما تكونون عندي لأظلتكم الملائكة بأجنحتها»**[(٣)].



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢١)، ومسلم (٢٤٣٢).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٠).
(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٥٢)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٧٦).

س: هل الملائكة يشهدون مجالس العلم وحلق الذكر؟

ج: بلى.. إن الملائكة يشهدون مجالس العلم وحلق الذكر والدليل على ذلك:

ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[١].

وفي سنن الترمذي عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع»[٢].

أي تتواضع له.

* * *

س: هل هناك ملائكة يبلغون الرسول ﷺ عن أمته السلام؟

ج: نعم.. هناك ملائكة يسيحون في الأرض فإذا سمعوا أحدًا يسلم على النبي ﷺ فإنهم يُبلغون النبي ﷺ بذلك.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام»[٣].

* * *

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٨٢)، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٩٧٦).

(٣) صحيح: رواه النسائي، وأحمد، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٨٥٣).

س: هل الملائكة يكتبون أسماء الذين يحضرون مبكرًا إلى صلاة الجمعة... الأول فالأول؟

ج: بلى . . إن الملائكة ليكتبون أسماء الذين يحضرون إلى صلاة الجمعة . . الأول فالأول .

قال ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكةٌ يكتبون الأول فالأول. فإذاجلس الإمامُ طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر .ومثل المهجر كمثل الذى يُهدى البدنة. ثم كالذى يُهدى بقرةً. ثم كالذى يُهدى الكبش. ثم كالذى يُهدى الدجاجة. ثم كالذى يُهدى البيضة»(١) .

* * *

س: هل صحَّ أن الملائكة يتعاقبون فينا: ملائكة بالليل وملائكة بالنهار؟

ج: صَحَّ أن الملائكة تتعاقب فينا . . فهناك ملائكة بالنهار تبقى من صلاة الفجر إلى العصر ثم تصعد بتلك الأعمال إلى الله (جل وعلا) ويأتى مكانها ملائكة بالليل تبدأ من صلاة العصر إلى صلاة الفجر ثم تصعد بتلك الأعمال إلى الله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون،

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).

وأتيناهم وهم يصلون»[١].

* وهؤلاء الملائكة - كما أسلفت - هم الذين يرفعون الأعمال إلى ربهم (جل وعلا).

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل...»[٢] الحديث.

* * *

س: هل الملائكة يصلون على المؤمنين؟ وماذا تعني صلاتهم على المؤمنين؟

ج: لقد أخبرنا الحق (جل وعلا) أن الملائكة تصلي على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[٣].

وأخبر أيضًا أنهم يصلون على المؤمنين فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٤].

- والصلاة من الله (جل وعلا) هي الثناء على العبد بين الملائكة.. وقيل: هي الرحمة... ولا تنافي بين القولين.

- وأما الصلاة من الملائكة على المؤمنين فهي بمعنى الدعاء

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٢٣)، ومسلم (٦٣٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٩).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٤٣).

والاستغفار لهم.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢).

* * *

س: من الذين تصلى عليهم الملائكة؟

ج: لعل سائلاً يسأل عن الأعمال التى تجعل صاحبها ممن يفوز بصلاة الملائكة عليه.. فإليك بعض هذه الأعمال:

١- الذين يصلون على النبى ﷺ:

قال ﷺ: «ما من عبد يصلى علىَّ إلا صلَّت عليه الملائكة ما دام يصلى علىَّ فليُقلَّ العبدُ من ذلك أو ليُكثر» (٣).

٢- الذين يُعلمون الناس الخير:

قال ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير» (٤).

٣- الذين يعودون المرضى:

قال ﷺ: «ما من مسلم يعُودُ مسلمًا غُدوةً، إلا صلى عليه سبعون

(١) سورة غافر: الآية: (٧).

(٢) سورة الشورى: الآية: (٥).

(٣) حسن: رواه أحمد وابن ماجه وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٤٤).

(٤) صحيح: رواه الترمذى والطبرانى فى الكبير وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٣٨).

ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشيةً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريفٌ في الجنة»[(١)].

٤- الذين ينتظرون صلاة الجماعة:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مجلسه، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه. ما لم يُحْدث»[(٢)].

٥- الذين يصلون فى الصف الأول:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله وملائكته يصلون على الصفوف الأول»[(٣)].

وفى سنن النسائى: «على الصفوف المتقدمة»[(٤)].

وفى سنن ابن ماجه من حديث البراء، وحديث عبد الرحمن بن عوف: «إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول»[(٥)].

٦- الذين يصلون الصفوف:

قال ﷺ: «إن الله تعالى وملائكته يُصلُّون على الذين يَصِلون الصفوف، ومن سدَّ فُرجةً رفعهُ الله بها درجةً»[(٦)].

٧- الذين يتسحرون:

قال ﷺ: «إن الله تعالى وملائكتهُ يُصلُّون على المُتسحرين»[(٧)].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٧٦٧).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٧) ومسلم (٦٤٩).
(٣) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٦١٨).
(٤) صحيح: رواه النسائي، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح النسائي (٧٨١).
(٥) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (٨١٦).
(٦) حسن: رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٣).
(٧) حسن: رواه ابن حبان والطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٤).

س: هل لصلاة الملائكة أثر على المؤمنين؟

ج: بلى.. إن لصلاة الملائكة أثرًا عظيمًا على المؤمنين.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ النُّورِ﴾(١).

* قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

وقوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: يخرجكم ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِ رَحِيمًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الح الذي جهله غيرهم، وبصَّرهم الطريق الذي ضَلَّ وحاد عنه مَن سواه من الدعاة إلى الكفر أو البدعة، وأتباعهم من الطغام؛ وأما رحمته به في الآخرة فآمنهم من الفزع الأكبر وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشا بالفوز بالجنة والنجاة من النار وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم(٢).

* * *

س: هل الملائكة يؤمِّنون على دعاء المؤمنين؟ وما فائدة هذ التأمين؟

ج: إن الملائكة يؤمِّنون على دعاء المؤمنين كما أخبر النبي ﷺ حيث قال: «دُعاءُ المرء المُسلم مُستجابٌ لأخيه بظهر الغيب، عند رأس ملك مُوكلٌ به؛ كلما دعا لأخيه بخيرٍ قال الملك: آمين ولك بمثل ذلك»(٣).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٤٣).
(٢) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٢).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٣).

- وأما فائدة هذا التأمين أن الدعاء يكون أقرب إلى الإجابة ولذلك فإنه لما كان الدعاء الذى يؤمّن عليه الملك حريًا بالإجابة فإنه لا ينبغى للمؤمن أن يدعو على نفسه بأى شرٍّ أبدًا.

ففى صحيح مسلم عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمّنون على ما تقولون»[1].

* بل إن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه.

قال ﷺ: «إذا قال أحدكم فى الصلاة: آمين، وقالت الملائكةُ فى السماء: آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه»[2].

وفى رواية قال ﷺ: «إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا: آمين؛ فإنه من وافق قولُه قولَ الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه».

* * *

س: كيف تتعامل الملائكة الموكلة بقبض الأرواح مع العبد المؤمن وكيف تتعامل مع العبد الكافر؟

ج: من المعلوم أن الله (عز وجل) اختص بعض الملائكة بنزع أرواح العباد عندما تنتهى آجالهم...

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[3].

والذين يقبضون الأرواح أكثر من ملك: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٢٠).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٨١)، ومسلم (٤١٠).
(٣) سورة السجدة: الآية: (١١).

عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون (٦١) ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾[1].

* فإذا نزعت الملائكة روح العبد المؤمن فإنهم ينزعون روحه نزعًا رفيقًا كما أخبر النبي ﷺ: «.. فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء..»[2].

- أما الكفار فإن الملائكة ينزعون أرواحهم نزعًا شديدًا عنيفًا بلا رفق ولا هوادة.. قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾[5].

وقال رسول الله ﷺ: «... فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول»[6].



(١) سورة الأنعام: الآيتان: (٦١-٦٢).
(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).
(٣) سورة الأنفال: الآية: (٥٠).
(٤) سورة محمد: الآية: (٢٧).
(٥) سورة الأنعام: الآية: (٩٣).
(٦) الحديث السابق.

س: هل الملائكة يبشرون أهل الإيمان عند الموت؟

ج: بلى... فقد أخبر الحق (جل وعلا) بأن الملائكة تبشر المؤمنين عند الموت... قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[1].



س: ما هو موقف الملائكة من الكفار والفسّاق؟

ج: وضحنا فيما سبق موقف الملائكة من المؤمنين، وقد اتضح من خلال ذلك موقفهم من الكفرة، فهم لا يحبون الكفرة الظالمين المجرمين، بل يعادونهم ويحاربونهم، ويزلزلون قلوبهم، كما حدث في معركة بدر والأحزاب، ونزيد الأمر هنا تفصيلاً وإيضاحًا بذكر ما لم نذكره هناك.

١- إنزال العذاب بالكفار:

عندما كان يُكذِّب رسول من الرسل، ويصرّ قومه على التكذيب، كان الله يُنزل في كثير من الأحيان بهم عذابه، وكان الذي يقوم بالتعذيب أحيانًا الملائكة.

٢- إهلاكهم قوم لوط:

جاء الملائكة المأمورون بتعذيب قوم لوط في صورة شُبان حسان الوجوه، واستضافهم لوط، ولم يعلم قومه بهم، فدلت زوجة لوط قومها عليهم، فجاؤوا مسرعين، يريدون بهم الفاحشة، فدافعهم

---

(١) سورة فصلت: الآيتان: (٣٠-٣١).

لوط، وحاورهم، فأبوا عليه، فضربهم جبريل بجناحه، فطمس أعينهم، وأذهب بصرها: ﴿ولمَّا جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرعًا وقال هذا يوم عصيب (٧٧) وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد (٧٨) قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد (٧٩) قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد (٨٠) قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾[1].

قال ابن كثير[2]: وذكروا أن جبريل - عليه السلام - خرج عليهم، فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه، فطُمست أعينهم، حتى قيل غارت بالكلية، ولم يبق لها محل ولا أثر... قال تعالى: ﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر﴾[3].

وفي الصباح أهلكهم الله تعالى: ﴿فلمَّا جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود (٨٢) مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد﴾[4].

قال ابن كثير في تفسيره: قال مجاهد: «أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم، ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم كفأها، وكان حملهم على خوافي جناحه الأيمن». وذكر أقوالاً مقاربة لهذا القول، ولم يورد حديثًا يشهد لهذا.

(١) سورة هود: الآيات: (٧٧-٨١).
(٢) البداية والنهاية: (١/١٩٧).
(٣) سورة القمر: الآية: (٣٧).
(٤) سورة هود: الآيتان: (٨٢-٨٣).

٣- لعن الكفرة:

قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[١]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٢].

ولا تلعن الملائكة الكفرة فحسب، بل قد تلعن من فعلوا ذنوبًا معينة ومن هؤلاء..

أ - لعن الملائكة المرأة التي لا تستجيب لزوجها:

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء، لعنتها الملائكة حتى تصبح»[٣]، وفي رواية في الصحيح: «حتى ترجع»[٤].

ب - لعنهم الذي يشير إلى أخيه بحديدة:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه، حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه»[٥].

ولعن الملائكة يدل على حرمة هذا الفعل، لما فيه من ترويع لأخيه، ولأن الشيطان قد يُطغيه فيقتل أخاه، خاصة إذا كان السلاح

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (٨٦-٨٧).
(٢) سورة البقرة: الآية: (١٦١)
(٣) صحيح: رواه البخاري (٥١٩٣).
(٤) صحيح: رواه البخاري (٥١٩٤).
(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦١١).

من هذه الأسلحة الحديثة، التى قد تنطلق لأقل خطأ، أو لمسة غير مقصودة، وكم حدث أمثال هذا.

ج- لعنهم من سبَّ أصحاب الرسول:

عن ابن عباس: أن الرسول ﷺ قال: «من سبّ أصحابى، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(١).

فيا عجبًا لأقوامٍ جعلوا سبّ أصحاب الرسول ﷺ دينًا لهم يتقربون به إلى الله، مع أن جزاءهم ما ذكره الرسول ﷺ هنا، وهو جزاء رهيب.

د- لعنهم الذين يحولون دون تنفيذ شرع الله:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «من قَتَلَ عمدًا فَقَود يديه، فمن حال بينه وبينه فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين»(٢).

فالذى يحول دون تنفيذ حكم الله فى قتل القاتل عمدًا بالجاه أو المال... فعليه هذه اللعنة، فكيف بالذى يحول دون تنفيذ الشريعة كلها؟!

هـ- لعنهم الذى يؤوى محدثًا:

من الذين تلعنهم الملائكة كما يلعنهم الله الذين يحدثون فى دين الله، بالخروج على أحكامه، والاعتداء على تشريعه، أو يؤوون من

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى، وصححه الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٣٤٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، والنسائى، وابن ماجه، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٥٠).

يفعل ذلك، ويحمونه، كما فى الحديث الصحيح: «من أحدث حدثًا أو آوى مُحْدِثًا، فعليه لعنة الله، و الملائكة، والناس أجمعين».

والحدث فى المدينة فيه زيادة فى الإجرام.

ففى الصحيحين عن على بن أبى طالب قال: قال النبى ﷺ: «المدينة حرم، ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثًا، أو آوى مُحْدِثًا، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين. لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا، ولا عدلاً»(١).

٤- طلب الكفار رؤية الملائكة:

وقد طلب الكفار رؤية الملائكة للتدليل على صدق الرسول ﷺ، فأخبرهم الله أن اليوم الذى يرون فيه الملائكة يوم شؤم عليهم؛ إذ الكفار يرون الملائكة عندما يحل بهم العذاب، أو عندما ينزل بالإنسان الموت، ويُكشف عنه الغطاء: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾(٢).

* * * *

س: اذكر بعض الصور التى توضح كيف كان دفاع الملائكة عن النبى ﷺ؟

ج: نحن نعلم ما حدث للنبى ﷺ فى يوم الطائف.. فإنه لما

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٧٠) ومسلم (١٣٧٠).
(٢) سورة الفرقان: الآيتان: (٢١-٢٢).

رفض أهل الطائف أن يستجيبوا لدعوة النبي ﷺ خرج النبي ﷺ وهو مهموم فأرسل الله إليه جبريل وملك الجبال (عليهما السلام)... قال ﷺ: «... فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟[(١)]» فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[(٢)].

* بل تأمل معي كيف كان موقف الملائكة تجاه أبي جهل لما أراد أن يؤذي النبي ﷺ.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال أبو جهل: هل يُعفِّر محمدٌ وجهه[(٣)] بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم.

فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم[(٤)] منه إلا وهو ينكص على

---

(١) الأخشبين: الأخشب من الجبال: الخشن الغليظ. وهما جبلا مكة: أبو قبيس، والجبل الذي يقابله.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٣) يعفر وجهه: أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب.

(٤) فجأهم: بغتهم.

عقبيه[١] ويتقي بيديه. قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»[٢].

* بل لقد كان جبريل وميكائيل (عليهما السلام) يقاتلان دفاعًا عن النبي ﷺ في غزوة أحد.

ففي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحدٍ ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد[٣].

* * *

س: هل كل من جاءه ملك فهو رسولٌ أو نبي؟

ج: كلا... ليس كل من جاءه ملك فهو رسول أو نبي فقد أرسل الله (عز وجل) جبريل إلى أم إسماعيل عندما نفد الماء والطعام... وكذلك أرسل جبريل إلى مريم... وأرسل ملكًا إلى الرجل الذي زار أخًا له في الله ليبشره أن الله يحبه لحبه لأخيه... وأرسل ملكًا إلى الأبرص والأقرع والأعمى ليختبرهم وليخبر الأعمى أن الله رضي عنه وسخط على صاحبيه... وهناك مواقف كثيرة أرسل الله فيها ملكًا لبعض البشر وليس معنى ذلك أن هذا الرجل الذي جاءه الملك أصبح رسولاً أو نبيًا.

(١) ينكص على عقبيه: رجع يمشي إلى الوراء.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٩٧).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦).

س: هل صح أن الله جعل على أبواب مكة والمدينة ملائكة لتمنع دخول المسيح الدجال؟

ج: بلى... إن الدجال عندما يخرج فإنه يدخل كل البلاد إلا مكة والمدينة فقد جعل الله حولها ملائكة ليمنعوه من دخول مكة والمدينة.

روى البخاري عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، ولها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان»[(١)].

وفي صحيح البخاري أيضًا عن أبي هريرة: أن الرسول ﷺ قال: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»[(٢)].

وفي صحيح مسلم من حديث فاطمة بنت قيس من قصة تميم الداري: أن الدجال قال: «إني أنا المسيح الدجال، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة، أو أحدًا منهما، استقبلني ملك بيده السيف صلتًا، يصدني عنهما، وإن على كل نَقب منها ملائكة يحرسونها».

قالت: قال رسول الله ﷺ، وطعن بمخصرته في المنبر: «هذه طَيبة، هذه طَيبة، هذه طَيبة»، يعني: المدينة[(٣)].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: رواه البخاري (٧١٢٥).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٧١٢٣).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٢).

س: لماذا أمر الله الملائكة بأن يسجدوا لآدم (عليه السلام)؟

ج: لقد أمر الله (عز وجل) الملائكة بأن يسجدوا لآدم سجود تحية لا سجود عبادة.

* فها هو الحق (جل وعلا) يُظهر مزية آدم (عليه السلام) واستحقاقه للخلافة فيمتن عليه بتلك النعمة العظيمة ويأمر ملائكته بأن يسجدوا لآدم سجود تحية وإكرام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[١].

قال ابن كثير - رحمه الله -: وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم.

* وقال ابن كثير - رحمه الله -:

فهذه أربع تشريفات: خلقُه بيده الكريمة، ونفخُه من روحه، وأمره الملائكة بالسجود له، وتعليمه أسماء الأشياء، ولهذا قال له موسى الكليم حين اجتمع هو وإياه في الملإ الأعلى وتناظرا: «أنت آدم أبو البشر، الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء»[٢] وهكذا يقول له أهل المحشر يوم القيامة[٣].

* * *

(١) سورة البقرة: الآية: (٣٤).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).
(٣) قصص الأنبياء (ص: ٢٧).

س: لماذا رفض إبليس أن يسجد لآدم (عليه السلام)؟

ج: إن عدم سجود إبليس لآدم - عليه السلام - كان حسداً وتكبراً منه بسبب اختلاف خلقه عن خلق آدم. . . . فإبليس خُلق من نار، وآدم خُلق من طين. . وظن إبليس أنه بجوهره أفضل من آدم - عليه السلام - [(١)].

❋ ❋ ❋

س: ما هو واجب المؤمن تجاه الملائكة؟

ج: الملائكة عباد الله اختارهم واصطفاهم، ولهم مكانة عند ربهم، والمؤمن الذى يعبد الله، ويتبع رضوانه لا مناص له من أن يتولى الملائكة بالحب والتوقير، ويتجنب كل ما من شأنه أن يسىء إليهم ويؤذيهم، وفى المبحث التالى نتناول شيئًا من ذلك بالبيان والتوضيح.

١- عدم إيذاء الملائكة:

شدَّد العلماء النكير على من يسبُّ الملائكة أو يتكلم بكلام يعيبهم.

ونقل السيوطى عن القرافى المالكى قوله: «اعلم أنه يجب على كل مكلَّف تعظيم الأنبياء بأسرهم، وكذلك الملائكة، ومن نال من أعراضهم شيئًا فقد كفر، سواء كان بالتعريض أو بالتصريح، فمن قال فى رجل يراه شديد البطش: هذا أقسى قلبًا من مالك خازن النار، وقال فى رجل رآه مشوه الخلق: هذا أوحش من منكر

---

(١) نساء الأنبياء (ص: ٢٢).

ونكير، فهو كافر، إذا قال ذلك في معرض النقص بالوحاشة، والقساوة»[(١)].

٢- البعد عن الذنوب والمعاصي:

أعظم ما يؤذي الملائكة الذنوب والمعاصي والكفر والشرك، ولذا فإن أعظم ما يُهْدَى للملائكة ويرضيهم أن يُخلص المرء دينه لربه، ويتجنب كل ما يغضبه.

ولذا فإنَّ الملائكة لا تدخل الأماكن والبيوت التي يُعصَى فيها الله تعالى، أو التي يوجد فيها ما يكرهه الله ويبغضه، كالأنصاب والتماثيل والصور، ولا تقرب من تلبَّس بمعصية كالسكران.

عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب أو تمثال**»[(٢)]، وفي رواية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب أو جرس**»[(٣)(٤)].

وعن بريدة رضي الله عنه: أن الرسول ﷺ قال: «**ثلاث لا تقربهم الملائكة: السكران، والمتضمخ بالزعفران، والجُنُب**»[(٥)].

وعن عمار بن ياسر أن الرسول ﷺ قال: «**ثلاثة لا تقربهم الملائكة: جيفة الكافر، والمتضمخ بالخلوق، والجنب إلا أن يتوضأ**»[(٦)].

---

(١) الحبائك في أخبار الملائك، للسيوطي: (٢٥٥).

(٢) صحيح: رواه النسائي في الكبرى، وابن حبان، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٥٤٤٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١١٣).

(٤) البداية والنهاية: (١/ ٥٥).

(٥) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٦٠).

(٦) حسن: رواه أبو داود (٤١٨٠)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٦١).

٣- الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم:

ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة، والأقذار والأوساخ.

عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قال: «من أكل الثوم والبصل والكُراث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[(١)].

وقد بلغ الأمر بالرسول ﷺ أن أمر بالذى جاء إلى المسجد - ورائحة الثوم أو البصل تنبعث منه - أن يخرج إلى البقيع[(٢)].

٤- النهى عن البصاق عن اليمين فى الصلاة:

نهى الرسول ﷺ عن البصاق عن اليمين فى أثناء الصلاة؛ لأن المصلى إذا قام يصلى يقف عن يمينه ملك، ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة، فلا يبصق أمامه، فإنما يناجى الله ما دام فى مُصلاه، ولا عن يمينه؛ فإن عن يمينه ملكًا، وليبصق عن يساره، أو تحت قدمه فيدفنها»[(٣)].

٥- موالاة الملائكة كلهم:

وعلى المسلم أن يحب جميع الملائكة، فلا يفرق فى ذلك بين ملك وملك؛ لأنهم جميعًا عباد الله عاملون بأمره، تاركون لنهيه، وهم فى هذا وحدة واحدة، لا يختلفون ولا يفترقون. وقد زعم

---

(١) أحاديث نهى من أكل البصل والثوم عن قربان المسجد فى صحيح البخارى ومسلم وغيرهما، إلا أن هذا اللفظ رواه مسلم: (١/ ٣٩٤) ورقمه: (٥٦٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٦٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤١٦).

اليهود أن لهم أولياء وأعداء من الملائكة، وزعموا أن جبريل عدو لهم، وميكائيل ولى لهم فأكذبهم الله تعالى - فى مدعاهم - وأخبر أن الملائكة لا يختلفون فيما بينهم: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾(١).

فأخبر سبحانه أن الملائكة كلهم وحدة واحدة فمن عادى واحداً منهم، فقد عادى الله وجميع الملائكة... أما تولّى بعض الملائكة ومعاداة بعض آخر، فهى خرافة لا يستسيغها إلا مثل هذا الفكر اليهودى المنحرف، وهذه المقولة التى حكاها القرآن عن اليهود عذر واه عللوا به عدم إيمانهم، فزعموا أن جبريل عدوهم؛ لأنه يأتى بالحرب والدمار، ولو كان الذى يأتى الرسول ﷺ ميكائيل لتابعوه.

* * *

(١) سورة البقرة: الآيتان: (٩٧-٩٨).

ثالثًا: الإيمان بالكتب

من أصول الإيمان التصديق الجازم بالرسالات التى أنزلها الله إلى عباده بواسطة رسله وأنبيائه، والتصديق بأنهم بلّغوها للناس.

قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾[(١)].

وقد أثنى الله على رسله الذين يبلغون رسالاته ولا تأخذهم فى الله لومة لائم ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾[(٢)].

وقد كان هلاك الأمم بسبب التكذيب برسالات الله.... انظر إلى موقف صالح بعد أن حلّ الهلاك بقومه: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[(٣)].

وموقف شعيب بعد هلاك قومه: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[(٤)].

والذى أوحاه الله لرسله قد يكون نزل من السماء مكتوبًا كالتوراة التى أُنزلت على موسى... قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٤٤).
(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٩).
(٣) سورة الأعراف: الآية: (٧٩).
(٤) سورة الأعراف: الآية: (٩٣).

شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾[(١)].

وقد يكون كتابًا ولكنه أُنزل إلى الرسول بالتلاوة والمشافهة كالقرآن ﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ﴾[(٢)].

والمُنزَّل من السماء قد يجمعه كتاب كصحف إبراهيم والكتب المُنزلة على موسى وداود وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، وقد يكون وحيًا يُلقَى إلى الرسول أو النبي، وليس بكتاب، وذلك كالوحي المُنزَّل إلى إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط والموحَى به إلى نبينا من غير القرآن.

ويجب الإيمان بالوحي المُنزَّل كله ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾[(٣)].

وقال الله لرسوله: ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ﴾[(٤)] وقال للمؤمنين: ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾[(٥)]. فما أعلمنا الله به تفصيلاً كالكتب التي ذكرها، وهي صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى والقرآن المُنزَّل على محمد ﷺ، وكتكليم الله لموسى، وإيحاء الله إلى صالح وهود وشعيب، ووحي

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٤٥).
(٢) سورة الإسراء: الآية: (١٠٦).
(٣) سورة البقرة: الآية: (١٣٦).
(٤) سورة الشورى: الآية: (١٥).
(٥) سورة النساء: الآية: (١٣٦).

الله إلى رسوله محمد ﷺ من غير القرآن، وقد تضمنته كتب السنة - نؤمن به تفصيلاً كما أخبر الله تعالى، ونؤمن بأن هناك كتبًا ووحيًا غير ذلك لم يُعلمنا الله سبحانه بها [(١)].

* **ويشمل الإيمان بالكتب عدة أمور:**

أولاً: الإيمان الجازم بأن كلها مُنزَّلة من عند الله - عز وجل - على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين.

ثانيًا: الاعتقاد بأنها كلام الله - عز وجل - لا كلام غيره، وأن الله - تعالى - تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بلا واسطة، ومنها ما يسمعه المَلَك ويأمره بتبليغه إلى الرسول البشرى.... كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [(٢)].

ومنها ما خطَّه بيده - عز وجل - كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [(٣)].

ثالثًا: الاعتقاد بكل ما فيها من الشرائع، وأنه كان واجبًا على الأمم الذين نزلت إليهم هذه الكتب الانقياد لها والحكم بما فيها.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ

---

(١) الرسل والرسالات/ د. عمر سليمان الأشقر (٢٢٥-٢٢٦).

(٢) سورة الشورى: الآية: (٥١).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٤٥).

شهداء فلا تخشوا النَّاس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً ومن لَّمْ يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (١). إلى أن قال - عز وجل -: ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (٤٦) وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (٤٧) وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾ (٢).

رابعًا: الاعتقاد بأن جميع الكتب المُنزلة يُصدِّق بعضها بعضًا.

كما قال تعالى في الإنجيل: ﴿مصدقًا لما بين يديه من التوراة﴾، وقال في القرآن: ﴿مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه﴾.

خامسًا: الإيمان بأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق، كما نُسخت بعض شرائع التوراة بالإنجيل، قال الله - تعالى - في حق عيسى - عليه السلام -: ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ (٣)، وكما نسخت شريعة الإسلام ما قبلها من الشرائع.

قال الله - عز وجل-: ﴿إنَّ الدين عند الله الإسلام﴾ (٤) ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (٥).

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٤٤).
(٢) سورة المائدة: الآيات: (٤٦-٤٨).
(٣) سورة آل عمران: الآية: (٥٠).
(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٩).
(٥) سورة آل عمران: الآية: (٨٥).

وقال ﷺ: «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني»(١).

سادسًا: ينبغي أن نعتقد كذلك أن نسخ القرآن بعض آياته ببعض حق كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

والناسخ والمنسوخ آيات مشهورات مذكورات في مواضعها من كتب التفسير وغيرها.

سابعًا: الاعتقاد بأن القرآن لا يأتي بعده كتاب ينسخه، ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده، وأن الله - عز وجل - قد تكفل بحفظه فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٤).

ثامنًا: الإيمان بكتب الله - عز وجل - إجمالاً فيما أجمل، وتفصيلاً فيما فصل، فقد سمى الله - تعالى - من كتبه؛ القرآن على محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -، والتوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، وذكر الله كذلك صحف إبراهيم وموسى.

تاسعًا: الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد حُرِّف فيهما وبُدِّل.

قال الله - عز وجل - عن التوراة: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾(٥).

---

(١) حسن: رواه الدارمي، وأحمد، وحسنه الألباني في المشكاة وتحقيق بداية السول.

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٠٦).

(٣) سورة النحل: الآية: (١٠١).

(٤) سورة الحجر: الآية: (٩).

(٥) سورة النساء: الآية: (٤٦).

ومن الدلائل كذلك على تحريف التوراة أن فيها من وصف الله - عز وجل - بما لا يليق بجلاله وكماله، وكذلك فيها ما يمس شرف الأنبياء، ويتنافى مع ما لهم من عصمة ومكانة رفيعة وخُلق متين.

وقال الله - عز وجل - في حق الإنجيل: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1].

ويكفي لصحة الدليل على التحريف في الأناجيل المتداولة بأيدي النصارى الآن أنها أربعة اختيرت من نحو سبعين إنجيلاً.

عاشراً: الإيمان بأن القرآن جاء مصدقًا لما تقدمه من الكتب الإلهية ومهيمنًا عليها.

قال الشيخ سيد سابق - رحمه الله -: ومعنى ذلك أن القرآن جاء مؤيدًا للحق الذي ورد فيها من عبادة الله وحده، والإيمان برسله والتصديق بالجزاء ورعاية الحق والعدل والتخلُّق بالأخلاق الصالحة، وهو في الوقت ذاته مهيمن عليها ومبيِّن ما وقع فيها من أخطاء وأغلاط وتحريف وتصحيف وتغيير وتبديل.

وإذا انتفت هذه الأخطاء التي أدخلها رجال الدين على الكتب السماوية وزوَّروها على الناس باسم الله - ظهر الحق واستبان، والتقى القرآن مع التوراة والإنجيل.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ

---

(١) سورة المائدة: الآيتان: (١٤، ١٥).

إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[(١)].

وإقامتها لا تتحقق إلا بعد تطهيرها من الزيف[(٢)].

* * *

* ما هي الكتب المُنزلة التي أخبرنا الله بها؟

* القرآن: وهو الكتاب المُنزَّل من الله على النبي محمد ﷺ.
* التوراة: وهي الكتاب المنزل من الله على نبي الله موسى عليه السلام.
* الإنجيل: وهو الكتاب المنزل من الله على نبي الله عيسى عليه السلام.
* الزبور: وهو الكتاب المنزل من الله على نبي الله داود عليه السلام.
* صحف إبراهيم عليه السلام.

* * *

* لماذا أنزل الله الكتب؟

أنزل الله الكتب من أجل أن يُخرج الناس من الظلمات إلى النور وليدعوهم بها إلى عبادة الله وتوحيده.

قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[(٣)].

* * *

ما هي ثمرات الإيمان بالكتب؟

وللإيمان بالكتب آثاره العظيمة على المؤمن فمن ذلك:

١- شكر الله تعالى على لُطفه بخلقه وعنايته بهم حيث أنزل إليهم

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٦٨).

(٢) العقائد الإسلامية (١٦٩). نقلاً عن الثمرات الزكية في العقائد السلفية / د. أحمد فريد (ص١٦٥-١٦٩).

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (١).

الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

٢- ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم الكتب القرآن العظيم مناسبًا لجميع الخلق في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة.

٣- إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين، وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثل كلامه[١].

أنواع الوحي

لتلقّي الوحي من الله تعالى طُرق بيّنها الله تعالى بقوله في سورة الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٢]. فأخبر الله تعالى أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الوحي المجرد: وهو ما يقذفه الله في قلب الموحَى إليه مما أراد بحيث لا يشك فيه أنه من الله. ودليله قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ ومثال ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن روح القُدُس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[٣].

والمقصود بروح القدس هو جبريل عليه السلام.

---

(١) أصول الإيمان (ص: ١٣٥).

(٢) سورة الشورى: الآية: (٥١).

(٣) صحيح: رواه البغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٠٤)، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٨٦٦).

وألحق بعض أهل العلم بهذا القسم رؤى الأنبياء في المنام كرؤيا إبراهيم عليه السلام على ما أخبر الله عنه في قوله: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾(١). وكرؤى النبي ﷺ في بداية البعثة على ما روى الشيخان من حديث عائشة ﵂ قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»(٢).

المرتبة الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة:

كما ثبت ذلك لبعض الرسل والأنبياء كتكليم الله تعالى لموسى على ما أخبر الله به في أكثر من موضع من كتابه.

قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(٣).

وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾(٤).

وكتكليم الله لآدم.

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾(٥).

وكتكليم الله تعالى لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة... ودليل هذه المرتبة من الآية قوله تعالى: ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾(٦).

---

(١) سورة الصافات: الآية: (١٠٢).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠).
(٣) سورة النساء: الآية: (١٦٤).
(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٤٣).
(٥) سورة البقرة: الآية: (٣٧).
(٦) سورة الشورى: الآية: (٥١).

المرتبة الثالثة: الوحي بواسطة الملك: ودليله قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[(١)] . وهذا كنزول جبريل عليه السلام بالوحي من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نزل بهذه الطريقة... تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل، وبلغه جبريل لمحمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[(٢)] .

وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[(٣)] .

وجبريل عليه السلام في تبليغه الوحي لنبينا ﷺ ثلاثة أحوال:

١- أن يراه الرسول ﷺ على صورته التي خُلق عليها ولم يحصل هذا إلا مرتين.

٢- أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس فيذهب عنه وقد وعى الرسول ﷺ ما قال.

٣- أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويخاطبه بالوحي[(٤)] .

* خصائص الإيمان بالقرآن:

الإيمان بكتب الله ركن عظيم من أركان الإيمان على ما تقدم تقريره، ولما كان القرآن العظيم هو الكتاب الناسخ للكتب السابقة والمهيمن عليها والمتعبد به لعامة الثقلين بعد بعثة نبينا محمد ﷺ

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٥١).

(٢) سورة الشعراء: الآيات: (١٩٢-١٩٤).

(٣) سورة النحل: الآية: (١٠٢).

(٤) أصول الإيمان (ص ١٣٠ - ١٣٢) بتصرف.

ونزول هذا الكتاب عليه، اختص الإيمان به بخصائص ومميزات لابد من تحقيقها للإيمان به بالإضافة إلى ما تم تقريره من مسائل في تحقيق الإيمان بالكتب إجمالاً.

وهذه الخصائص هي:

١- اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين من الجن والإنس لا يسع أحداً منهم إلا الإيمان به ولا أن يعبدوا الله إلا بما شرع فيه.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(١).

وقال تعالى مخبراً على لسان نبيه ﷺ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾(٢).

وقال تعالى إخباراً عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾(٣).

٢- اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة فلا يجوز لأهل الكتاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغيره، فلا دين إلا ما جاء به، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، ولا حلال إلا ما أحل فيه، ولا حرام إلا ما حرم فيه.... قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(٤).

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (١).
(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٩).
(٣) سورة الجن: الآيتان: (١-٢).
(٤) سورة آل عمران: الآية: (٨٥).

وقال تعالى: ﴿إنَّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾(١).

وقد تقدم في حديث جابر بن عبد الله نهى النبي ﷺ أصحابه عن قراءة كتب أهل الكتاب وقوله: . . . «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني»(٢).

٣- سماحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويُسرها، بخلاف الشرائع في الكتب السابقة. فقد كانت مشتملة على كثير من الآصار، والأغلال التي فُرضت على أصحابها.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(٣).

٤- أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٥).

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٠٥).
(٢) حسن: رواه أحمد، والدارمي، وحسنه الألباني رحمه الله في الإرواء (١٥٨٩).
(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٥٧).
(٤) سورة الحجر: الآية: (٩).
(٥) سورة فصلت: الآية: (٤٢).

وقال عز وجل مبينًا تكفله بتفسيره وتوضيحه على ما أراد وشرع: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾(١).

٥- أن القرآن الكريم مشتمل على وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غيره من الكتب المُنزلة، وهو فى الجملة المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية التى أيَّد بها نبيه ﷺ وأتباعه إلى قيام الساعة.

٦- أن الله تعالى بيَّن فى القرآن كل شىء مما يحتاج له الناس فى أمر دينهم، ودنياهم، ومعاشهم، ومعادهم.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾(٣).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أُنزل فى هذا القرآن كل علم، وكل شىء قد بُيِّن لنا فى القرآن».

٧- أن الله تعالى يسَّر القرآن للمتذكر والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾(٤).

٨- أن القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾(٥).

---

(١) سورة القيامة: الآيات: (١٧-١٩).

(٢) سورة النحل: الآية: (٨٩).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (٣٨).

(٤) سورة القمر: الآية: (١٧).

(٥) سورة المائدة: الآية: (٤٨).

وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾[١].

٩- أن القرآن مشتمل على أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله.

قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾[٤].

١٠- أن القرآن هو آخر كتب الله نزولاً وخاتمها والشاهد عليها.

قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[٦].

فهذه بعض خصائص القرآن الكريم على سائر الكتب الأخرى مما لا يتحقق الإيمان به إلا باعتقادها وتحقيقها علمًا وعملاً. والله تعالى أعلم[٧].

---

(١) سورة الشورى: الآية: (١٣).
(٢) سورة هود: الآية: (١٢٠).
(٣) سورة هود: الآية: (١٠٠).
(٤) سورة طه: الآية: (٩٩).
(٥) سورة آل عمران: الآيتان: (٣-٤).
(٦) سورة المائدة: الآية: (٤٨).
(٧) أصول الإيمان (ص١٤٩-١٥٥).

القرآن معجزة فريدة

لقد شاء الله تعالى أن تكون معجزة محمد ﷺ نمطًا مخالفًا لمعجزات الرسل، وكان قادرًا على أن يُنزل معجزة حسية تُذهل من يراها: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾(١).

فلو شاء الله تعالى لأنزل من السماء آية قاهرة لا يملكون معها جدالاً، ولا انصرافًا عن الإيمان، ولكنه سبحانه شاء أن يجعل معجزة هذه الرسالة الأخيرة آية غير قاهرة، لقد جعل آيتها القرآن، منهاج حياة كاملة.

لقد شاء الله أن يجعل هذا القرآن هو معجزة هذه الرسالة- ولم يشأ أن يُنزل آية قاهرة مادية تلوى الأعناق وتخضعها وتضطرها إلى التسليم- ذلك أن هذه الرسالة الأخيرة رسالة مفتوحة إلى الأمم كلها، وللأجيال كلها، وليست رسالة مغلقة على أهل زمان أو أهل مكان، فناسب أن تكون معجزتها مفتوحة كذلك للبعيد والقريب، لكل أمة ولكل جيل، والخوارق القاهرة لا تلوى إلا أعناق من يشاهدونها، ثم تبقى بعد ذلك قصة تُروى، لا واقعًا يشهد.... فأما القرآن فها هو ذا بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنًا كتاب مفتوح ومنهج مرسوم، يستمد منه أهل هذا الزمان ما يقوِّم حياتهم ويلبي حاجاتهم كاملة، ويقودهم بعدها إلى عالم أفضل، وأفق أعلى، ومصير أمثل، وسيجد فيه مَن بعدنا كثيرًا مما لم نجده نحن، ذلك أنه يعطى كل طالب بقدر حاجته، ويبقى رصيده لا ينفد، بل يتجدد(٢).

---

(١) سورة الشعراء، الآية: (٤).
(٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٥٨٥).

تحدى الله (عز وجل) الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن

تحداهم بالقرآن الكريم كله على أن يأتوا بمثله فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً... بقوله سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾[2]. فعجزوا وخاب ظنهم.

ثم تحداهم بسورة واحدة منه في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾[3].

وكرر هذا التحدي في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[4].

فقد ألجمهم القرآن الحجة فسُقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا.

قل فلله الحجة البالغة وإذا كان العرب -وهم أرباب البلاغة والفصاحة- قد عجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثل القرآن فغيرهم أشد عجزاً.

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٨٨).
(٢) سورة هود: الآيتان: (١٣، ١٤).
(٣) سورة يونس: الآية: (٣٨).
(٤) سورة البقرة: الآيتان: (٢٣، ٢٤).

وبذلك ثبت أن هذا القرآن من عند الله ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾(١).

معجزة القرآن أعظم المعجزات

إن من فضائل رسولنا محمد ﷺ أن الله تعالى قد أيده بالمعجزات الباهرة، تأييدًا منه سبحانه لعبده ورسوله محمد ﷺ، وبرهانًا على صدقه، ودليلاً على علو شأنه ورفعة مكانته عند ربه، وأعظم آية أعطيها رسول الله ﷺ القرآن الكريم؛ ولهذا يقول ﷺ: **«ما من الأنبياء نبى إلا قد أُعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أُوتيته وحيًا أوحاه الله إلىَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا يوم القيامة»**(٢).

قوله: «وإنما كان الذى أوتيته وحيًا أوحاه الله إلىَّ» أى: أن معجزتى التى تحديت بها الوحى الذى أُنزل علىَّ وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه.

وكانت معجزة كل نبى تقع مناسبة لحال قومه كما كان السحر فاشيًا عند فرعون فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا ولم يقع ذلك بعينه لغيره، وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا فى ذلك الزمان فى غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم

---

(١) سورة النساء: الآية: (٨٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

تصل قدرتهم إليه، ولهذا لما كان العرب الذين بُعث فيهم النبى ﷺ فى الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذى تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك.

وقيل: المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة.

وقيل: المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تُشاهَد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى، ومعجزة القرآن تُشاهَد بالبصيرة، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر.

❊ ❊ ❊

الإعجاز العلمى الذى احتوى عليه القرآن

القرآن لا تنقضى عجائبه، فكلما مرّ الزمن اكتشفت البشرية وجهًا جديدًا من إعجازه، فما إن دخل الناس فى عصر العلوم الكونية حتى وجدوا فى كتاب الله نبأ صدق ما وعدهم فى قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [(١)].

وإذا بالوعد يتحقق.

* حفظه من التغيير والتبديل:

ومن العلامات الإلهية فى القرآن كونه محفوظًا من التغيير والتبديل، مع مرور الأزمنة المتطاولة على نزوله، وكثرة المعادين والحاقدين والخصوم المتربصين به وبأهله، ومع ذلك لم تنله يد التغيير والتبديل، وما حصل من محاولات التحريف باءت جميعها بالفشل.

فهو محفوظ على مستوى الحرف الواحد بل على مستوى حركة الحرف الواحد، وإنك لتسمع القرآن اليوم يذاع من إذاعات العالم المختلفة ومن الدول المعادية للإسلام[(٢)]، فإذا هو القرآن المعروف الذى أُنزل على محمد ﷺ.

وهذا كله تصديق لوعد الله سبحانه الذى تكفل بحفظه فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [(٣)].

* علومه الواسعة:

اشتمل القرآن على علوم ومعارف تهدى البشر إلى طريق الحق

---

(١) سورة فصلت: الآية: (٥٣).

(٢) تذيع هذه الدول القرآن تأليفًا لقلوب عامة المسلمين.

(٣) سورة الحجر: الآية: (٩).

والصواب والسعادة في جميع شؤونهم في حياتهم الدنيا والآخرة، وتجنبهم الشر بحذافيره، في كل زمان ومكان، وقد بلغت هذه العلوم من دقة المعلومات، وصحة الأخبار، ونبالة القصد، ونصاعة الحجة، وحسن الأثر، وعموم النفع مبلغًا يستحيل على محمد ﷺ - وهو رجل أُمّي نشأ بين أُميّين - أن يأتي بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعًا من علماء وأدباء وفلاسفة وأخلاقيين أن يأتوا بمثلها من تلقاء أنفسهم ولو تظاهروا على ذلك[١]، فالعلوم التي في القرآن تدل كل عاقل ومنصف على أنه من عند الله، ولا يمكن أن تكون من عند غيره، ونضرب لك ثلاثة أمثلة مما احتوى عليه من العلوم:

* **إخباره بالغيب الماضي والحاضر والمستقبل:**

فمن إخباره بالغيب الماضي: إخباره بقصص الأمم السابقة التي لم يشهدها محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو قومه، مثل قصة نبي الله نوح - عليه السلام - مع أمته التي كانت من أقدم الأمم على الأرض.

وأخبر الله سبحانه نبيه في القرآن بعد أن ذكر قصة نوح - عليه السلام - مع قومه في سورة هود أن هذه القصة من أخبار الغيب التي لم يكن محمد ﷺ يعلمها ولا قومه، وإنما ساقها الله للعبرة ولتسلية نبيه محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

---

(١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٢/ ٣٦٦).
(٢) سورة هود: الآية: (٤٩).

ولو أن الكفار فى عهد النبى ﷺ كانوا يعلمون شيئًا من ذلك لكانت فرصة لتكذيب النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم لاذوا بالصمت.

وكما أخبر القرآن بالغيب الماضى فقد أخبر ببعض الحوادث التى لم يشهدها رسول الله ﷺ - وهى فى زمنه فكانت غيبًا بالنسبة له - فأطلعه الله عليها، ومن ذلك:

أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أسرَّ إلى بعض أزواجه أنه قد حرم على نفسه شرب العسل الذى عند بعض نسائه، لما ظن أن فيه رائحة غير مستحسنة، وأمرها ألا تخبر بذلك أحدًا، فأخبرت بعض نسائه بذلك، فأطلعه الله سبحانه على ذلك وأخبرها به، فسألته عمَّن أخبره بذلك الغيب فأخبرها أنه الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ[1] عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ[2] فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[3].

وهناك نوع آخر من الغيب كشفه الوحى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الغيب المكنون فى المستقبل الذى لا سبيل لأحد من البشر أن يعرفه. ومن أمثلته ما وعد الله به المؤمنين من الاستخلاف فى الأرض مع أنهم كانوا قلة مستضعفة،.... قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

---

(١) أطلعه الله عليه.

(٢) يعنى: ذكر لها بعض ما أخبرت به، وسكت عن البعض الآخر تكرمًا.

(٣) سورة التحريم: الآية: (٣).

كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ (١).

وقد تحقق ذلك الوعد فخلال قرن من الزمان انتصر المؤمنون على الدولتين العظيمتين فى ذلك الوقت وفتحوا الأرض شرقًا وغربًا ودانت لهم شعوبها بالإسلام ودخلوا فى دين الله أفواجًا.

ومن أمثلة الإخبار بغيب المستقبل أن يقرر القرآن أن أشخاصًا مُعينين بأسمائهم لن يُسلموا وأنهم سيموتون على الكفر، وكان بإمكانهم أن يكذبوا القرآن ولو تظاهروا بالإسلام تظاهرًا، ولكنهم لم يخرجوا عما قرره القرآن فى حقهم، بالرغم من إسلام الأعداد الكثيرة ممن كانوا أشد الناس عداوةً له. ومن ذلك ما ذكره سبحانه عن أبى لهب أنه من أهل النار.

قال تعالى: ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ⟨١⟩ ما أغنى عنه ماله وما كسب ⟨٢⟩ سيصلى نارا ذات لهب ⟨٣⟩ وامرأته حمالة الحطب ﴾ (٢) وكذلك إخباره عن الوليد بن المغيرة أنه سيصلى النار... قال تعالى: ﴿ سأصليه سقر ﴾ (٣) وكان الأمر كذلك فمات أبو لهب كافرًا، ومات الوليد كافرًا، إلى غير ذلك من الأمثلة (٤).

❊ ❊ ❊

(١) سورة النور: الآية: (٥٥).
(٢) سورة المسد الآيات: (١: ٤).
(٣) سورة المدثر الآية: (٢٦).
(٤) انظر مزيدًا من الأمثلة على إخبار القرآن بالغيب فى الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٧٠-٧٩).

مراحل جمع القرآن الكريم

لم يُجمع القرآن الكريم فى مصحف على عهد رسول الله ﷺ وحكمة ذلك أنه مادام الرسول ﷺ حيًا فهو على رجاء نزول الوحى، وما استبان أن ما نزل عليه هو كل القرآن إلا بوفاته، لكى ينبغى أن يُعلَم أنه ما فارق النبى ﷺ هذه الدار حتى كانت كل آيات القرآن مكتوبة فى الرقاع[1] والعُسُب[2] وغيرهما.

* جمع القرآن الكريم فى عهد أبى بكر:

فلما قام بالأمر بعده أبو بكر رضي الله عنه وكانت وقعة اليمامة [3] التى قُتل فيها كثير من القراء أشار عمر على أبى بكر رضي الله عنهما بجمعه فى الصحف، خشية أن يذهب بذهاب القراء.

فتردد أبو بكر أول الأمر لأنه فِعْلٌ لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ثم ارتاح لرأى عمر، لما فيه من المصلحة، وكان أن أحضر زيد بن ثابت لأنه كان أشهر كُتاب الوحى، ومن أحفظهم للقرآن وأقنعه بوجوب جمعه.

* وها هى قصة جمع القرآن فى عهد أبى بكر رضي الله عنه:

جهز أبو بكر رضي الله عنه جيشًا بقيادة خالد بن الوليد فى جمع كثير من الصحابة لمحاربة (مسيلمة الكذاب) - عليه من الله ما يستحقه -، فحاربوه أشد محاربة إلى أن خذله الله، وقتله... وقتل فى غضون

---

(١) الرقاع: جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق.
(٢) العُسب: جمع عسيب وهو جريد النخيل.
(٣) وقعة اليمامة: الواقعة التى اشتبك فيها المسلمون بمسيلمة الكذاب فى أهل اليمامة زمن الردة.

ذلك من الصحابة جماعة كثيرة من حملة القرآن، قيل: سبعمائة، وقيل: أكثر، وذلك في موقعة اليمامة، فبدأ التفكير في جمع القرآن قبل أن يُقتل الباقون.

ولنستمع القصة من كاتب وحي رسول الله ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه يقول زيد: أرسل إليَّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة -أي: عقب مقتل اليمامة- فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقُراء القرآن، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟!

قال عمر: هذا والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

وفي رواية: يقول زيد: فقال لي أبو بكر: «إن هذا دعاني إلى أمر، وأنت كاتب الوحي فإن تك معه اتبعتكما، وإن توافقني لا أفعل» فاقتضى قول عمر فنفرت من ذلك[1]، فقال عمر كلمة: وما عليكما لو فعلتما؟ قال: فنظرنا فقلنا: لا شيء والله ما علينا.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه.

---

(١) قال ابن بطال: إنما نفر أبو بكر أولاً، ثم زيد بن ثابت ثانيًا؛ لأنهما لم يجدا رسول الله ﷺ فعله فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول ﷺ فلما نبههما عمر على فائدة ذلك وأنه خشية أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن، فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة، رجعا إليه. فتح الباري (٨/ ٦٣٠).

فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير.

لم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب[(١)] واللُّخاف[(٢)] وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[(٣)] حتى خاتمة براءة.

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته - أي طوال حياته- ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما[(٤)].

وقد كان الاعتماد في هذا الجمع على ما يجدونه مكتوبًا، وما كان محفوظًا ولا يكتفون بمجرد الحفظ، وذلك زيادة في التثبت فقد روى أنه لم يغير فيما كان في بيت النبوة من الصحف على قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[(٥)] فلم يكتف زيد رضي الله عنه بحفظه لها، ولا حفظ العدد الكثير الذي يحصل به التواتر، ومازال يجدّ في البحث عنها حتى عثر عليها مكتوبة عند خزيمة بن ثابت، وبذلك تم جمع القرآن وأقره على ما جمع كل الصحابة، من المهاجرين والأنصار

(١) العسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.
(٢) اللخاف: قيل: هي الحجارة الرقاق، وقيل: هي صحائف الحجارة الرقاق.
(٣) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).
(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٩٨٦).
(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٢٣).

وتحقق وعد الله بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

* جمع القرآن فى عهد سيدنا عثمان:

لقد جدَّ فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ما أوجب نسخ القرآن فى مصاحف عدة وتوزيعها على الأمصار.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن: حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق(٢).

ونخلص من ذلك إلى أن جمع القرآن فى عهد النبى ﷺ كان عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها، ووضعها فى مكانها الخاص من سورها، وكان الغرض من هذا الجمع زيادة التوثق للقرآن، أما الجمع

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٩٨٧).

فى عهد أبى بكر رضي الله عنه فقد كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته فى صحف مرتبة الآيات مستوثقًا له بالتواتر والإجماع وكان الغرض منه تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة مجموعًا مرتبًا خشية ذهاب شيء منه بموت حملته، وحُفاظه. وأما الجمع فى عهد عثمان رضي الله عنه فقد كان عبارة عن نقل ما فى تلك الصحف فى مصحف واحد إمام، واستنساخ مصاحف منه تُرسَل إلى الآفاق الإسلامية.

فضيلة تلاوة القرآن

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١].

وقال ﷺ: «إن لله تعالى أهلينَ من الناس» قالوا: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن، هُمْ أهل الله وخاصَّتُهُ»[٢].

وقال ﷺ: «أوصيك بتقوى الله تعالى؛ فإنه رأسُ كلِّ شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه رَوْحُكَ فى السَّماء، وَذِكْرُكَ فى الأرض»[٣].

وقال ﷺ: «خَيْرُكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[٤].

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٢٩، ٣٠).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح ابن ماجه (١٧٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١١٣٦٥)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٥٥٥).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٥٠٢٧).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يرفعُ بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»[١].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مثلُ الأُترجَّة[٢] ريحُها طيِّب وطعمها طيِّب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثلُ التَّمرة لا ريح لها وطعمها حُلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الرَّيحانة ريحُها طيِّب وطعمها مُرّ، ومثلُ المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريحٌ وطعمُها مُرٌّ»[٣].

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[٤].

وقال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارْقَ ورَتِّلْ كما كنتَ تُرتِّل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها»[٥].

وقال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البَرَرَة، والذي يقرؤه ويَتتعتعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجران»[٦].

وقال رسول الله ﷺ: «من قرَأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨١٧).
(٢) الأترجة: بضم الهمزة والراء، وهي معروفة، من فصيلة الحمضيات: طيب الرائحة.
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٤٢٧)، ومسلم (٧٩٧).
(٤) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤).
(٥) صحيح: رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٦٧٦٠)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٤٠).
(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

والحسنة بِعَشْرِ أمثالها، لا أقول: ﴿آلم﴾ حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميم حرف»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «من سَرَّه أن يحبَّ الله ورسوله فليقرأ في المصحف»[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتين: رجلٌ آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناءَ الليل وآناءَ النهار، ورجلٌ آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتين: رجلٌ علَّمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جارٌ له، فقال: ليتني أوتيتُ مثل ما أوتيَ فلان، فعملتُ مثل ما يعمل.....»[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ: «يَجيءُ القرآنُ يوم القيامة فيقول: يا رب، حَلِّه، فيُلْبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ! زِدْه. فيُلْبَسُ حُلَّةَ الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ، ارضَ عنه. فيرضى عنه، فيقول: اقرأ، وارق، ويزداد بكل آية حسنة»[(٥)].

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٩١٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٣٢٧).

(٢) حسن: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٠٨)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٣٤٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٥٠٢٦).

(٥) حسن: رواه الترمذي (٢٩١٥)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٠٣٠).

مقارنة بين الرسالات السماوية(١)

وها نحن نعقد مقارنة سريعة جداً بين الرسالات السماوية وذلك من خلال عدة جوانب منها.

أولاً: مصدرها والغاية منها:

الكتب السماوية مصدرها واحد ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾(٢). والكتب السماوية كلها أنزلت لغاية واحدة وهدف واحد، . . أنزلت لتكون منهج حياة للبشر الذين يعيشون في هذه الأرض تقودهم بما فيها من تعاليم وتوجيهات وهداية، أُنزلت لتكون روحًا ونورًا تحيي نفوسهم وتنيرها، وتكشف ظلماتها وظلمات الحياة.

ثانياً: الرسالة العامة والرسالة الخاصة:

الرسالات السماوية السابقة أنزلت لأقوام بأعيانهم، والرسالة الخاتمة التي أُنزلت على خاتم الأنبياء والرسل رسالةٌ عامة للبشرية كلها بل عامة للإنس والجن، وهذا يقتضي أن تمتاز هذه الرسالة عن غيرها من الرسالات بما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان، وقد جعلها الله كذلك، وأنزل على رسوله ﷺ قبيل وفاته ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾(٣).

---

(١) بتصرف من كتاب (الرسل والرسالات)/ للدكتور عمر الأشقر (حفظه الله).
(٢) سورة آل عمران: الآيات: (١-٤).
(٣) سورة المائدة: الآية: (٣).

لقد جمعت الشريعة الخاتمة محاسن الرسالات السابقة، وفاقتها كمالاً وجلالاً.... يقول الحسن البصرى رضي الله عنه: «أنزل الله مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان (القرآن) ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان»[١].

ثالثا: حفظ الرسالات:

لما كانت الرسالات السابقة مرهونة بوقت وزمان فإنها لا تُخلَّد ولا تبقى، ولم يتكفل الله بحفظها، وقد وكَّل حفظها إلى علماء تلك الأمة التى أُنزلت عليها، فالتوراة وُكِّل حفظها إلى الربانيين والأحبار، ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾[٢].

ولم يطق الربانيون والأحبار حفظ كتابهم، وخان بعضهم الأمانة فغيروا وبدلوا وحرفوا، وحسبك أن تطالع التوراة لترى ما حلّ فيها من تغيير وتبديل، لا فى الفروع، بل فى الأصول، فقد نسبوا إلى الله ما يقشعر الجلد لسماعه، ونسبوا إلى الرسل ما يترفع الرعاع عن نسبته إليهم.

أمّا هذه الرسالة الخاتمة فقد تكفل هو بحفظها، ولم يكل حفظها إلى البشر... قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣].

وانظر اليوم فى هذا العالم شرقه وغربه لترى العدد الهائل الذى يحفظ القرآن عن ظهر قلب[٤]، بحيث لو شاء ملحد أو يهودى أو

---

(١) الإكليل للسيوطى: (أضواء البيان: ٣/٣٢٦).
(٢) سورة المائدة: الآية: (٤٤).
(٣) سورة الحجر: الآية: (٩).
(٤) كان من أسباب هذا الحفظ تيسير الله لتلاوة القرآن وحفظه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٢].

صليبى تغيير حرف منه فإنّ صبيًا صغيراً، أو ربة بيت، أو عجوزاً لا يبصر طريقه - يستطيعون الردَ عليه وبيان خطئه، وافترائه، ناهيك عن العلماء الذين حفظوه وفقهوا معانيه، وتشبعوا بعلومه . .

وانظر إلى تاريخ هذا الكتاب وكم نال من عناية ورعاية فى تدوينه وتفسيره وإعرابه وقصصه وأخباره وأحكامه.

ما كان ذلك ليكون لولا ذلك الحفظ الإلهى الربانى، وسيبقى هذا الكتاب إلى أن يأذن الله بزوال هذا الكون ودماره.

أنواع التحريف التى وقعت فى كتب أهل الكتاب

إن ما بأيدى أهل الكتاب اليوم من الكتب هى مما وقع فيه التحريف بنص القرآن، وهذا التحريف أنواع:

١- تحريف كتابة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾(١)، فهذا النوع هو أن يكون الكتاب نفسه محرفًا لأنهم كتبوه ونسبوه إلى الله سبحانه وتعالى. . . ونص الآية واضحٌ وصريح.

٢- تحريف لسان:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٢)، وهذه الآية أيضًا نصٌ واضح

(١) سورة البقرة: الآية: (٧٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٧٨).

في أنهم يحرفون بألسنتهم، ويزعمون كلامًا يقولون إنه من الكتاب المقدس ومن عند الله، وما هو من عند الله.

٢- تحريف المعاني:

وهو أن يظل اللفظ موجودًا لكنهم يحرفون معناه.

قال سبحانه وتعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾(١)، وإنما ذكرنا هذه الآية خصوصًا، لأجل أنها ثابتة في آية الرجم التي هي موجودة في التوراة بلفظها، وادَّعى اليهود أن عندهم في الزنا بعد الإحصان الجلد والتحميم.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضًا لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيَّروا فكتبوا بأيديهم الكتب قالوا هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمنًا قليلاً»(٢).

وقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب عندما وجده يقرأ في بعض هذه الكتب: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية»(٣)، فدلَّ ذلك على أن غير القرآن وغير شرعة الإسلام ليس أبيض ولا نقيًّا، وإلا لما غضب النبي ﷺ عندما رأى في يد عمر رضي الله عنه صحيفة من صحف أهل الكتاب قد استنسخها،

(١) سورة المائدة: الآية: (٤١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٦٨٥، ٧٣٦٣، ٧٥٢٢، ٧٥٢٣).

(٣) حسن: رواه أحمد، والدارمي، وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء (١٥٨٩).

وأراد أن يتعلم منها، . . . فالله عز وجل قد أخبرنا - كما أخبر
الرسول ﷺ - أن ما بأيديهم ليس نقيًا وليس أبيض، وليس كم
جاءت به الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فإن قال قائل: كيف إذًا قدر الله أن يبدل الناس كلامه؟

فالجواب أن الله عز وجل جعل هذه الكتب مؤقتة بزمن، وكا
نبي يأتي ليقود قومه بما أوجب الله عز وجل عليهم في هذه الكتب
وهو سبحانه وتعالى لم يَعِد بحفظ هذه الكتب كما أُنزلت، وحَفِ
القرآن الكريم الذي تبقى شريعته إلى آخر الزمان، فحاجة الناس إل
كتاب متضمن لشريعة محفوظة من التبديل والتحريف بوعد الل
سبحانه وتعالى قد تحققت بوجود القرآن، وهم في الحقيقة لم يغير
كلام الله عز وجل، وإنما خدعوا أتباعهم بأن كتبوا وقالوا للناس: إ
هذه هي التي أنزلها الله، وأدخلوا في الكتب ما ليس منها، وأ
الذي أنزله الله وتكلم به فهو عنده سبحانه وتعالى لا تبديل فيه و
تحريف، فلا تبديل لكلمات الله التي تكلم بها وأنزلها كما قال ع
وجل: ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[1][2].

رابعًا: مواضع الاتفاق والاختلاف في الرسائل السماوية:

(١) مواضع الاتفاق:

أ - الدين الواحد:

فإننا إذا استعرضنا دعوة الرسل التي أشار إليها القرآن نجد أ
الدين الذي دعت إليه الرسل جميعًا واحد هو الإسلام، ﴿إنَّ الدي

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٦٤).

(٢) المنة شرح اعتقاد أهل السنة / د. ياسر برهامي (٢٤٧-٢٤٩).

عند الله الإسلام﴾[١] ، فنوح يقول لقومه : ﴿وأمرت أن أكون
المسلمين﴾[٢]، والإسلام هو الدين الذى أمر الله به أبا الأنبيـ
إبراهيم ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾[٣] . ويوصى
من إبراهيم ويعقوب أبناءه قائلاً : ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾
وأبناء يعقوب يجيبون أباهم : ﴿نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسما
وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾[٥] وموسى يقول لقومه : ﴿يا
إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾[٦] . والحواريون يقو
لعيسى : ﴿آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾[٧] . وحين سمع فريق
أهل الكتاب القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قـ
مسلمين﴾[٨] .

فالإسلام شعار عام كان يدور على ألسنة الأنبياء وأتباعهم
أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية .

* كيف يتحقق الإسلام:

الإسلام هو الطاعة والانقياد والاستسلام لله تعالى ، بفعل ما
به ، وترك ما ينهى عنه ، ولذلك فإن الإسلام فى عهد نوح يـ
باتباع ما جاء به نوح ، والإسلام فى عهد موسى يكون باتباع شر

(١) سورة آل عمران : الآية : (١٩) .
(٢) سورة يونس : الآية : (٧٢) .
(٣) سورة البقرة : الآية : (١٣١) .
(٤) سورة البقرة : الآية : (١٣٢) .
(٥) سورة البقرة : الآية : (١٣٣) .
(٦) سورة يونس : الآية : (٨٤) .
(٧) سورة آل عمران : الآية : (٥٢) .
(٨) سورة القصص : الآية : (٥٣) .

موسى، والإسلام في عهد عيسى يكون باتباع الإنجيل، والإسلام في عهد محمد ﷺ يكون بالتزام ما جاء به الرسول الكريم ﷺ.

ب - الدعوة إلى التوحيد والعقيدة:

فهذا هو جوهر الرسالات السماوية.. فكل الأنبياء والمرسلين إنما جاءوا لدعوة الناس إلى الإيمان والتوحيد.

فنوح يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[(١)].

وإبراهيم قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٢)].

وهود قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[(٣)].

وصالح قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[(٤)].

ومرة ينص على أنه أرسل الرسل جميعًا بهذه المهمة الواحدة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[(٥)].

ومرة يبين أنها وصية الرسل والأنبياء لمن بعدهم ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾[(٦)].

ومرة ينص على وحدة الدين الذي شرعه للرسل العظام: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ

(١) سورة الأعراف: الآية: (٥٩).
(٢) سورة العنكبوت: الآية: (١٦).
(٣) سورة الأعراف: الآية: (٦٥).
(٤) سورة الأعراف: الآية: (٧٣).
(٥) سورة الأنبياء: الآية: (٢٥).
(٦) سورة البقرة: الآية: (١٣٣).

وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(١).

ج- القواعد العامة:

والكتب السماوية تقرر القواعد العامة التى لا بدّ أن تعيها البشرية فى مختلف العصور كقاعدة الثواب والعقاب، وهى أنّ الإنسان يُحاسَب بعمله، فيُعاقَب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤاخَذ بذنوب غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعى غيره ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾(٢).

ومن ذلك أن الفلاح الحقيقى يتحقق بتزكية النفس بمنهج الله والعبودية له، وإيثار الآجل على العاجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾(٣).

ومن ذلك أن الذى يستحق وراثة الأرض هم الصالحون ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(٤).

ومما اتفقت فيه الرسالات أنها بيّنت المنكر والباطل ودعت إلى محاربته وإزالته، سواءٌ أكان عبادة أوثان، أو استعلاء فى الأرض، أو انحرافًا عن الفطرة كفعل قوم لوط، أو عدوانًا على البشر وأحوالهم بقطع الطريق والتطفيف بالميزان.

(١) سورة الشورى: الآية: (١٣).
(٢) سورة النجم: الآيات: (٣٦-٤١).
(٣) سورة الأعلى: الآيات: (١٤-١٩).
(٤) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٥).

(٢) مواضع الاختلاف:

إذا كان الدين الذى جاءت به الرسل واحدًا وهو الإسلام فإن شرائع الأنبياء مختلفة... فشريعة عيسى تخالف شريعة موسى فى بعض الأمور، وشريعة محمد ﷺ تخالف شريعة موسى وعيسى فى أمور... قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(١).

والشرعة: هى الشريعة وهى السنة.

والمنهاج: الطريق والسبيل.

وليس معنى ذلك أن الشرائع تختلف اختلافًا كليًا، فالناظر فى الشرائع يجد أنها متفقة فى المسائل الأساسية... ولو تأملنا فى النصوص التى تتحدث عن تشريع الله للأمم السابقة الصلاة والزكاة والحج، لوجدنا أن الاختلاف بينها إنما يكون فى بعض التفاصيل.

فأعداد الصلوات وشروطها وأركانها ومقادير الزكاة ومواضع النسك ونحو ذلك قد تختلف من شريعة إلى شريعة، وقد يحلّ الله أمرًا فى شريعة لحكمة، ويحرمه فى شريعة أخرى لحكمة.

خامسًا: الطول والقصر ووقت النزول:

القرآن الكريم أطول الكتب السماوية وأشملها.

ففى الحديث: «أُعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأُعطيت مكان الزبور المئين وأُعطيت مكان الإنجيل المثانى، وفُضِّلت بالمفصّل»(٢).

والكتب السماوية المعروفة لنا كلها أُنزلت فى شهر رمضان.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٤٨).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٥٩).

فقد قال النبي ﷺ: «أُنزلت صحفُ إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأُنزلت التوراة لستٍّ مضت من رمضان، وأنزل الإنجيلُ لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآنُ لأربعٍ وعشرين خلت من رمضان»(١).

سادسًا: موقف الرسالة الخاتمة من الرسالات السابقة:

بيَّن الله هذا في جزء من آية في كتابه، ... قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(٢).

وكون القرآن مصدقًا لما بين يديه من الكتاب تحقّق من وجوه:

الأول: أن الكتب السماوية المتقدمة تضمنت ذكر هذا القرآن ومدحه، والإخبار بأن الله سيُنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ، فكان نزوله على الصفة التي أخبرت بها الكتب السابقة تصديقًا لتلك الكتب، مما زادها صدقًا عند حامليها من ذوي البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله، وصدقوا رسل الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾(٣). أي إن كان ما وعدنا الله في كتبه المتقدمة وعلى ألسنة رسله من إنزال القرآن وبعثة محمد لمفعولاً، أي: لكائنًا لا محالة ولا بدّ»(٤).

الثاني: أن القرآن جاء بأمور صدّق فيها الكتب السماوية السابقة،

(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٩٧).
(٢) سورة المائدة: الآية: (٤٨).
(٣) سورة الإسراء: الآيتان: (١٠٧-١٠٨).
(٤) تفسير ابن كثير: (٢/٥٨٦) بشيء من التصرف.

بموافقته لها ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾(١). واستيقان الذين أوتوا الكتاب إنما يكون بسبب علمهم بهذا من كتبهم.

الثالث: أن القرآن أخبر بإنزال الكتب السماوية، وأنها من عند الله، وأمر بالإيمان بها كما سبق بيانه.

والقرآن قائم على الكتب السماوية التى أُنزلت من قبل يأمر بالإيمان بها، ويبين ما فيها من حق، وينفى التحريف والتغيير الذى طرأ عليها، وهو حاكم على تلك الكتب لأنه الرسالة الإلهية الأخيرة التى يجب المصير إليها، والرجوع إليها، والتحاكم إليها، وكل ما خالفها مما جاء فى الرسالات السابقة فهو إما مُحرف مُغيَّر، وإمَّا منسوخ.

* عدم حاجة الشريعة الخاتمة إلى غيرها:

الشريعة الإلهية الخاتمة لا تحتاج إلى شريعة سابقة عليها، ولا إلى شريعة لاحقة لها، بخلاف شريعة المسيح فقد أحال المسيح أتباعه فى أكثر الشريعة على التوراة، وشريعة الإنجيل مكملة لشريعة التوراة، ولهذا كان النصارى محتاجين إلى كتب النبوات المتقدمة على المسيح كالتوراة والزبور، وكان الأمم من قبلنا محتاجين إلى محدثين، بخلاف أمة محمد ﷺ، فإن الله أغناهم به، فلم يحتاجوا معه إلى نبى ولا محدَّث(٢).

(١) سورة المدثر: الآية: (٣١).

(٢) راجع فى هذا البحث مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١١/٢٢٤.

رابعاً: الإيمان بالرسل(١)

الركن الرابع من أركان العقيدة هو: الإيمان بالرسل - عليهم الصلاة والسلام-، والرسل جمع رسول، والرسول مَن أوحى إليه وأُمر بالتبليغ، أما من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبى وليس برسول، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً.

* ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله - تعالى- بعث فى كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله - عز وجل -: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٣).

* وينبغى الاعتقاد بأن كلهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرامٌ بررة أتقياء أمناء، هداة مهتدون وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأن الكفر بواحد منهم كفر بجميعهم، بل

(١) انظر معارج القبول - ولوامع الأنوار البهية - والعقائد الإسلامية - ورسائل فى العقيدة.
(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٨٥).
(٣) سورة الرعد: الآية: (٧).

كـفـر بالإيمـان كله - قـال الله - عـز وجل -: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[(١)]، وإنّما أرسل إليهم نوح وحده، فكان تكذيبهم نوحًا عليه السلام تكذيبًا لكل الرسل؛ لأن دعوة الرسل واحدة وهي دعوة التوحيد.

* وينبغي الاعتقاد بأنهم بلّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفًا واحدًا، ولم يغيروه، ولم يزيدوا فيه من أنفسهم حرفًا، ولم ينقصوه، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين.

قال الله - عز وجل - مخبرًا عن خاتمهم - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[(٢)].

* وينبغي الاعتقاد بأنهم كانوا على الحق المبين والهدى المستبين، وأن الله - تعالى - اتخذ إبراهيم خليلاً كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[(٣)]، واتخذ محمدًا ﷺ خليلاً كما قال ﷺ: «لو كنت متخذًا من البشر خليلاً؛ لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله»[(٤)].

* وكلّم الله موسى تكليمًا كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[(٥)]، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته إلى مريم وروح منه.

---

(١) سورة الشعراء: الآية: (١٠٥).
(٢) سورة الحاقة: الآيات: (٤٤-٤٧).
(٣) سورة النساء: الآية: (١٢٥).
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٨٣).
(٥) سورة النساء: الآية: (١٦٤).

* وينبغي الاعتقاد بأن الله - عز وجل - فضَّل بعضهم على بعض كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(١).

وقال - عز وجل -: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾(٢)، أما قوله ﷺ: «لا تفضلوا بين أنبياء الله»(٣)، فالمقصود بذلك التفضيل بمجرد التشهي وبغير دليل شرعي، أو التفضيل في النبوة ذاتها، أو التفضيل بغرض تنقيص المفضول.

* وينبغي الاعتقاد بأن دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم واحدة وهي دعوة الإسلام... قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(٤)، فأصل الدين وهو توحيد الله - عز وجل - بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ونفي ما يضاد ذلك واحد عند جميع الرسل كما قال الله - عز وجل -: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(٥).

وأما فروع الفرائض من الحلال والحرام فقد تختلف فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء، ويخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك، ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٣).
(٢) سورة الإسراء: الآية: (٥٥).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤١٥)، ومسلم (٢٣٧٣).
(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٩).
(٥) سورة الشورى: الآية: (١٣).

قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[(١)].

وهؤلاء الرسل منهم مَن قصَّه الله علينا فذكرهم بأسمائهم، ومنهم من لم يقصصه... كما قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[(٢)].

أما الذين قصَّهم الله علينا فعددهم خمسة وعشرون، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[(٣)].

وقد جمعت هذه الآيات ثمانية عشر رسولاً، ويجب الإيمان بسبعة آخرين مذكورين في عدة آيات:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[(٤)].

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾[(٥)].

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾[(٦)].

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾[(٧)].

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٤٨).
(٢) سورة النساء: الآية: (١٦٤).
(٣) سورة الأنعام: الآيات: (٨٣-٨٦).
(٤) سورة آل عمران: الآية: (٣٣).
(٥) سورة الأعراف: الآية: (٦٥).
(٦) سورة هود: الآية: (٦١).
(٧) سورة هود: الآية: (٨٤).

رحمتنا إنهم من الصالحين ﴾(١).

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾(٢).

* ولم تخلُ أمة من رسول يدعوها إلى الله ويرشدها إلى الحق.

كما قال تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾(٣).

وقال: ﴿ولكل أمة رسول﴾(٤).

والرسول بشر من نفس الأمة... كما قال الله - عز وجل - حاكيًا عن خاتمهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾(٥).

ومما يدل على بشريتهم كذلك أنهم يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، ويتزوجون... كما قال - عز وجل -: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾(٦).

وقال عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾(٧).

ويتعرض الرسول لما يتعرض له سائر البشر من المرض والموت، قال الله - عز وجل -: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾(٨).

(١) سورة الأنبياء: الآيتان: (٨٥، ٨٦).
(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).
(٣) سورة فاطر: الآية: (٢٤).
(٤) سورة يونس: الآية: (٤٧).
(٥) سورة الكهف: الآية: (١١٠).
(٦) سورة الفرقان: الآية: (٢٠).
(٧) سورة الرعد: الآية: (٣٨).
(٨) سورة الأنبياء: الآية: (٨٣).

والرسول لا يعلم الغيب، ولا يملك ضرًا ولا نفعًا.

قال عز وجل عن رسوله محمد ﷺ: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١].

والرسول لا يكون إلا رجلاً، فلم يرسل الله ملكًا ولا أنثى.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾[٢].

وقال عز وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً﴾[٣].

فالرسل بشر من البشر، وإن كانوا من معدن كريم خصه الله بمواهب عقلية وروحية، واصطنعهم الله - عز وجل - لنفسه، ورباهم على عينه.... قال الله - عز وجل -: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٤].

وقال عز وجل: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٥].

وإنما خص الله الرسول بمزايا وفضائل؛ ليقوى على الاضطلاع بأعباء الرسالة، وليكون مثالاً يقتدى به في أمور الدين والدنيا، ولو لم يتميز رسل الله بهذه الخصائص العقلية والروحية، لما كانوا أهلاً لحمل الرسالة،... وينبغي الاعتقاد كذلك بعصمة الرسل

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٨٨).
(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٧).
(٣) سورة الإسراء: الآية: (٩٥).
(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٢٤).
(٥) سورة الحج: الآية: (٧٥).

الكرام، بل وسائر الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾(١)، ومعنى العصمة أنهم لا يتركون واجبًا، ولا يفعلون محرمًا، ولا يقترفون ما يتنافى مع الخلق الكريم.

وينبغي الاعتقاد كذلك بأن الله - عز وجل - قد حلاَّهم بالأخلاق العظيمة من الصدق والأمانة والطُّهر والنزاهة، وتولى عز وجل تأديبهم وتهذيبهم وتربيتهم وتعليمهم، حتى صاروا قممًا شامخة وأهلاً للاصطفاء والاجتباء.

قال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾(٢).

وينبغي أن نعتقد أن أفضل الرسل هم أولوا العزم منهم، والمشهور أنهم محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى - صلى الله عليهم وسلم -.

وقد ذكرهم الله - عز وجل - في آيتين:

الأولى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(٣).

الثانية: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٦١).
(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٧٣).
(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٧).
(٤) سورة الشورى: الآية: (١٣).

وينبغي أن نعتقد كذلك أن أفضل الرسل على الإطلاق - هو رسولنا محمد ﷺ.

وأدل دليل على رفعة درجة النبي ﷺ ما جاء في سورة آل عمران من تبشير الأنبياء به، وأخذ العهد والميثاق عليهم بالإيمان به ونصرته إذا هم أدركوا بعثته: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[(١)].

وروى عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «والله لو كان موسى حيًّا بين أظهركم، ما وسعه إلا أن يتبعني»[(٢)].

وينبغي أن نعتقد كذلك أن رسولنا محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء وأن النبوة قد انقطعت بعده ﷺ، فلا نبوة ولا رسالة بعد رسولنا ﷺ.... قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[(٣)]، وقال ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا، فأكملها وأحسنها، إلا موضع لبنة، فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة، فأنا موضع اللبنة، خُتم بي الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -»[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٨١).
(٢) حسن: رواه أحمد، والدارمي، وحسنه الألباني رحمه الله في الإرواء (١٥٨٩).
(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٣٤)، ومسلم (٢٢٨٧).

وينبغي أن نعتقد كذلك أن النبوة لا تُنال بمجرد الكسب والجد والاجتهاد، وتكلُّف أنواع العبادات، واقتحام أشق الطاعات[(١)].

قال في الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية:

ولا تُنَال رتبــــةُ النُّبُــــوة
بالكسب والتهــذيب والفُتُــوة
ولكنهــــا فـــضلٌ من المولى الأجل
لمن يشـــا من خلقـــه إلى الأجل

وهذا خلاف قول الفلاسفة المجوزين اكتساب النبوة، بزعمهم أن من لزم الخلوة والعبادة، وداوم المراقبة، وتناول الحلال وإخلاء نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة، بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة انصقلت مرآة باطنه، وفُتحت بصيرة لُبِّه، وتهيأ لما لا يتهيأ له غيره من التحلي بالنبوة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهؤلاء عندهم النبوة مكتسبة، وكان جماعة من زنادقة الإسلام يطلبون أن يصيروا أنبياء، والحاصل أن النبوة فضل من الله وموهبة ونعمة يمُنُّ بها سبحانه، ويعطيها لمن يشاء أن يكرمه بالنبوة، فلا يبلغها أحد بعمله، ولا يستحقها بكسبه، ولا ينالها عن استعداد ولايته بل يخص بها من يشاء من خلقه.

ومن زعم أنها مكتسبة - فهو زنديق يجب قتله؛ لأنه يقتضي كلامه واعتقاده أن لا تنقطع، وهو مخالف للنص القرآني والأحاديث المتواترة بأن نبينا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - خاتم النبيين - عليهم السلام -.

(١) الثمرات الزكية في العقائد السلفية / د. أحمد فريد (١٧٠-١٧٧) بتصرف.

* ما الفرق بين الرسول والنبي:

الرسول: هو نبي أمر بإبلاغ شرع جديد.

فكل رسول نبي، لأنه بلغ منزلة النبوة، وأمر بالتبليغ، وليس كل نبي رسولاً، لأنه يمكن أن يكون هناك نبي تابع لشرع رسول سبقه، والدليل على التفرقة بين النبي والرسول قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[١].

فالنبي: الذي يأتيه نبأ السماء - نبأ الوحي -، والرسول: من أرسله برسالة وبشرع جديد.

والرسل بشرٌ من البشر، جعلهم الله واسطة بينه وبين خلقه في إبلاغ شرعه، والدليل على أنهم بشر قول الله عز وجل لخير رسول أرسل على الإطلاق محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[٢]، وهذا يقتضي أنهم خُلقوا مما خُلق منه البشر، . . كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[٣][٤].

* لماذا أرسل الله الرسل؟

لكي يدعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له. . .

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٥]، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم،

---

(١) سورة الحج: الآية: (٥٢).
(٢) سورة الكهف: الآية: (١١٠).
(٣) سورة المؤمنون: الآية: (١٢).
(٤) المنة شرح اعتقاد أهل السنة / د. ياسر برهامي (ص٢٦١).
(٥) سورة الأنبياء: الآية: (٢٥).

ويُبلغون رسالة الله مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[١].

* كيف أرسل الله الرسل؟

بالوحي... قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٢].

* كيف اختار الله الرسل من الناس؟

اختار الله أطهر البشر قلوبًا، وأزكاهم أخلاقًا، وأجودهم قريحة، وخير الناس نسبًا، أحرارًا، أُعطوا العقول الراجحة، والذكاء الفذ، واللسان المبين، والبديهة الحاضرة... فهم خير الناس خلقة وخُلُقًا.

* لماذا اختار الله الرسل من البشر؟

اختارهم الله بشرًا؛... فهذا إكرامٌ للبشر لأنهم سيكونون على دراية أكبر بالبشر؛ لأنهم منهم؛ فيتمكنون من مخاطبتهم، والفقه عنهم، والفهم منهم ويصلحون أن يكونوا قدوةً وأسوةً لهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[٣][٤].

* فلو أن الله اختار الرسل من الملائكة لما استطاع البشر أن يقتدوا بهم لأن رؤية الملائكة ليست أمرًا سهلاً ولا ميسورًا فكيف يقتدي الإنسان بمن لا يراه ولا يعلم عنه شيئًا.

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٥٦).
(٢) سورة الشورى: الآية: (٥١).
(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٤).
(٤) ابن الإسلام / الشيخ محمد حسين يعقوب (ص٦٧-٦٨).

فكان إرسال الرسل من البشر ضروريًا كي يتمكنوا من مخاطبتهم والفقه عنهم، والفهم منهم، ولو بعث الله رسله إليهم من الملائكة لما أمكنهم ذلك. ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا (٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾[(١)]، فلو كان سكان الأرض ملائكة لأرسل الله إليهم رسولاً من جنسهم، أما وأن الذين يسكنون الأرض بشر فرحمة الله وحكمته تقتضى أن يكون رسولهم من جنسهم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[(٢)(٣)].

* ما عدد الأنبياء والمرسلين؟

اقتضت حكمة الله - تعالى - فى الأمم قبل هذه الأمة أن يرسل فى كلٍّ منها نذيرًا، ولم يرسل رسولاً للبشرية كلها إلا محمدًا ﷺ، واقتضى عدله ألا يعذب أحدًا من الخلق إلا بعد أن تقوم عليه الحجة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[(٤)]. من هنا كثر الأنبياء والرسل فى تاريخ البشرية كثرة هائلة.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[(٥)].

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بعدة الأنبياء والمرسلين.

قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال:

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان: (٩٤-٩٥).
(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٦٤).
(٣) الرسل والرسالات / د. عمر الأشقر (ص٦٧).
(٤) سورة الإسراء: الآية: (١٥).
(٥) سورة فاطر: الآية: (٢٤).

«مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرُّسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا»[(١)].

* من الأنبياء والرسل من لم يقصصهم الله علينا:

وهذا العدد الكبير للأنبياء والرسل يدلنا على أن الذين نعرف أسماءهم من الرسل والأنبياء قليل، وأن هناك أعدادًا كثيرة لا نعرفها، وقد صرح القرآن بذلك في أكثر من موضع.

قال تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[(٢)].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[(٣)].

فالذين أخبرنا الله بأسمائهم في كتابه أو أخبرنا بهم رسوله ﷺ لا يجوز أن نكذب بهم، ومع ذلك فنؤمن أن لله رسلاً وأنبياء لا نعلمهم[(٤)].

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد، والطبراني، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٦٨).
(٢) سورة النساء: الآية: (١٦٤).
(٣) سورة غافر: الآية: (٧٨).
(٤) الرسل والرسالات (ص١٨-١٩) بتصرف.

حاجة البشرية إلى الرسل

إذا كان الناس في القديم يجادلون الرسل، ويرفضون علومهم، ويُعرضون عنهم فإن البشر اليوم في القرن الحادي والعشرين - حيث بلغت البشرية ذروة التقدم المادي، فغاصت في أعماق البحار، وانطلقت بعيدًا في أجواء الفضاء، وفجَّرت الذرة، وكشفت كثيرًا من القوى الكونية الكامنة في هذا الوجود - أشد جدالاً للرسل وأكثر رفضًا لعلومهم وأعظم إعراضًا عنهم.

الدول اليوم نُظمها وقوانينها وتشريعاتها على رفض تعاليم الرسل، بل إن بعض الدول تضع الإلحاد مبدأ دستوريًا، وهو الذي يسمى بالعلمانية، وكثير من الدول التي تتحكم في رقاب المسلمين تسير على هذا النهج، وقد ترضى عوام الناس بأن تضع مادة في دستورها تقول: دين الدولة الإسلام، ثم تهدم هذه المادة بالمواد السابقة واللاحقة، والتشريعات التي تحكم العباد.

فهل صحيح أن البشرية بلغت - اليوم - مبلغًا يجعلها تستغني عن الرسل وتعاليم الرسل؟ وهل أصبحت البشرية اليوم قادرة على أن تقود نفسها بعيدًا عن منهج الرسل؟

يكفي في الإجابة أن ننظر في حال تلك الدول التي نسميها متقدمة متحضرة كأمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين -لنعلم مدى الشقاء الذي يغشاهم، نحن لا ننكر أنهم بلغوا في التقدم المادي شأوًا بعيدًا، ولكنهم في الجانب الآخر الذي جاء به الرسل وجاءت

تعاليمهم لإصلاحه انحدروا انحداراً بعيداً.

لا ينكر أحد أن الهموم والأوجاع النفسية والعقد النفسية -اليوم- سمة العالم المتحضر، الإنسان في العالم المتحضر اليوم فقد إنسانيته، خسر نفسه، ولذلك فإن الشباب هناك يتمردون. . ، يتمردون على القيم والأخلاق والأوضاع والقوانين، أخذوا يرفضون حياتهم التي يعيشونها، وأخذوا يتبعون كل ناعق من الشرق أو الغرب يلوح لهم بفلسفة أو دروشة، . . . لقد تحول عالم الغرب إلى عالم تنخر الجريمة عظامه، وتقوده الانحرافات؛ لقد زلزلت الفضائح أركان الدول الكبرى، والخافي أعظم وأكثر من البادي، إن الذين يُسمون -اليوم- بالعالم المتحضر يُخربون بيوتهم بأيديهم. . . حضارتهم تقتلهم، حضارتهم تفرز سموماً تسري فيهم فتقتل الأفراد، وتفرق المجتمعات، الذين نسميهم اليوم بالعالم المتحضر كالطائر الجبّار الذي يريد أن يحلق في أجواء الفضاء بجناح واحد.

إننا بحاجة إلى الرسل وتعاليمهم لصلاح قلوبنا، وإنارة نفوسنا، وهداية عقولنا . . . نحن بحاجة إلى الرسل كي نعرف وجهتنا في الحياة، وعلاقتنا بالحياة وخالق الحياة.

نحن بحاجة إلى الرسل كيلا نتحرف أو نزيغ فنقع في المستنقع الآسن[1].

* * *

---

(١) الرسل والرسالات (ص٢٩ : ٣١).

ضرورة الوحى وحاجة الناس إليه

إن الوحي الإلهي ضرورة من ضرورات شتَّى قد اقتضاها وجود الإنسان على هذه الأرض، يكابد فيها حياة طويلة فُرضت عليه، وقُدرت له، ولا ينتهي منها إلا بانتهاء هذا الكون وانقراضه حيث يُنقل إلى ملكوت آخر، فهو في هذه الرحلة الطويلة من حياته لابد له من تعاليم من ربه تنظم حياته، ولابد له من هدى يعيش عليه، وكيف يتم له ذلك بغير الوحي؟ فالوحي إذًا ضرورة من الضرورات لا غنى عنه بحال من الأحوال.

وضرورة الوحي وحاجة الإنسان إليه تظهران بوضوح إذا عرفنا أن الإنسان مكون من روح وجسد، وأن العالم عالمان علوى وسفلى، وأن الحياة حياتان: أولى تنقضى، وثانية تدوم ولا تنتهى، وتبقى أبدًا ولا تنقضى، وأن بين الحياتين برزخًا تقضى فيه الأرواح فترة ما بين موت الإنسان وبعثه للحياة الثانية.

وبيان ذلك: أن كون الإنسان روحًا يقتضى وحيًا إلهيًا يخبره عن الروح، وصفاتها، وأحوالها، وأسباب كمالها ونقصانها وسعادتها وشقائها.

وأن كون الإنسان جسمًا يقتضى كذلك وحيًا إلهيًا يبين له فيه طرق المحافظة على جسمه، ويضع له القوانين التى تساعده على بقائه صالحًا المدة المحددة له من هذه الحياة.

وأن كون العالم عالمين علويًا وسفليًا يقتضى وحيًا إلهيًا يخبره

عن العالم العلوى وما فيه، لعجز الإنسان عن معرفة ذلك بوسائله الخاصة وإدراكه دون الوحى الإلهى.

وأن كون الحياة حياتين يقتضى كذلك وحيًا إلهيًا يعرف الإنسان بواسطته الحياة الثانية ماذا فيها، وما الذى يتم للإنسان يوم يُنقل إليها؟ إذ مثل هذا لا يدركه الإنسان بواسطة عقله مجرداً عن الوحى الإلهى بحال من الأحوال.

فهذه أكثر من ضرورة قد اقتضت الوحى الإلهى، وجعلته حاجة من حاجات الإنسان التى لا يستغنى عنها بحال، فالوحى إذاً مع إمكانه هو ضرورة من ضرورات حياة الإنسان، وحاجة من حاجاته، وإنكاره والتكذيب به يُعد خطأ عقليًا كبيرًا، وعجزاً فكريًا مُشينًا، وفساداً فطريًا خطيراً، لأن إنكار ما هو موجود وواقع، وجحود ما هو ضرورة للحياة، وحاجة أكيدة لها - لا تقره العقول، ولا توافق عليه بحال أبداً[١].

* * *

(١) عقيدة المؤمن / الشيخ أبو بكر الجزائرى (ص١٩٩ - ٢٠٠).

ما هى صفات الأنبياء؟

إن للمؤهلين لحمل رسالة الخالق إلى الخلق صفات كمال لا تُفقد فى أحدهم أبدًا، إذ هى واجبة لكل من يحمل رسالة الله تعالى إلى عباده. . . ومن تلك الصفات:

(١) الصدق:

صدق النية والإرادة، صدق القول والعمل، بحيث يستحيل أن يتصف المؤهل للنبوة بضد الصدق وهو الكذب والنفاق، أو الإهمال واللامبالاة. . . والمتتبع لسير الأنبياء يعرف هذه الحقيقة، ويؤمن بها.

(٢) الأمانة:

الأمانة فى كل شيء فى القول والعمل، فى الحكم والقضاء فى الحديث والنقل فى الرواية والتبليغ، فى السر والعلن معًا، إذ يستحيل أن يتصفوا بضدها وهى الخيانة بحال من الأحوال، فلا خيانة فيهم أبدًا، ولو أقل الأشياء وأتفهها، ومتى وُجد شيء من الخيانة فلا نبوة ولا أهلية لها أبدًا.

(٣) التبليغ:

والمراد منه أن يبلغ الرسول كل ما أُمر بتبليغه فلا يُخفى منه شيئًا، ولا يكتمه بحال من الأحوال، فلا تحمله رغبة ولا رهبة على أن يكتم بعضًا مما أوحى إليه، وأُمر بإبلاغه إلى الناس.

والكتمان للوحى الإلهى يتعذر على المرسلين، ويستحيل فى حقهم، ولا يتأتى لهم، لأن الله تعالى أهَّلهم للبلاغ عنه ما أراده لعباده

من الهدى والخير، فمتى وُجد الكتمان بطلت النبوة، وانتفت الرسالة.

(٤) الفطنة:

إن الفطنة ليست الفهم والذكاء فحسب، بل هى مع ذلك رقة الشعور، وصفاء الذهن، ورهافة الحس وصدقه، وسرعة البداهة.

إذ الفطنة من المؤهلات لتلقّى الوحى والأمانة عليه.

فالغباء وبلادة الحس وبطء الإدراك تتنافى مع مقام النبوة وشرف التلقّى عن الله تعالى، وسوف نكشف عن هذه المؤهلات ونجلى الكثير من معانيها إن شاء الله عند الحديث عن خاتم الأنبياء محمد ﷺ، إذ هو المقصود بهذه الدراسات كلها، وذلك لوجود رسالته قائمة بين أيدى الناس، ولحاجة الناس إليه[1].

الكمال البشرى للأنبياء والمرسلين

لا شك أن البشر يتفاوتون فيما بينهم تفاوتًا كبيرًا فى الخلق والخُلُق، والمواهب... فمن البشر القبيح والجميل وبين ذلك، ومنهم الأعمى والأعور والمبصر بعينه، والمبصرون يتفاوتون فى جمال عيونهم وفى قوة أبصارهم، ومنهم الأصم والسميع وبين ذلك، ومنهم ساقط المروءة، ومنهم ذو المروءة والهمة العالية.

ولا شك أن الأنبياء والرسل يمثلون الكمال الإنسانى فى أرقى صوره، ذلك أن الله اختارهم واصطفاهم لنفسه، فلا بدّ أن يختار أطهر البشر قلوبًا، وأزكاهم أخلاقًا، وأجودهم قريحة، ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ

(١) عقيدة المؤمن (ص٢٠٤ - ٢٠٥) بتصرف.

حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (١).

والكمال البشرى يتحقق فيما يأتى:

(١) الكمال فى الخلقة الظاهرة:

لقد حذرنا الله تعالى من إيذاء الرسول ﷺ كما آذى بنو إسرائيل موسى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾(٢).

* وقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:

«إن موسى كان رجلاً حييًا ستيرًا لا يُرى من جلده شيءٌ استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده؛ إما برص، وإما أُدْرَة، وإما آفة.

وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه، ثلاثًا أو أربعًا، أو خمسًا، فذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾(٣)»(٤).

قال ابن حجر العسقلانى معقبًا على الحديث: "وفيه أن الأنبياء فى خلقهم وخُلُقهم، على غاية الكمال، وأن من نسب نبيًا إلى نقص

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٢٤).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٦٩).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٦٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤-٣٤)، ومسلم (٣٣٩).

فى خلقته فقد آذاه، ويخشى على فاعله الكفر»[١].

(٢) الكمال فى الأخلاق:

لقد بلغ الأنبياء فى هذا مبلغًا عظيمًا، وقد استحقوا أن يُثنى عليهم رب الكائنات . . . فقد أثنى الله على خليله إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿إنَّ إبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾[٢].

وقالت ابنة العبد الصالح تصف موسى: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[٣].

وأثنى الله على إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إسْمَاعِيلَ إنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾[٤].

وأثنى الله - جل جلاله، وتقدست أسماؤه - على خلق نبينا محمد ﷺ ثناءً عطرًا، فقال: ﴿وَإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥].

وقد كان لهذه الأخلاق أثر كبير فى هداية الناس وتربيتهم.

هذا صفوان ابن أمية يقول: «والله لقد أعطانى رسول الله ﷺ ما أعطانى وإنه لأبغض خلق الله إلىّ، فما زال يعطينى حتى إنه من أحب الناس إلىّ»[٦].

وفى صحيح مسلم عن أنس أن رجلاً سأل النبى ﷺ غنمًا بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: «أى قوم، أسلموا، فوالله إن محمدًا ليعطى عطاءً، ما يخاف الفقر»[٧].

---

(١) فتح البارى: (٦/٤٣٨).

(٢) سورة هود: الآية: (٧٥).

(٣) سورة القصص: الآية: (٢٦).

(٤) سورة مريم: الآية: (٥٤).

(٥) سورة القلم: الآية: (٤).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٣).

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٢).

ولو لم يتصف الرسل بهـذا الكمال الذى حباهم الله به لما انقاد الناس إليهم،... ذلك أن الناس لا ينقادون عن رضًا وطواعية لمن كثرت نقائصه، وقلّت فضائله.

(٣) خير الناس نسبًا:

الرسل ذوو أنساب كـريمة، فجميع الرسل بعد نوح من ذريته، وجميع الرسل بعد إبراهيم من ذرية إبراهيم،... قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾[(١)].

وفى صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم»[(٢)].

(٤) أحرار بعيدون عن الرق:

ومن صفات الكمال أن الأنبياء لا يكونون أرقاء.

يقول السفارينى فى هذا: «الرِّق وصفُ نقصٍ لا يليق بمقام النبوة، والنبى يكون داعيًا للناس آناء الليل وأطراف النهار، والرقيق لا يتيسر له ذلك، وأيضًا الرِّقِّيَّة وصف نقص يأنف الناس ويستنكفون من اتباع من اتصف بها، وأن يكون إمامًا لهم وقدوة،... والأنبياء مُنزهون عن ذلك»[(٣)(٤)].

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٦).

(٣) لوامع الأنوار البهية: ص٢/ ٢٦٥ .

(٤) قد يعترض على هذا بأن رسول الله يوسف باعه الذين استنقذوه من البئر وبذلك أصبح عبدًا، والإجابة على ذلك أن العبودية هنا كانت نوعًا من الابتلاء، وإلا فهو حر وقع عليه الظلم، ولم تستمر هذه العبودية طويلاً، وابدله الله بها مُلكًا.

(٥) التفرد فى المواهب والقدرات:

الأنبياء أُعطوا العقول الراجحة، والذكاء الفذ، واللسان المبين، والبديهة الحاضرة، وغير ذلك من المواهب والقدرات التى لا بد منها لتحمُّل الرسالة ثم إبلاغها ومتابعة الذين تقبلوها بالتوجيه والتربية.

(٦) الكمال فى تحقيق العبودية:

لقد ذكرنا الكمال الذى حبا الله به رسله فى صورهم الظاهرة، وأخلاقهم الباطنة، والمواهب والسجايا التى أعطاهم إياها فى ذوات أنفسهم، وهناك نوع آخر من الكمال وفَّق الله رسله وأنبياءه لتحصيله، وهو تحقيق العبودية لله فى أنفسهم.

فكلما كان الإنسان أكثر تحقيقًا للعبودية لله تعالى، كلما كان أكثر رُقيًّا فى سلم الكمال الإنسانى، وكلما ابتعد عن تحقيق العبودية لله كلما هبط وانحدر.

والرسل حازوا السبق فى هذا الميدان، فقد كانت حياتهم انطلاقة جادة فى تحقيق هذه العبودية، وهذا خاتم الرسل وسيد المرسلين يثنى عليه ربه فى أشرف المقامات بالعبودية، فيصفه بها فى مقام الوحى ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾(١)، وفى مقام إنزال الكتاب ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(٢)، وفى مقام الدعوة ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾(٣)، وفى مقام الإسراء ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ...﴾(٤).

---

(١) سورة النجم: الآية: (١٠).
(٢) سورة الفرقان: الآية: (١).
(٣) سورة الجن: الآية: (١٩).
(٤) سورة الإسراء: الآية: (١).

وبهذه العبودية التامة استحق النبى صلوات الله وسلامه عليه التقديم على الناس فى الدنيا والآخرة، ولذلك فإن المسيح عليه السلام يقول للناس إذا طلبوا منه الشفاعة بعد طلبها من الرسل من قبله: **«ائتوا محمداً ﷺ، فقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**(١).

(٧) الذكورة:

ومن الكمال الذى حباهم به أنه اختار جميع الرسل الذين أرسلهم من الرجال، ولم يبعث الله رسولاً من النساء... يدل على ذلك صيغة الحصر التى وردت فى قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا قبلك إلاّ رجالاً نُوحي إليهم**﴾(٢).

* الحكمة من كون الرسل رجالاً:

* كان الرسل من الرجال دون النساء لحكم يقتضيها المقام فمن ذلك:

١- أنّ الرسالة تقتضى الاشتهار بالدعوة، ومخاطبة الرجال والنساء، ومقابلة الناس فى السرّ والعلانية، والتنقل فى فجاج الأرض، ومواجهة المكذبين ومحاججتهم ومخاصمتهم، وإعداد الجيوش وقيادتها، والاصطلاء بنارها، وكل هذا يناسب الرجال دون النساء.

٢- الرسالة تقتضى قوامة الرسول على من يتابعه، فهو فى أتباعه الآمر الناهى، وهو فيهم الحاكم والقاضى، ولو كانت الموكلة بذلك امرأة لم يتم ذلك لها على الوجه الأكمل، ولاستنكف أقوام من الاتباع والطاعة.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى: (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٧).

٣- الذكورة أكمل كما بينًا آنفًا، ولذلك جعل الله القوامة للرجال على النساء: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾[١]. وأخبر الرسول ﷺ أن النساء ناقصات عقلٍ ودين. . . وليس فى هذا أى قدحٍ للمرأة. . فالمرأة تغلب عليها العاطفة حتى تغطى أحيانًا على عقلها فتكون قراراتها نابعة من قلبها وليس من عقلها. . وأما نُقصان الدين فيوضحه العنصر التالى.

٤- المرأة يطرأ عليها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات، كالحيض والحمل والولادة والنفاس، وتصاحب ذلك اضطرابات نفسية وآلام وأوجاع، عدا ما يتطلبه الوليد من عناية، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها[٢].

* ما هى الأمور التى تفرَّد بها الأنبياء؟

لقد تفرَّد الأنبياء والرسل عن غيرهم من البشر بالأمور التالية:

* الوحى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾[٣].

* والعصمةُ: فهم لا يعصون الله.

* تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم: . . .عن أنس فى حديث الإسراء قال: والنبىُّ ﷺ نائمة عيناهُ ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام

(١) سورة النساء: الآية: (٣٤).

(٢) الرسل والرسالات (ص٧٤-٨٣) بتصرف.

(٣) سورة النساء: الآية: (١٦٣).

أعينهم ولا تنام قلوبهم(١).

* مُخَيَّرون عند الموت،... قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي يمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخرة»(٢).

* لا يُقبر النبي إلا حيث يموت،... قال رسول الله ﷺ: «لن يُقبر نبي إلا حيث يموت»(٣).

* لا تأكل الأرض أجسادهم،... قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء»(٤).

* أحياءٌ في قبورهم.

صح عن النبي أن «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»(٥).

وروى أيضًا أن الرسول ﷺ قال: «مررت على موسى ليلة أسرى بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره»(٦).

وروى مسلم عن أبي هريرة في قصة الإسراء: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي..، وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي، وإذا إبراهيم قائم يصلي»(٧).

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٥٧٠).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٥٨٦).
(٣) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠١).
(٤) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩٦٢).
(٥) صحيح: رواه أبو يعلى، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٩٠).
(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٣٧٥).
(٧) صحيح: رواه مسلم (١٧٢).

وظائف الرسل ومهماتهم

(١) البلاغ المبين:

قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[١].

(٢) الدعوة إلى الله:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٢].

(٣) التبشير والإنذار:

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٣].

(٤) إصلاح النفوس وتزكيتها:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

(٥) إقامة الحجة:

قال تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٥].

(٦) سياسة الأمة:

قال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[٦].

(١) سورة النور: الآية: (٥٤).
(٢) سورة النحل: الآية: (٣٦).
(٣) سورة البقرة: الآية: (٢١٣).
(٤) سورة الجمعة: الآية: (٢).
(٥) سورة النساء: الآية: (١٦٥).
(٦) سورة المائدة: الآية: (٤٨).

وقال رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي»(١).

ديار الرسل

إن عامة من ذُكر من الرسل في القرآن الكريم كانت ديارهم في الشرق الأوسط، منها بُعثوا، وفيها عاشوا مع أقوامهم، وفيها ماتوا ودُفنوا.

فإبراهيم عليه السلام بُعث بالعراق، وهاجر منها إلى أرض كنعان، فتنقل بين الحجاز والشام وأرض المعاد حتى توفاه الله تعالى.

وإسماعيل عليه السلام ولد بالشام وعاش بمكة المكرمة لم يفارقها، وفيها بُعث، وبين القبائل العربية دعا إلى الله حتى توفاه الله.

وإسحاق كان بأرض المعاد، وكذا يعقوب ولده، إلا أن الأخير هاجر إلى أرض مصر، فعاش بها مع أولاده ولعله توفي بها.

وأُرسل من بعده يوسف، فعاش بمصر حتى مات بها.

ثم أُرسل موسى وهارون، وعاشا بين مصر وسيناء إلى أن توفاهما الله تعالى.

وجاء داود وسليمان فكانا في أرض القدس.

وتوالت أنبياء الله في بني إسرائيل على أرض الشام، وكان آخرهم عيسى عليه السلام فولد في بيت لحم، وعاش بأرض المقدس حتى رفعه الله تعالى إليه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٤٢)، ومسلم (٣٤٥٥).

ثم بُعث خاتم الأنبياء محمد ﷺ بمكة، فولد بها وعاش إلى أن هاجر إلى المدينة من أرض الحجاز، فعاش بها عشر سنوات، ثم بها توفي، وبها قبره الشريف ﷺ.

أما نوح عليه السلام فلا يبعد أنه كان كذلك بين الشرقين الأوسط والأدنى.

وأما هود وصالح وشعيب فقد كانوا بأرض العرب، هود في الجنوب ما بين حضرموت والشحر، وصالح بالشمال ما بين الحجاز والشام، وشعيب بغرب الجزيرة جنوب الأردن الشرقي بأرض مدين.

ولوط عليه السلام كان قد هاجر مع عمه إبراهيم الخليل من أرض بابل بالعراق، فبعثه الله تعالى إلى المؤتفكات، وكانت خمس مدن كبيرة أشهرها سدوم وعمورة، فأهلك الله أهل تلك البلاد؛ لفسادهم وخبثهم ونجى لوطًا ومن معه من المؤمنين، فارتفعوا إلى أرض الشام وأقاموا بها (١).

هل يستطيع الإنسان أن يتحمل الرسالة؟

إن الذين لا يتصورون أن الإنسان يقدر على أن يتحمل مسئولية النبوة والرسالة لا يعرفون قدر الإنسان وقيمته.. فلقد جعل اللهُ الإنسان مؤهلاً لأن يتحمل الأمانة العُظمى.. تلك الأمانة التي أشفقت السموات والأرض والجبال من حملها، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى

(١) عقيدة المؤمن/ الشيخ أبو بكر الجزائري (ص: ٢٠٨، ٢٠٩).

السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[(١)].

والذين استعظموا اختيار الله من البشر رسلاً نظروا إلى المظهر الخارجي للإنسان، . . . نظروا إليه على أنه جسد يأكل ويشرب وينام، ويمشي في الأرض لتلبية حاجاته ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾[(٢)]، ولم ينظروا إلى جوهر الإنسان، وهو تلك الروح التي هي نفخة من روح الله ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[(٣)]. وبهذه الروح تميز الإنسان، وصار إنسانًا، واستُخلف في الأرض.

ثمَّ إن الرسل يُعدّون إعدادًا خاصًا لتحمُّل النبوة والرسالة، ويُصنعون صُنعًا فريدًا ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾[(٤)]، واعتبر بحال نبينا محمد ﷺ، كيف رعاه الله وحاطه بعنايته على الرغم من يُتمه وفقره ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾[(٥)]، وقد زكاه وطهره، وأذهب عنه رجس الشيطان، وأخرج منه حظ الشيطان مذ كان صغيراً[(٦)].

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٧٢).
(٢) سورة الفرقان: الآية: (٧).
(٣) سورة الحجر: الآية: (٢٩).
(٤) سورة طه: الآية: (٤١).
(٥) سورة الضحى: الآيات: (٦-٨).
(٦) الرسل والرسالات (ص: ٦٣-٦٤) بتصرف.

حقوق الأنبياء والمرسلين

(١) الإيمان بهم:

الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[١].

ومن لم يؤمن بالرسل ضلَّ ضلالاً بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[٢].

وجوب الإيمان بجميع الرسل

الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[٣]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾[٤]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾[٥]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[٦].

(١) سورة آل عمران: الآية: (٨٤).
(٢) سورة النساء: الآية: (١٣٦).
(٣) سورة الشعراء: الآية: (١٠٥).
(٤) سورة الشعراء: الآية: (١٢٣).
(٥) سورة الشعراء: الآية: (١٤١).
(٦) سورة الشعراء: الآية: (١٦٠).

ومن المعروف أن كل أمة كذبت رسولها، إلا أن التكذيب برسول واحد يُعدُّ تكذيبًا بالرسل كلهم، ذلك أن الرسل حَمَلَةُ رسالة واحدة، ودعاة دين واحد، ومرسلهم واحد، فهم وحدة، يبشر المتقدم منهم بالمتأخر، ويصدق المتأخر المتقدم.

ومن هنا كان الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض كفرًا بهم جميعًا، وقد وسم الله مَن هذا حاله بالكفر ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾[١].

وقد مدح الله رسول هذه الأمة والمؤمنين الذين تابعوه؛ لإيمانهم بالرسل كلهم، ولعدم تفريقهم بينهم، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[٢].

ووعد الله الذين لم يفرقوا بين الرسل بالمثوبة والأجر الكريم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٣].

(٢) الإيمان بالكتب المنزلة عليهم:

من أصول الإيمان التصديق الجازم بالرسالات التي أنزلها الله إلى عباده بواسطة رسله وأنبيائه، والتصديق بأنهم بلّغوها للناس، قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾[٤].

(١) سورة النساء: الآيتان: (١٥٠، ١٥١).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٨٥).
(٣) سورة النساء: الآية: (١٥٢).
(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٤٤).

وقد أثنى الله على رسله الذى يبلغون رسالاته ولا تأخذهم فى الله لومة لائم ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾(١).

وقد كان هلاك الأمم بسبب التكذيب برسالات الله.

(٣) محبتهم والحرص على إزالة الشبهات التى دارت حولهم:

فمن بين حقوق الأنبياء والمرسلين أن نحبهم حبًا صادقًا وأن نحرص كل الحرص على إزالة تلك الشبهات التى افتراها أعداء الرسل والأنبياء للنيل من مكانتهم والحط من شأنهم.. فلقد تعرض الأنبياء على مَرِّ العصور لحملات ضارية ومحاولات شيطانية لتشويه سيرتهم العطرة ولإلصاق التُّهم التى لا يجوز بحال من الأحوال أن تُنسب لآحاد المؤمنين فكيف بالأنبياء والمرسلين؟!.

* وهذه التهم لم يسلم منها أى نبى حتى رسولنا الحبيب ﷺ:

قال تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾(٢).

* وقد برأ كتاب الله وسنة رسوله أنبياء الله ورسله مما افتراه عليهم اليهود والنصارى فى المحرف من كتبهم، وإليك بعض ما نسبوه إليهم.

(٤) الشهادة لهم بأنهم قد بلغوا أممهم:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٣).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٩).
(٢) سورة فصلت: الآية: (٤٣).
(٣) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

قال رسول الله ﷺ: «يُدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيُقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]»[2].

(٥) الاعتقاد بعصمتهم:

اتفقت الأمة على أن الرسل معصومون في تحمُّل الرسالة، فلا ينسون شيئًا مما أوحاه الله إليهم إلا شيئًا قد نُسخ، وقد تكفل الله لرسوله ﷺ بأن يُقرئه فلا ينسى شيئًا مما أوحاه إليه، إلا شيئًا أراد الله أن يُنسيه إياه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[3].

وتكفل له بأن يجمعه في صدره: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[4].

وهم معصومون في التبليغ، فالرسل لا يكتمون شيئًا مما أوحاه الله إليهم، ذلك أن الكتمان خيانة، والرسل يستحيل أن يكونوا كذلك.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[5] ولو حدث شيء من الكتمان أو التغيير لما أوحاه

(١) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٣٣٩).
(٣) سورة الأعلى: الآيتان: (٦، ٧).
(٤) سورة القيامة: الآيات: (١٦-١٨).
(٥) سورة المائدة: الآية: (٦٧).

الله، فإن عقاب الله يحل بذلك الكاتم المغير ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل ﴿٤٤﴾ لأخذنا منه باليمين ﴿٤٥﴾ ثم لقطعنا منه الوتين﴾[1].

ومن العصمة ألا ينسوا شيئًا مما أوحاه الله إليهم، وبذلك لا يضيع شيء من الوحي، وعدم النسيان في التبليغ داخل في قوله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾[2] ومما يدل على عصمته في التبليغ قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى ﴿٣﴾ إن هو إلا وحي يوحى﴾[3].

• العصمة من الكبائر:

الأمة الإسلامية مجمعة على عصمة الأنبياء والرسل من الكبائر من الذنوب وقبائح العيوب، كالزنى والسرقة والمخادعة وصناعة الأصنام وعبادتها، والسحر، ونحو ذلك.

• العصمة من الصغائر:

ذهب أكثر علماء الإسلام إلى أن الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر، وقال الإمام ابن تيمية: القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف.

* وقد استدل جماهير العلماء على دعواهم بأدلة:

١ - معصية آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها، ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ﴿١١٦﴾ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴿١١٧﴾ إن لك ألا

---

(١) سورة الحاقة: الآيات: (٤٤-٤٦).

(٢) سورة الأعلى: الآية: (٦).

(٣) سورة النجم: الآيتان: (٣، ٤).

تجوع فيها ولا تعرى ﴿١١٨﴾ وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴿١١٩﴾ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴿١٢٠﴾ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى﴾[١].

والآية في غاية الوضوح والدلالة على المراد، فقد صرحت بعصيان آدم ربه.

٢- ونوح دعا ربه في ابنه الكافر ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾[٢] فلامه ربه على مقالته هذه، وأعلمه أنه ليس من أهله، وأن هذا منه عمل غير صالح.

﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾[٣] فاستغفر ربه من ذنبه وتاب وأناب ﴿قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾[٤].

والآية صريحة في كون ما وقع منه كان ذنبًا يحتاج إلى مغفرة ﴿وإلا تغفر لي وترحمني...﴾.

٣- وموسى أراد نصرة الذي من شيعته، فوكز خصمه فقضى عليه ﴿قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴿١٥﴾ قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾[٥] فقد اعترف موسى بظلمه

(١) سورة طه: الآيات: (١١٦-١٢١).
(٢) سورة هود: الآية: (٤٥).
(٣) سورة هود: الآية: (٤٦).
(٤) سورة هود: الآية: (٤٧).
(٥) سورة القصص: الآيتان: (١٥، ١٦).

لنفسه، وطلب من الله أن يغفر له، وأخبر الله بأنه غفر له.

٤- وداود عليه السلام تسرّع في الحكم قبل سماع قول الخصم الثاني، فأسرع إلى التوبة فغفر الله له ذنبه ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾[(١)].

٥- ونبينا محمد ﷺ عاتبه ربه في أمور ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)] نزلت بسبب تحريم الرسول ﷺ العسل على نفسه، أو تحريم مارية القبطية.

وعاتبه ربه بسبب عبوسه في وجه الأعمى ابن أم مكتوم، وانشغاله عنه بطواغيت الكفر يدعوهم إلى الله، والإقبال على الأعمى الراغب فيما عند الله هو الذي كان ينبغي أن يكون من الرسول ﷺ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾[(٣)].

وقبل الرسول ﷺ من أسرى بدر الفدية فأنزل الله تعالى: ﴿لَّوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[(٤)].

هذه أمثلة اكتفينا بذكرها عن غيرها، وإلا فقد ورد في القرآن مغاضبة يونس لقومه، وخروجه من قومه من غير إذن من ربه، وما صنعه أولاد يعقوب بأخيهم يوسف في إلقائه في غيابة الجب، ثم أوحى الله إليهم وجعلهم أنبياء[(٥)].

---

(١) سورة ص: الآيتان: (٢٤، ٢٥).
(٢) سورة التحريم: الآية: (١).
(٣) سورة عبس: الآيات: (١-٤).
(٤) سورة الأنفال: الآية: (٦٨).
(٥) الرسل والرسالات (ص١٠٨-١١٠) بتصرف.

• تكريم الأنبياء وتوقيرهم:

هذه الصغائر التى تقع من الأنبياء لا يجوز أن تُتخذ سبيلاً للطعن فيهم، والازراء عليهم، فهى أمور صغيرة ومعدودة غفرها الله لهم، وتجاوز عنها، وطهرهم منها، وعلى المسلم أن يأخذ العبرة والعظة لنفسه من هذه، فإذا كان الرسل الكرام الذين اختارهم الله واصطفاهم عاتبهم الله ولامهم على أمور كهذه، فإنه يجب أن نكون على حذر وتخوُّف من ذنوبنا وآثامنا، وعلينا أن نتأسى بالرسل والأنبياء فى المسارعة إلى التوبة والأوبة إلى الله، وكثرة التوجه إليه واستغفاره.

❋ ❋ ❋

عصمة غير الأنبياء

أهل السنة والجماعة لا ينسبون العصمة لغير الأنبياء والمرسلين، حتى أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ وهم الصحابة - رضوان الله عليهم - وفيهم أبو بكر وعمر ليسوا بمعصومين.

وقد قال الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق فى أول خطبة يخطبها بعد توليه الخلافة: «أيها الناس إنى قد وُليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، وإن أخطأت فقوّمونى». وعندما اعترضت امرأة على عمر بن الخطاب وجاءت بالدليل قال: «أصابت امرأة وأخطأ عمر».

عدم العصمة من الأعراض البشرية كالخوف والنسيان

الأعراض البشرية كالخوف والغضب والنسيان تقع من الرسل والأنبياء، وهى لا تنافى عصمتهم... والأمثلة على ذلك فى الكتاب والسنة كثيرة، فمن ذلك:

١- خوف إبراهيم عليه السلام من ضيوفه:

أوجس إبراهيم عليه السلام فى نفسه خيفة عندما رأى أيدى ضيوفه لا تمتد إلى الطعام الذى قدَّمه لهم، ولم يكن يعلم أنهم ملائكة تشكَّلوا فى صور البشر ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾[(١)].

---

(١) سورة هود: الآية: (٧٠).

٢- عدم صبر موسى عليه السلام على تصرفات العبد الصالح:

وموسى وعد الخضر (عليهما السلام) بأن يصبر في صحبته له، فلا يسأله عن أمر يفعله العبد الصالح حتى يُحدث له منه ذكرًا، ولكنه لم يتمالك نفسه، إذ رأى تصرفات غريبة، فكان في كل مرة يسأل أو يعترض أو يوجه[١]، وفي كل مرة يُذكره العبد الصالح ويقول له: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[٢]. وعندما كشف له عن سر أفعاله قال له: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[٣].

٣- تصرفات موسى (عليه السلام) عندما رأى قومه يعبدون العجل:

وغضب موسى غضبًا شديدًا، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، وألقى الألواح وفي نسختها هدى عندما عاد إلى قومه بعد أن تم ميقات ربه، فوجدهم يعبدون العجل، ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤] وفي الحديث: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يُلقِ الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت»[٥].

---

(١) كانت المرة الأولى من موسى نسيانًا، أما الثانية والثالثة فكان متعمدًا.

(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٥).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٥٠).

(٥) صحيح: رواه أحمد في مسنده، والطبراني في الأوسط، بإسناد صحيح: (انظر صحيح الجامع الصغير: (٥٣٧٣).

٤- نسيان آدم - عليه السلام - وجحوده:

ومن ذلك نسيان آدم عليه السلام وجحوده.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كلٍّ منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك، يقال له داود، فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم، جاءه ملك الموت، فقال: أوَ لم يبق من عمري أربعون سنة، قال: أوَ لم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم، فجحدت ذريته، ونسي آدم، فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته»[1].

٥- نبي يحرق قرية النمل:

ومن ذلك ما وقع من نبي من الأنبياء غضب إذ قرصته نملة، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فعاتبه الله على ذلك.

ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ: «نزل نبيٌّ من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأُخرج من تحتها، ثم أمر ببيتها فأُحرق بالنار، فأوحى الله إليه: فهلاَّ نملة واحدة»[2].

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٠٧٦)، وحسنه الألباني رحمه الله في المشكاة (١١٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣١٩)، ومسلم (٢٢٤١).

٦- نسيان نبينا ﷺ وصلاته الظهر ركعتين:

ومن ذلك نسيان الرسول ﷺ في غير البلاغ، وفي غير أمور التشريع، . . . فمن ذلك ما رواه ابن سيرين عن أبي هريرة قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ، إحدى صلاتي العشي[1]، فصلّى ركعتين، ثم سلّم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد، فاتكأ عليها كأنّه غضبان ووضع يده اليمنى على اليسرى، وشبّك بين أصابعه، ووضع خدّه الأيمن على ظهر كفه اليسرى، وخرجت السرعان من أبواب المسجد، فقالوا: قصرت الصلاة، وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه.

وفي القوم رجل يقال له ذو اليدين، فقال: يا رسول الله، أنسيت أم قصرت الصلاة؟ فقال: لم أنسَ، ولم تقصر، فقال: أكما يقول ذو اليدين؟ فقالوا: نعم. فتقدم فصلى ما ترك، ثم سلم. . . . الحديث. . . .[2][3].

(٦) الإيمان بمعجزاتهم[4]:

وقبل أن أحدثكم عن بعض معجزات الأنبياء فتعالوا بنا لنعرف الفرق بين المعجزة والإرهاصة والكرامة والمعونة والإهانة والاستدراج.



---

(١) قال الأزهري: العشي عند العرب ما بين زوال الشمس وغروبها، فيكون المراد بهما الظهر أو العصر، (نيل الأوطار: ٣/١١٥)، وقد حصل الجزم بأنها الظهر في إحدى الروايات.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٢)، ومسلم (٥٧٣).

(٣) الرسل والرسالات (ص٩٨-١٠١) بتصرف.

(٤) من أراد معرفة المزيد من معجزات الأنبياء فليرجع إلى كتاب (معجزات الأنبياء وكرامات الصحابة للأطفال).

الفرق بين المعجزة والكرامة وغيرهما

* حبايبي الحلوين:

* لابد أن نعلم أولاً أن هناك فرقًا بين المعجزة والإرهاصة والكرامة والمعونة والإهانة والاستدراج.

(١) المعجزة:

فالمعجزة هي أمرٌ خارقٌ للعادة يُجريه الله على أيدي الأنبياء والمرسلين وهي تقترن برسالتهم... كانشقاق القمر لرسول الله ﷺ.. وقلب العصا إلى حية لموسى - عليه السلام - وغير ذلك.

ولقد أيَّد الله أنبياءه ورسله بالمعجزات التي لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها ليعلموا أن هذا لا يكون إلا بتأييدٍ من الحق جل جلاله الذي إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كُن فيكون.

وكانت كل معجزة تتناسب مع أحوال الناس.

فإنه لما كان السحر متفشيًا في قوم فرعون أكرم الله نبيه موسى - عليه السلام - بمعجزة تفوق هذا السحر فإذا بعصاه تلقف ما يأفكون.

ولما كان الناس في عهد عيسى - عليه السلام - على درجة عالية من الطب أكرم الله نبيه عيسى - عليه السلام - بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله.

ولما كان العرب في أرض الجزيرة على درجة عالية من البلاغة

والفصاحة أكرم الله نبيه محمداً ﷺ بمعجزة القرآن الذى تحدَّى الله به الجن والإنس على أن يأتوا بسورة من مثله.

ونحن إذا تكلمنا عن تلك المعجزات فإن ذلك يجعل الإيمان يزداد في قلوبنا.. وإن كنا - ولله الحمد - نؤمن بنبينا ﷺ وإن لم يكن له معجزة واحدة فنحن نعلم أنه رسول الله ﷺ وأنه سيد الأولين والآخرين وأنه أكرم الناس على الله (جل وعلا).

(٢) الإرهاص:

ومن الأمور الخارقة للعادة وإن لم يكن معجزة لفقد شروط المعجزة: الإرهاص.. وهو ما يظهر للنبى قبل بعثته من أمور عجيبة لا تظهر لسائر البشر كقصة ولادته ﷺ وما وقع من الله فى إهلاك الفيل وأهله.

(٣) الكرامة:

ثم نأتى لأمر آخر خارق للعادة وإن لم يكن من المعجزات لافتقاد شروطها... وهى الكرامة.

الكرامة: أمر خارق للعادة تظهر على يد مؤمن ملتزم لمتابعة نبى مكلَّف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علَمَ بها أو لم يعلم فما يجرى على يد الأولياء من خوارق وعجائب تُسمَّى كرامات وقد تُسمى الكرامة آية لأنها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولى، لأن كل كرامة أولى هى معجزة لنبيه.

والولى: هو العارف بالله تعالى وبصفاته.. المواظب على طاعته لله، المجتنب معصيته... وسُمّى الولى بهذا لأن الله تولى أمره فلم

يكله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة، والله تعالى يتولى عباده دائمًا.

* وهناك بعض المواقف تدل على الكرامة:

روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى الأعداء من مسافة شهر فقال: «يا سارية الجبل»[1] فسمع سارية قائد جيش المسلمين صوته فانحاز بالناس إلى الجبل وقاتلوا العدو فنصرهم الله تعالى... فتلك كرامة لعمر أن رأى من تلك المسافة... كذلك لسارية أن سمع من المسافة نفسها.

روى أن عبد الله بن شقيق كان إذا مرت عليه سحابة يقول لها: أقسمت عليك بالله إلا أمطرتِ فتمطر في الحال.

هذا قليل القليل من كثير من كرامات الصحابة والأولياء.

(٤) المعونة:

ومن الأمور الخارقة للعادة أيضًا: المعونة.

فهناك أمر قد لا يظن الإنسان الصالح وجوده أو حدوثه ثم يقع له حسب رغبته أو حسب ما ينجيه كمن كان في صحراء وظهر له الأسد فوجد شجرة في مكان لا توجد في مثله الأشجار فتسلقها ونجى من الأسد.

(٥) الإهانة:

ومن الأمور الخارقة للعادة: الإهانة - أعاذنا الله من كل سوء - وهي أمر خارق للعادة يُظهره الله على يد كاذب يدّعي النبوة على عكس مراده كما وقع لمسيلمة الكذاب عندما تفل في عين رجل -

---

(١) سارية: قائد جيش المسلمين.

عوراء - لتصح فعميت الاثنتان أخزاه الله ولعنه.

(٦) الاستدراج:

ثم نأتي إلى آخر الأمور الخارقة للعادة: الاستدراج وهو أمر خارق للعادة يُظهره الله على يد مُدَّعي الألوهية كما يقع للمسيح الدجال عندما يقتل شخصًا ثم يُحييه ولكن بعد ذلك يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر[١].

أمثلة لبعض معجزات الأنبياء

وها هي باقة عطرة من معجزات الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم:

أولاً: معجزة نبي الله صالح (عليه السلام):

* فمن معجزات صالح عليه السلام أن قومه طلبوا منه أن يُخرج لهم من صخرة عيَّنوها له ناقة ثم حددوا صفات الناقة فدعا ربه بذلك فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة على الوجه الذي طلبوا[٢]. يقول الله تعالى في ذلك: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

ثانيا: معجزات نبي الله إبراهيم (عليه السلام):

* ومن معجزات إبراهيم عليه السلام: جعل الله النار التي أشعلها

---

(١) صحيح معجزات النبي ﷺ / للحافظ ابن كثير (ص١٨-١٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٣٦).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٧٣).

قومه لتعذيبه وإهلاكه ثم ألقوه فيها بردًا وسلامًا عليه.

قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ (١).

ومن الآيات التي أجراها على يد إبراهيم إحياء الموتى، وقد قصَّ الله علينا خبر ذلك: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ (٢).

فأمره بذبح هذه الطيور، ثم تقطيعها، وتفريقها على عدة جبال، ثم دعاها فلبَّت النداء، واجتمعت الأجزاء المتفرقة، والتحمت كما كانت من قبل، ودبَّت فيها الحياة، وطارت مُحلقة في الفضاء، فسبحان الله ما أعظم شأنه، وأجلَّ قدرته.

ثالثًا: معجزات نبي الله موسى (عليه السلام):

أعطى الله موسى تسع آيات بينات ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ (٣).

١- وأعظم هذه الآيات وأكبرها العصا التي كانت تتحول إلى حية عظيمة عندما يلقيها على الأرض ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَىٰ﴾ (٤).

(١) سورة الأنبياء: الآيات: (٦٨-٧٠).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٦٠).
(٣) سورة الإسراء: الآية: (١٠١).
(٤) سورة طه: الآيات: (١٧-٢١).

وكان من شأن هذه العصا أن ابتلعت عشرات من الحبال والعصى التى جاء بها سحرة فرعون ليغالبوا موسى، ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[(١)].

وعندما عاين السحرة ما فعلته حية موسى، علموا أن هذا ليس من صنع البشر، إنما هو من صنع الله خالق البشر، فلم يتمالكوا أن خروا أمام الجموع ساجدين لله رب العالمين ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾[(٢)].

٢- ومن الآيات التى أرسل بها موسى ما ذكره الله فى قوله: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾[(٣)].

كان يُدخل يده فى جيبه (درع قميصه)، ثم ينزعها، فإذا هى تتلألأ كالقمر بياضًا من غير سوء، أى: من غير برص، ولا بهق.

وذكر الله سبع آيات فى سورة الأعراف، فقد ذكر الله أنه أصابهم:

٣- بالسنين، وهى ما أصابهم من الجدب والقحط، بسبب قلة مياه النيل، وانحباس المطر عن أرض مصر.

٤- نقص الثمرات.. ذلك أن الأرض تمنع خيرها، وما يخرج

---

(١) سورة طه: الآيات: (٦٥-٦٩).
(٢) سورة طه: الآية: (٧٠).
(٣) سورة طه: الآية: (٢٢).

يصاب بالآفات والجوائح.

٥- الطوفان الذى يتلف المزارع ويهدم المدن والقرى.

٦- الجراد الذى لا يدع خضراء ولا يابسة.

٧- القمل، وهى حشرة تؤذى الناس فى أجسادهم.

٨- الضفادع التى نغصت عليهم عيشتهم لكثرتها.

٩- الدم الذى يصيب طعامهم وشرابهم.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[1].

• آيات أخرى:

هذه الآيات التسع التى أرسل بها موسى إلى فرعون، وإلا فالآيات التى أجراها الله على يد موسى أكثر من ذلك، فمن ذلك ضرب موسى البحر بعصاه وانفلاقه، ومن هذا ضربه الحجر فينفلق عن اثنتى عشرة عينًا، وإنزال المن والسلوى على بنى إسرائيل فى صحراء سيناء، وغير ذلك من الآيات.

رابعًا: معجزات نبى الله عيسى عليه السلام:

من معجزاته التى أخبرنا الله بها أنه كان يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتصبح طيورًا بإذن الله وقدرته، ويمسح الأكمه

---

(١) سورة الأعراف: الآيات: (١٣٠-١٣٣).

فيبرأ بإذن الله، ويمسح الأبرص فيُذهب الله عنه برصه، ويمر على الموتى فيناديهم فيحييهم الله تعالى، وقد حكى القرآن لنا هذا في قوله تعالى مخاطبًا عيسى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾(١).

ومن آياته تلك المائدة التي أنزلها الله من السماء عندما طلب الحواريون من عيسى إنزالها، وكانت على الحال التي طلبها عيسى عيدًا لأولهم وآخرهم ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾(٢).

خامسًا: آيات خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه:

أجرى الله على يد نبينا محمد ﷺ معجزات باهرات، وآيات مبصرات، إذا نظر فيها مريد الحق؛ دلته على أنها شهادة صادقة من الله لرسوله ﷺ، وقد عدّها بعض العلماء فنافت على ألف معجزة، وقد ألفت فيها مؤلفات، وتناولها علماء التوحيد والتفسير والحديث والتاريخ بالشرح والبيان.

(١) سورة المائدة: الآية: (١١٠).

(٢) سورة المائدة: الآيات: (١١٢-١١٥).

• **الآية العظمى:**

وأعظم الآيات التى أعطيها رسولنا ﷺ، بل أعظم آيات الرسل كلهم القرآن الكريم، والكتاب المبين، وهو آية تخاطب النفوس والعقول، آية باقية دائمة إلى يوم الدين، لا يطرأ عليها التغيير ولا التبديل ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١).

* **ومن معجزاته ﷺ:** انشقاق القمر عندما سأل أهل مكة النبى ﷺ آية فانشق القمر شقين فرآه أهل مكة ورآه غيرهم.

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾(٢).

* ومن معجزاته - عليه الصلاة والسلام - الإسراء والمعراج.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾(٣).

معجزة الرسول ﷺ فى حفر الخندق

وبدأ الصحابة فى حفر الخندق وكان النبى ﷺ يشاركهم فى الحفر.

وفى أثناء الحفر كانت هناك صخرة قوية لم يستطع الصحابة أن يحفروها فذهبوا إلى النبى ﷺ ليخبروه بذلك فما كان من النبى

(١) سورة فصلت: الآيتان: (٤١-٤٢).
(٢) سورة القمر: الآيتان: (١، ٢).
(٣) سورة الإسراء: الآية: (١).

ﷺ إلا أنه ذهب معهم إلى مكان الصخرة القوية وأخذ المعول ونزل إليها وقال: «بسم الله» ثم ضرب الصخرة ضربة قوية فكسر ثُلثها وهو يقول: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام.. والله إني لأنظر إلى قصورها الحُمر الساعة». ثم ضرب الصخرة ضربة ثانية فكسر الثلث الثاني وهو يقول: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح فارس.. والله إني لأُبصر قصر المدائن الأبيض».

ثم ضرب الصخرة ضربة ثالثة فكسر ما تبقى منها وهو يقول: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح اليمن.. والله إني لأُبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا»[1].

تكثير الطعام في بيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه

وفي أثناء الحفر كان المسلمون يعانون من شدة الجوع فنظر جابر بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فرأى آثار الجوع بادية على وجهه ﷺ فذهب جابر إلى زوجته وأمرها أن تذبح شاة وأن تُعد الطعام لرسول الله ﷺ فأطاعته وقالت له: لا تفضحني أمام رسول الله ﷺ فإن الطعام لا يكفي إلا لرسول الله ﷺ واثنين من أصحابه.

فذهب جابر وقال للنبي ﷺ سرًا: قد أعددنا لك طعامًا يا رسول الله.

فقام النبي ﷺ ونادى على كل الصحابة وقال لهم: «يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع لكم طعامًا - وكانوا ألف رجل -».

(١) أخرجه أحمد (٤/٣٠٣)، والنسائي في الكبرى (٥/٢٦٩)، وأبو يعلى (٣/٢٤٤)، وقال الحافظ في الفتح (٧/٣٩٧): إسناده صحيح.

فوقف جابر يفكر: كيف سيأكل ألف رجل من طعام لا يكفى إلا لثلاثة.

فإذا بالنبى ﷺ يقول له: «لا تخبزا طعامكم حتى أجىء».

فذهب جابر ومعه النبى ﷺ وأصحابه إلى البيت.. فلما رأت زوجة جابر أن النبى ﷺ قد جاء ومعه الجيش كله أخذت تؤنب زوجها جابر.. فقال لها: لقد دعاهم النبى ﷺ وهو يعلم ما عندنا من الطعام.

فقالت: لا عليك.. ما دام النبى ﷺ هو الذى دعاهم.

فجاء النبى ﷺ وبصق على العجين وسمَّى باسم الله وبارك ثم قال لهم: «الآن اخبزوا عجينكم»(١).

فأعدوا الطعام... وأخذ جابر يدعو الصحابة عشرًا عشرًا.. فيأكلون وما يزال الطعام كما هو... حتى أكل ألف رجل ولم ينقص من الطعام شيء... وأكل النبى ﷺ ثم أعطى الطعام لجابر وأمره أن يأكل هو وزوجته وأن يهدوا لجيرانهم... كل ذلك وما زال الطعام كما هو ببركة النبى ﷺ.

معجزات النبى ﷺ فى الحديبية

بُعث الرسول ﷺ فى بيئة صحراوية جافة، وكان هو وأصحابه يخرجون كثيرًا للغزوات دفاعًا عن الدين، وكانوا يتعرضون لقلة الماء أو فقده فيعطشون ويحتاجون الماء أيضًا للطهارة للعبادة، فكان الله سبحانه يُرى الصحابة خوارق تكثير الماء القليل على يد النبى ﷺ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

ولما نزل المسلمون عند بئر الحديبية وكان الماء قليلاً فأخذ الصحابة يشتكون من شدة العطش فدعا النبي ﷺ بإناء من ماء منها فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه في البئر ففاضت بالماء . . . فشرب الناس وتوضؤوا .

النبي ﷺ يخبر بموت القادة الثلاثة في سرية مؤتة

لما أرسل النبي ﷺ جيشًا إلى سرية مؤتة وأمّر عليهم ثلاثة وهم: زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وكانت مؤتة على مسافة بعيدة من المدينة .

فلما قُتل الثلاثة وقف النبي ﷺ يخبر أصحابه بخبر موتهم دون أن يخبره أحد من البشر . . فقد أخبره جبريل - عليه السلام - بذلك .

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأُصيب ثم أخذ جعفر فأُصيب ثم أخذ ابن رواحة فأُصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»[1] .

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٦٢) .

الجمل يسجد للحبيب ﷺ

وفى يوم من الأيام كان هناك أهل بيت من الأنصار عندهم جمل يسقون عليه أرضهم فأصبح الجمل مفترسًا لا ينقاد لهم فذهبوا إلى النبى ﷺ يشكون إليه حالهم وأنهم قد أجدبت أرضهم بسبب ذلك الجمل.

فذهب معهم النبى ﷺ وكان الصحابة يخافون عليه من ذلك الجمل ولكن النبى ﷺ أخبرهم أنه لن يصيبه بسوء.. واقترب من الجمل فجاء الجمل إليه مسرعًا حتى سجد بين يديه فقام النبى ﷺ وأخذ بناصيته حتى أدخله فى العمل مرة أخرى.

الطعام والحصى يُسبح فى يد النبى ﷺ

لقد كان الصحابة يسمعون صوت الطعام وهو يُسبح فى يد النبى ﷺ.

وكانوا أيضًا يسمعون صوت تسبيح الحصى فى يد النبى ﷺ.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فقلَّ الماء، فقال: «اطلبوا فضلة من ماء»، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده فى الإناء، ثم قال: «حى على الطهور المبارك، والبركة من الله»، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل[1].

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٥٧٩).

* وفى رواية أنه قال: «كنا نسمع صوت تسبيح الحصى فى يد النبى ﷺ».

* **شجرة تشهد للنبى ﷺ بالرسالة:**

ففى يوم من الأيام لقى النبى ﷺ رجلاً أعرابيًا وعرض عليه الإسلام فطلب الأعرابى من النبى ﷺ مَن يشهد له بذلك. فإذا بالنبى ﷺ يدعو شجرة بعيدة فجاءت إلى النبى ﷺ تشق الأرض شقًّا حتى قامت بين يدى النبى ﷺ واستشهدها ثلاث مرات فشهدت له بالرسالة.. ثم أمرها النبى ﷺ فعادت حيث كانت.

* **النبى ﷺ يأمر غصنًا فيطيع أمره:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أعرابيًا جاء إلى النبى ﷺ فقال: بِمَ أعرف أنك نبى؟!، قال: «إن دعوتُ هذا العذق(١) من هذه النخلة تشهد أنى رسول الله؟» فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبى ﷺ ثم قال: «ارجع»، فعاد فأسلم الأعرابى»(٢).

* **حنين الجذع شوقًا للنبى ﷺ:**

ولما بنى النبى ﷺ المسجد لم يكن له منبر يخطب عليه فكان النبى ﷺ يخطب على جذع نخلة... فجاءت امرأة من الأنصار وكان لها ولدٌ يعمل نجارًا فاستأذنت رسول الله ﷺ فى أن يصنع ابنها منبرًا ليخطب عليه النبى ﷺ فوافق النبى ﷺ.

---

(١) العذق فى النخلة: غصنها الذى يكون فيه الرطب، كعنقود العنب.

(٢) صحيح: رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٣/١٩٣).

وفي الجمعة التالية وضع الصحابة الجذع جانبًا وجعلوا المنبر الجديد في القبلة فصعد النبي ﷺ ليخطب على المنبر فإذا بأصحاب الرسول ﷺ يسمعون صوت حنين الجذع وكأنه صوت ناقة في حال الولادة فنزل النبي ﷺ واحتضن الجذع فسكت الجذع فقد كان حزينًا لفراق النبي ﷺ.

إخباره ﷺ ببعض الأمور المستقبلية التي أطلعه الله عليها

إن معرفة الغيب على إطلاقه لا يكون إلا لله جل وعلا.

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[(١)].

ولقد أطلع الله - عز وجل - نبينا ﷺ على الكثير والكثير حتى إن الحبيب ﷺ أخبر أمته بعلامات الساعة الصغرى والكبرى.

ووقع كل ما أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ ما عدا تلك العلامات التي لم يأت موعد ظهورها.

فأخبر النبي ﷺ عن أشراط الساعة الصغرى: ومنها ظهور الفتن واتباع سنن الأمم الماضية وظهور الخوارج وظهور من يدعي النبوة

(١) سورة الجن: الآيات: (٢٦-٢٨).

وضياع الأمانة وكثرة الشُّرَط وأعوان الظلمة وانتشار الزنا والربا وظهور المعازف وزخرفة المساجد وشُرب الخمور وكثرة القتل وتقارب الزمان وظهور الشرك في هذه الأمة وظهور الفُحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار وكثرة الشُّح والتجارة وكثرة الزلازل وذهاب الصالحين وارتفاع الأسافل وظهور الكاسيات العاريات، وغير ذلك من علامات الساعة الصغرى... ولقد وقعت كما أخبر بها الحبيب ﷺ وكأنه ينظر إليها من وراء زجاج شفاف.

ومن ذلك أن النبي ﷺ عندما صعد أُحُدًا (جبل أُحد) ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: «اثبُت أُحد فإنما عليك نبيّ وصدّيق وشهيدان»[(١)]. وبالفعل قُتل عمر وعثمان رضي الله عنهما ورزقهما الله الشهادة.

بل لقد ذكر النبي ﷺ المبشرين بالجنة من أصحابه رضي الله عنهم وكلهم ماتوا على التوحيد ولم يرتد واحدٌ منهم.... إلى غير ذلك من معجزات النبي ﷺ.

* ما هي ثمرات الإيمان بالرسل؟

إذا تحقق الإيمان بالرسل ترك آثاره الطيبة وثماره اليانعة على المؤمن فمن ذلك:

١- العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

٢- شكر الله على هذه النعمة الكبرى.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٧٥)، والترمذي (٣٦٩٧).

٣- محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده، ولما قاموا به من تبليغ رسالة الله لخلقه وكمال نصحهم لأقوامهم وصبرهم على أذاهم[1].

* بِمَ فضّل الله الأنبياء بعضهم على بعض؟

* اختص الله آدم بأنه أبو البشر، . . . ففي حديث الشفاعة أن الناس يأتون آدم: «**يقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك**»[2].

* وفضّل نوحًا بأنه أول الرسل إلى أهل الأرض، وسمّاه عبدًا شكورًا. . . ففي حديث الشفاعة أيضًا أنهم يأتون إلى نوح: «**يقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسمّاك الله عبدًا شكورًا**».

* وفضّل إبراهيم باتخاذه خليلاً، . . . قال تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**﴾[3]، وجعله للناس إمامًا، . . . قال تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾[4].

* وفضّل موسى برسالاته وبكلامه، . . . قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي**﴾[5].

* وفضّل داود بإعطائه الزبور، . . . قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾[6].

---

(١) أصول الإيمان (ص١٦١).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٣١٦٢).
(٣) سورة النساء: الآية: (١٢٥).
(٤) سورة البقرة: الآية: (١٢٤).
(٥) سورة الأعراف: الآية: (١٤٤).
(٦) سورة الإسراء: الآية: (٥٥).

*وفضَّل عيسى بأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكان يكلم الناس في المهد،.... قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (١).

*وفضَّل يحيى بأنه كان سيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين.

قال تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢)(٣).

* * *

(١) سورة النساء: الآية: (١٧١).
(٢) سورة آل عمران: الآية: (٣٩).
(٣) ابن الإسلام (ص٧٧، ٧٨).

خصائص النبى ﷺ وحقوقه على أمته

إن شأن رسول الله ﷺ عند الله لعظيم.. وإن قدْره لكريم..

فلقد اختاره الله تعالى واصطفاه على جميع البشر وفضَّله على جميع الأنبياء والمرسلين، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وأعلى له قدره، وزكَّاه فى كل شىء.

زكَّاه فى عقله فقال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[1].

وزكَّاه فى صدقه فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[2].

وزكَّاه فى بصره فقال سبحانه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[3].

وزكَّاه فى فؤاده فقال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[4].

وزكَّاه فى صدره فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[5].

وزكَّاه فى ذكره فقال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[6].

وزكَّاه فى طُهره فقال سبحانه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾[7].

وزكَّاه فى حلمه فقال سبحانه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[8].

وزكَّاه فى علمه فقال سبحانه: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾[9].

---

(١) سورة النجم: الآية: (٢).
(٢) سورة النجم: الآية: (٣).
(٣) سورة النجم: الآية: (١٧).
(٤) سورة النجم: الآية: (١١).
(٥) سورة الشرح: الآية: (١).
(٦) سورة الشرح: الآية: (٤).
(٧) سورة الشرح: الآية: (٢).
(٨) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).
(٩) سورة النجم: الآية: (٥).

وزكّاه في خُلقه فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١).

ثم أخبر عن منزلته في الملأ الأعلى عند رب العالمين وعند الملائكة المقربين فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾(٢).

* ثم أمر أهل الأرض من المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ليجتمع له الثناء من أهل السماء وأهل الأرض فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٣).

وتالله إنني أقول: إنه لا يعرف قدر النبي ﷺ إلا الرب العلي سبحانه وتعالى.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين»(٤).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «فُضِّلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونُصرتُ بالرُّعب وأُحلت لي الغنائم وجُعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا وأُرسلت إلى الخلق كافة وخُتم بي النبيون»(٥).

* بل أقسم الله (عز وجل) بالضحى والليل إذا سجى أنه ما أهمل محمدًا ﷺ وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتباه، وأن ما

---

(١) سورة القلم: الآية: (٤).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢١).

أعده له في الآخرة خير له من كل ما أعطاه في دنياه فقال جل في علاه: ﴿ وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[١].

* بل لقد أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بُعث فيهم الحبيب محمد ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[٢].

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى وقَّره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه وأسنى أوصافه فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ فنادى الله عز وجل الأنبياء بأسمائهم الأعلام فقال: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[٣].

وقال: ﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ ﴾[٤] وقال: ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾[٥]، وقال: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾[٦].

وما خاطب الله عز وجل نبينا ﷺ إلا بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ أو

---

(١) سورة الضحى.
(٢) سورة آل عمران: الآية: (٨١).
(٣) سورة الأعراف: الآية (١٩).
(٤) سورة هود: الآية: (٤٨).
(٥) سورة الصافات: الآيتان: (١٠٤، ١٠٥).
(٦) سورة مريم: الآية: (١٢).

بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ أو بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أو بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

وجمع الله عز وجل في الذكر بين خليله إبراهيم وخليله محمد ﷺ، فذكر خليله إبراهيم باسمه وخليله محمد بكنية النبوة، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾[1]. فكنَّاه إجلالاً له ورفعة لفضل مرتبته ونباهته عنده ثم قدَّمه في الذكر على من تقدمه في البعث فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[2].

* **ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى أقسم بحياته ﷺ فقال:** ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[3]، وإن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم الله عز وجل بها، لما فيها من البركة العامة والخاصة.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس، قال: ما خلق الله وما برأ وما ذرأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره.

قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[4].

* ومن فضله وشرفه ﷺ أن الله عز وجل أمر الأمة بتوقيره واحترامه، فأخبر عز وجل أن الأمم السابقة كانت تخاطب رسلهم بأسمائهم الأعلام كقولهم: ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[5]،

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٦٨).
(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٧).
(٣) سورة الحجر: الآية: (٧٢).
(٤) سورة الحجر: الآية: (٧٢).
(٥) سورة الأعراف: الآية: (١٣٨).

وقولهم: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾(١). وقولهم: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾(٢). ونهى الله عز وجل أمة النبي محمد ﷺ، أن ينادوه باسمه فقال عز وجل: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾(٣).

وعن ابن عباس في هذه الآية قال: (كانوا يقولون: يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عن ذلك إعظامًا لنبيه ﷺ، قال: فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله).

ونهى الله عز وجل أمة النبي أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته إعظامًا له ﷺ، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾(٤).

* ومن شرفه وفضله ﷺ إيثاره ﷺ أمته على نفسه بدعوته؛ إذ جعل الله عز وجل لكل نبي دعوة مستجابة، فكلٌ منهم تعجَّل دعوته في الدنيا، واختبأ هو ﷺ دعوته شفاعةً لأمته.

ففي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجَّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»(٥).

---

(١) سورة هود: الآية: (٥٣).
(٢) سورة الأعراف: الآية: (٧٧).
(٣) سورة النور: الآية: (٦٣).
(٤) سورة الحجرات: الآية: (٢).
(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩).

وقد دلت الأحاديث الكثيرة على رحمة النبي ﷺ بأمته، وإيثاره إياهم على نفسه، ودعائه لهم في كل مناسبة تعرض له، بل بلغ من شفقته عليهم أنه أخذه البكاء عند الدعاء لهم، كما ثبت في صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وقول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢).

فرفع يده وقال: «أمتي أمتي» ثم بكى فقال الله تعالى: «يا جبريل: اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»(٣).

* من الأدلة على شرفه وفضله ﷺ أنه ساد الكل ﷺ كما في حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه من قوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه**»(٤).

ولما كان ذكر مناقب النفس إنما يُذكر افتخاراً في الغالب، أراد ﷺ أن يقطع وهم من توهم من الجهلة أنه يذكر ذلك افتخاراً فقال: «**ولا فخر**».

* ومنها أنه ﷺ أول شافع وأول مشفع، كما في صحيح

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٢) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢).

(٤) صحيح: رواه الطبراني، وأبو يعلى، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٦٨).

مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع»(١).

فهو ﷺ أول من يشفع في الخلائق يوم القيامة، كما في حديث الشفاعة حين يذهب للشفاعة يستأذن على الله فيأذن له، فإذا رأى الله تعالى خرَّ ساجداً، فيدعه الله ما شاء ثم يقال: «ارفع رأسك محمد قُل تُسمع وسل تُعط، واشفع تشفَّع»(٢).

وهذه هي الشفاعة العظمى في الخلائق كلهم يوم القيامة، وهي المقام المحمود الذي اختص به نبينا ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(٣).

وعسى من الله واجب كما قال ابن عباس ﷺ، ولنبينا ﷺ شفاعات أخرى.

منها: شفاعته لأهل الجنة في دخولها، فلا تُفتح لأحد قبله ﷺ.

ومنها: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفع لهم حتى لا يدخلوها، ومنها شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم، ومنها: شفاعته لأهل الكبائر من أمته، ومنها: في بعض أهله الكفار حتى يخفف عنهم عذاب النار، وهذه خاصة بأبي طالب، ففي الصحيحين عن العباس ﷺ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).
(٣) سورة الإسراء: الآية: (٧٩).

قال: قلت يا رسول الله: ما أغنيت عن عمك وكان يدفع عنك ويحوطك؟ قال: **«هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»**(١).

* ومن الأدلة على شرفه ﷺ أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولم يُنقل أنه أخبر أحدًا من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم؛ لأن كل واحد منهم إذا طُلبت منهم الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصابها وقال: **«نفسي نفسي»** كما ورد في حديث الشفاعة الطويل وفيه أن الناس يذهبون إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى يطلبون الشفاعة، فكل منهم يذكر أن الله غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ثم يقول: **«نفسي نفسي»** ويحيلهم على غيره حتى يأتوا عيسى فيقول لهم **«لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»** فإذا أتوا النبي ﷺ قال: **«أنا لها أنا لها»**(٢).

* ومن فضله وشرفه ﷺ أن معجزة كل نبي تصرمت وانقضت ومعجزته ﷺ - وهي القرآن المبين - باقية إلى يوم الدين.

فمن الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ما من

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٩-٢).

(٢) حسن: رواه ابن حبان بسند صحيح، وحسنه الألباني في تحقيق بداية السول وهو مخرج في ظلال الجنة وفي تخريج السنة برقم (٣٩٣).

الأنبياء نبى إلا أُعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيًا أوحاه الله إلىَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[(١)].

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله عز وجل يكتب لكل نبى من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها، . . . وأمته شطر أهل الجنة.

فقد روى أحمد ومسلم والأربعة من حديث أبى هريرة بلفظ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»[(٢)].

وأمته خير الأمم ﷺ، وإنما كانوا خير الأمم لما اتصفوا به من المعارف والأحوال والأقوال والأعمال؛ ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غبطة غبط بها النبى ﷺ إذ يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمة موسى عليه السلام، وصح هذا فى قصة المعراج من حديث (أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا وفيه. . . ثم صعد بى إلى السماء السادسة فلما خلصت، فإذا موسى، قال: (جبريل): هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فردَّ، ثم قال مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح، فلما تجاوزت بكى. قيل له ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلامًا بُعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتى»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤).
(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٨٨٧).

* ومن فضله ﷺ أنه أحلت له الغنائم، ... ففى الصحيحين عن جابر أن النبى ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد قبلى، نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليُصلِّ، وأُحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبى يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة»[1].

* ومن فضله ﷺ حفظ كتابه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2].

وقال عن الكتب السابقة: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾[3].

فجعل حفظه إليهم فضاع.

* ومن شرفه وفضله ﷺ ما رواه الشيخان عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بَيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم - يعنى الجمعة - فاختلفوا فيه، فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدًا والنصارى بعد غد»[4].

والمعنى أن هذه الأمة ببركة نبيها ﷺ آخر الأمم خلقًا، وأولهم دخولاً الجنة يوم القيامة، وفى الحديث كذلك أن الله عز وجل قد فرض على الأمم السابقة يومًا يعظمونه ويتعبدون فيه فوقع اختيار

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) سورة الحجر: الآية: (٩).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٤٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

اليهود على يوم السبت والنصارى على يوم الأحد، وهدى الله عز وجل أمة النبى ﷺ ليوم الجمعة.

* ومن فضله ﷺ عصمة أمته فلا تجتمع على ضلالة، وحفظ طائفة من أمته لا تزال ظاهرة على الحق. كما فى حديث البخارى وغيره «**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتى أمر الله وهم كذلك**»(١).

* ومن فضله ﷺ أن الله عز وجل أنزل أمته منزلة العُدول من الحكام،... فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب. فيقول: هل بلّغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلّغكُم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته... فيشهدون أنه قد بلّغ ويكون الرسول عليهم شهيداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**(٢)(٣). والوسط: العدل.

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى أرسل كل نبى إلى قومه خاصة وأرسل نبينا ﷺ إلى الجن والإنس، ولذلك تمنن بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾(٤).

ووجه التمنن أنه لو بعث فى كل قرية نذيراً، لما حصل لرسول

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١).
(٢) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).
(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٣٣٩).
(٤) سورة الفرقان: الآية: (٥١).

الله ﷺ إلا أجر إنذاره لأهل قرابته.

* ومن شرفه ﷺ الكوثر الذى أعطاه الله عز وجل، وهو نهر في الجنة وحوض في الموقف.

روى أحمد ومسلم وغيرهما عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسمًا قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «لقد أنزلت علىَّ آنفًا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾(١)».

ثم قال: «أتدرون ما الكوثر»؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم في السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول يا رب! إنه من أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك»(٢).

* ومن شرفه وفضله ﷺ أنه ﷺ صاحب الوسيلة، وهي أعلى درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وهي له ﷺ.

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»(٣).

---

(١) سورة الكوثر.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢٢١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤).

* ومن فضله وشرفه ﷺ أن الله عز وجل وهبه سبعين ألفًا من أمته، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب وجوههم مثل القمر ليلة البدر، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وليس هذا لأحد غيره ﷺ.

حقوق النبي ﷺ على أمته

إن للحبيب ﷺ حقوقًا على أمته لا تُعد ولا تُحصى ومن بينها:

(١) الإيمان به ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١).

وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(٢).

(٢) محبته ﷺ دون غلو:

إن محبة الحبيب المصطفى ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان، وإذا استقرت شجرة المحبة الصادقة في القلب آتت أُكلها كل حين وأثمرت كل أنواع الاتباع والاقتفاء للمحبوب ﷺ.

والمحبة وإن كانت واجبة لعموم الأنبياء والرسل إلا أن لنبينا

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٣).

ﷺ مزيد اختصاص بها ولذا وجب أن تكون محبته مُقدَّمة على محبة الناس كلهم من الأبناء والآباء وسائر الأقارب... بل مُقدَّمة على محبة المرء لنفسه

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [1].

فقرن الله محبة رسوله ﷺ بمحبته عز وجل وتوعَّد من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله - توعدهم بقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» [2].

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله أنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر» [3][4].

(٢) تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وإجلاله:

فإن هذا من حقوق النبي ﷺ التي أوجبها الله في كتابه.

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٢٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٦٣٢).

(٤) أصول الإيمان (ص١٨٢-١٨٣) بتصرف.

قال تعالى: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [(١)].

(٤) طاعته ﷺ في كل ما أمر:

قال تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [(٢)].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [(٣)].

بل قد جعل الله جل وعلا طاعة الرسول ﷺ واتباعه عنوان محبته جل وعلا.

قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [(٤)].

* يقول ابن كثير -رحمه الله-:

هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله. اهـ [(٥)].

قال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا مَن أَبَى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة؟ ومن عصاني فقد أبى» [(٦)].

---

(١) سورة الفتح: الآية: (٩).
(٢) سورة النساء: الآية: (٨٠).
(٣) سورة النساء: الآية: (٦٥).
(٤) سورة آل عمران: الآيتان: (٣١، ٣٢).
(٥) تفسير ابن كثير (١/٣٣٨).
(٦) صحيح: رواه البخاري (٧٢٨٠).

وقال ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله»(١).

(٥) الانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر:

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم»(٢).

(٦) الاتباع:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٣).

وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(٤).

* وقال ابن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا بيده ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيمًا» وخط عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾(٥)(٦).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، وليختلجن رجال دوني فأقول: يا رب

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).
(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).
(٤) رواه البخاري تعليقًا في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (١٧١٨).
(٥) حسن: رواه أحمد (٤١٣١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٦٦).
(٦) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقًا لمن بدل بعدي»[(١)].

وهذا هو فاروق الأمة عمر رضي الله عنه: يأتي إلى الحجر الأسود فقبّله ثم قال: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبّلتك»[(٢)].

(٧) تصديقه ﷺ في كل ما أخبر:

وذلك لأن النبي ﷺ يخبر عن رب العزة.

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾[(٣)].

فرسول الله ﷺ في كل ما يخبره عن رب العزة صادق، صادق، بل ستعجبون أن صدق النبي ﷺ أقر به الكافر قبل المسلم، فلقد لقب المشركون في مكة رسول الله ﷺ قبل البعثة بالصادق الأمين.

(٨) تعظيمه وتوقيره والأدب معه ﷺ:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[(٤)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: تعزروه: تعظموه... وتوقروه: من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٨٥)، ومسلم (٢٢٩١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٥٩٧).

(٣) سورة النجم: الآيات: (١-٥).

(٤) سورة الفتح: الآيتان: (٨، ٩).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[1].

وستعجبون أن صدر هذه الآيات قد نزل فى الخيرين الجليلين الكريمين الحبيبين أبى بكر وعمر رضي الله عنهما.. نعم فى أبى بكر وعمر.

ففى صحيح البخارى عن ابن أبى مُليكة قال: «كاد الخيران أن يهلكا أبوبكر وعمر رضي الله عنهما» رفعا أصواتهما عند النبى ﷺ حين قدم عليه ركب بنى تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس وأشار الآخر برجل آخر فقال أبوبكر لعمر: ما أردت إلا خلافى قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما فى ذلك فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية.

قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعنى: أبا بكر الصديق[2].

وفى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

يقول أنس: جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال: أنا من أهل النار

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٨٤٥).

واحتبس عن النبي ﷺ . فسأل النبي سعد بن معاذ، فقال: «يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ أشتكى؟» قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى. قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتهم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله: «بل هو من أهل الجنة»(١).

(٩) التحلي بأخلاق الرسول:

إذا كنت محبًّا صادقًا للرسول ﷺ فتخلَّق بأخلاقه.

(١٠) تبليغ دعوته وسُنّته ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٣).

ويكفي في هذا قول النبي ﷺ لعلي ولمعاذ أيضًا: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم»(٤). وقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى فاتُبع عليه، كان له مثل أجر من اتبعه إلى عمله، إلى يوم القيامة»(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٩).

(٢) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

(٣) سورة فصلت: الآية: (٣٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤).

وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم[١].

وعن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[٢].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا يُنقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»[٣].

(١١) الدفاع عن النبى ﷺ:

وذلك بأن تدافع عن النبى ﷺ وعن سُنته -فى حياته- وتدافع عن سنة النبى ﷺ بعد وفاته.

(١٢) الصلاة والتسليم على النبى ﷺ والإكثار من ذلك كما أمر الله بذلك:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٤].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا»[٥].

وعن على رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «البخيل الذى مَن ذُكرت عنده فلم يُصلِّ علىّ»[٦].

---

(١) جلاء الأفهام: (٢٤٩ - ٢٥٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٩٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤).

(٦) صحيح: رواه أحمد والترمذى وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٧٨).

(١٣) تجنب الغلو فيه والحذر من ذلك:

فإن في ذلك أعظم الأذية للنبي ﷺ قال تعالى آمرًا نبيه ﷺ أن يخاطب الأمة بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١).

كما حذر النبي ﷺ أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه... ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله» (٢).

والإطراء: هو المدح بالباطل ومجاوزة الحد في المدح.

(١٤) ومن حقوق النبي ﷺ محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه:

وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقُّصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه ونَدَب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاًّ لهم. فقال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

وقال تعالى في حق قرابة رسوله ﷺ وأهل بيته: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٤).

---

(١) سورة الكهف: الآية: (١١٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٤٦٢).

(٣) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٤) سورة الشورى: الآية: (٢٣).

جاء في تفسير الآية: «قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تودوا قرابتي»(١).

ادّعاء النبوة بعد النبي ﷺ

قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله»(٢)، وقد وقع في عهده ﷺ ادعاء النبوة من مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وطليحة الأسدي، ومنهم من تاب كطليحة، ومنهم من قُتل على الكفر.

فكل من ادَّعى النبوة بعد النبي ﷺ فهو كافر، ومن صدَّقه فهو كافر، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، فقد قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(٣).

والعجيب أن من يزعمون أو يؤمنون برسالة أو نبوة بعده ﷺ، يؤمنون أنه رسول الله، وأن ما أخبر به صدق، وأن القرآن حق، ثم يقولون بنبوة أنبياء آخرين بعده ﷺ، والله عز وجل يقول: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، وقد قررنا أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، فلو قلنا: خُتمت النبوة بمحمد ﷺ فلا نبي بعده، فبالأولى لا رسول بعده لأنه لن يكون رسولاً إلا إذا كان نبيًا، والنبوة منتفية بعده(٤).

(١) أصول الإيمان (ص١٨٤-١٨٧) بتصرف.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٠٩) ومسلم (١٥٧).
(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).
(٤) المنة شرح اعتقاد أهل السنة (ص٢٨٨).

خامسًا: الإيمان باليوم الآخر[(١)]

* ما المراد باليوم الآخر؟ وهل الإيمان به واجب؟

المراد باليوم الآخر هو اليقين التام بفناء هذا العالم وانتهاء الحياة الدنيا وإقبال الحياة الآخرة وأن الله سيبعث الناس جميعًا ليحاسب كل إنسان على عمله.. فمنهم من يدخل الجنة ومنهم من يدخل النار.

* والإيمان باليوم الآخر واجب لأنه أحد أركان الإيمان الستة التى تُبنى عليها عقيدة المؤمن.

الوفاة الكبرى والوفاة الصغرى

نحن نعلم أن النوم شبيه الموت ولذلك يُسميه أهل العلم بالوفاة الصغرى.. فالنوم وفاة والقيام من النوم بعثٌ ونُشور.

ولذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾[(٢)] وفى النوم تُقبض أرواح العباد، ومن شاء الحق أن يُمسك روحه فى حال نومه أمسكها، ومن شاء بقاءها ردّها إلى

(١) من أراد المزيد فليرجع إلى كتاب (رحلة إلى الدار الآخرة) للمصنف.
(٢) سورة الأنعام: الآية: (٦٠).

الأجل الذى حدده الحق، . . . قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(١).

* ماذا يعنى الإيمان بالموت؟

- يعنى أشياء كثيرة منها:

أن الموت حتمٌ لازم على كل المخلوقات من أهل الأرض والسماوات من الإنس والجن، والملائكة، وغيرهم من المخلوقات.

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٢).

* أن كل مخلوق له أجل محدود، وأمد معدود ينتهى إليه، لا يتجاوزه، ولا يقصر عنه.

* الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاء كل عمر إليه لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به، وأن ذلك من مفاتح الغيب التى استأثر الله تعالى بعلمها عن جميع خلقه، فلا يعلمها إلا هو، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾(٣).

* ذكر العبد الموت، وجعله على باله، . . . . قال رسول الله ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات.. الموت»(٤).

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٤٢).

(٢) سورة الرحمن: الآيتان: (٢٦-٢٧).

(٣) سورة لقمان: الآية: (٣٤).

(٤) صحيح: رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٣٠٧).

* ومنها: وهو المقصود الأعظم: التأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعى النافع قبل دهوم البلاء وحلوله؛ إذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار.

* الإيمان بما بعد الموت... والذي كتبه الله على العباد حتمًا من أحوال الاحتضار، إلى البعث والنشور، إلى أن يقضى الله بين عباده، ويستقر كلٌ من الفريقين: فريق فى الجنة، وفريق فى السعير[(١)].

* هل يعلم أحدٌ ميعاد موته؟

- لا يعلم أحدٌ متى يموت ولا أين يموت.. فإن ذلك كله لا يعلمه إلا الله (جل وعلا).

وهو واحد من مفاتيح الغيب التى استأثر الله بعلمها.

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[(٢)]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[(٣)].

وقد روى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾»[(٤)].

---

(١) ابن الإسلام (ص٨١-٨٢).
(٢) سورة الأنعام: الآية: (٥٩).
(٣) سورة لقمان: الآية: (٣٤).
(٤) صحيح: رواه البخارى (٤٦٢٧).

* هل يُستحب الإكثار من ذكر الموت؟

أجل.. يُستحب الإكثار من ذكر الموت حتى لا تتعلق قلوبنا بالدنيا ومتاعها الزائل.

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ وإنما توفَّوْن أجورَكم يومَ القيامة فمن زُحزِح عن النارِ وأُدخل الجنةَ فقد فاز وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغرور﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غداً وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿فإذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون﴾[(٣)].

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخُذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك[(٤)].

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات» يعني: الموت[(٥)].

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ سُئل: أي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً وأشدهم استعداداً له أولئك هم الأكياس»[(٦)].

* * *

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٢) سورة لقمان: الآية: (٣٤).

(٣) سورة النحل: الآية: (٦١).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٦).

(٥) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجة، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٢١٠).

(٦) حسن: رواه ابن ماجه والحاكم، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٣٨٤) بمجموع طرقه.

أثر تذكر الموت في إصلاح النفوس

إن لتذكُّر الموت أثرًا كبيرًا في إصلاح النفوس وتهذيبها.

ذلك أن النفوس تُؤْثِر الدنيا وملذاتها، وتطمع في البقاء المديد في هذه الحياة، وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصي، وقد تقصر في الطاعات، فإذا كان الموت دائمًا على بال العبد، فإنه يصغر الدنيا في عينه ويجعله يسعى في إصلاح نفسه وتقويم المعوج من أمره.

قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت، فإنه لم يذكره في ضيق من العيش إلا وسَّعه عليه، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها**»[(١)].

سكرات الموت

للموت سكرات يشعر بها الإنسان عند الاحتضار... كما قال (جل وعلا): ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[(٢)].

وروي عن النبي ﷺ أنه كان بين يديه ركوة فيها ماء فجعل يُدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت لسكرات».

وفي رواية: «اللهم أعنّي على سكرات الموت»[(٣)].

---

(١) حسن: رواه البيهقي وابن حبان عن أبي هريرة، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٢١١).

(٢) سورة ق: الآية: (١٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٥١٠).

ما الذى يخفف سكرات الموت

أخبرنا الرسول ﷺ أن الشهيد الذى يسقط فى المعركة تُخفف عنه سكرات الموت، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة»(١).

حضور ملائكة الموت

فإذا حان وقت الرحيل أرسل الله ملائكة الموت لانتزاع الروح وتهيئتها استعدادًا لمجىء ملك الموت لقبض تلك الروح.

وملائكة الموت تأتى المؤمن فى صورة حسنة جميلة، وتأتى الكافر والمنافق فى صورة مخيفة.

رحلة أرواح المؤمنين والكافرين

وها هو النبى ﷺ يحكى لنا رحلة أرواح المؤمنين والكافرين وماذا يحدث لهم فى تلك الرحلة العجيبة.

* ما هى البشرى التى يُبشَّر بها العبد المؤمن عند موته؟

تنزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مَدّ البصر ثم يجىء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان.

(١) صحيح: رواه النسائى وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٤٦).

* **كيف تخرج روح العبد المؤمن؟**

تخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض.

* * *

* **ماذا يحدث عندما تصعد روح العبد المؤمن إلى السماء؟**

يصعدون بها فلا يمرون بها على مـلإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يُسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيُشيعه من كل سماء مُقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة.

* * *

* **أين تذهب روح العبد المؤمن بعد صعودها إلى السماء؟**

إذا وصلت إلى السماء السابعة يقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في علّيين وأعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتُعاد روحه في جسده.

* * *

* **ما هي البشرى التي يُبشر بها العبد الكافر عند موته؟**

ينزل إليه من السماء ملائكة سود الوجود معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول:

أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب.

* * *

* كيف تخرج روح العبد الكافر من جسده؟

تفرق في جسده فينتزعها كما يُنتزع السُّفود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض.

* * *

* ماذا يحدث عندما تصعد روح العبد الكافر إلى السماء؟

يصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا فيُستفتح له فلا يُفتح له... قال تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾(١).

* * *

* أين تذهب روح العبد الكافر بعد غلق أبواب السماء دونها؟

يقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سِجِّين في الأرض السُّفلى فتُطرح روحه طرحًا... قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(٢) فتُعاد روحه في جسده.

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الحج: الآية: (٣١).

* ماذا يعنى الإيمان بعذاب القبر ونعيمه؟

الإيمان بكل ما أخبر به النبى ﷺ أن القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وهذا من عاجل الجزاء قبل حساب يوم القيامة.

* * *

* عمَّ يسأل منكر ونكير العبد فى قبره؟

يسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟

* * *

* بماذا يرد العبد المؤمن؟

العبد المؤمن يثبته الله فيرد: ربى الله، دينى الإسلام، ونبيى هو محمد رسول الله ﷺ.

* * *

* إذا ثبت العبد عند سؤال الملكين هل يضمه القبر؟

نعم يضمه، ولكن ضمة خفيفة حانية كضمة الأم لولدها.

* * *

* هل ينعم العبد المؤمن فى قبره؟

نعم... فينادى مناد من السماء: أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها ويُفسح له فى قبره مَدَّ بصره.

* * *

* **هل يكون معه أحد فى قبره؟**

يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجىء بالخير؟.. فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى.

* * *

* **بماذا يرد العبد الكافر على سؤال الملكين فى القبر؟**

يقول: هاه هاه لا أدرى.

* * *

* **إذا لم يرد الكافر على سؤال الملكين فى القبر هل يضمه القبر؟**

نعم، يضمه ضمة تنكسر فيها أضلاعه.

* * *

* **هل يُعذب العبد الكافر فى قبره؟**

نعم... فينادى مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسَمومها ويُضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه.

* * *

* **هل يكون معه أحد فى قبره؟**

يأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب مُنتن الريح فيقول: أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك

الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تُقم الساعة[١].

عذاب القبر ونعيمه

وبعد أن يستقر العبد فى قبره تبدأ رحلته مع نعيم القبر أو عذابه بحسب أحواله التى كان عليها فى الدنيا... فإن كان طائعًا بدأت رحلة النعيم وإن كان كافرًا أو عاصيًا ولم يَتُب من معصيته بدأت رحلة العذاب.

القبر أول منازل الآخرة

* عن هانيء مولى عثمان، قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى، وتبكى من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه**»[٢].

قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**»[٣].

---

(١) أجزاء من حديث رواه أحمد وأبو داود وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) حسن: رواه الترمذى، وابن ماجه، والحاكم عن عثمان وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٨٤).

(٣) حسن: رواه الترمذى، وابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٢٣).

لمثل هذا اليوم فأعدوا

* عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ، إذ بصر بجماعة، فقال: «علام اجتمع هؤلاء؟» قيل: على قبر يحفرونه. قال: ففزع رسول الله ﷺ فبدَر بين يدى أصحابه مُسرعًا، حتى انتهى إلى القبر فجثى عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بَلَّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا فقال: «أى إخوانى لمثل هذا اليوم فأعدوا»[(١)].

وقال ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»[(٢)].

وقال ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تُرق القلب وتُدمع العين وتذكر الآخرة....»[(٣)].

* قال سفيان الثورى: «من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عنه وجده حفرة من حفر النار».

* * *

(١) رواه أحمد، وابن ماجه عن البراء وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٥٩).
(٢) رواه ابن ماجه عن أبى هريرة وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٧٧).
(٣) رواه الحاكم عن أنس وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٨٤).

ضمة القبر

ضمة القبر لا ينجو منها أحد، صالحًا كان أو عاصيًا، صغيرًا كان أو كبيرًا.

* قال رسول الله ﷺ عن سعد بن معاذ رضي الله عنه: «هذا الذى تحرك له العرش، وفُتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضُمَّ ضمه ثم فُرج عنه»[(١)].

* وقال رسول الله ﷺ: «إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجيًا منها لنجا سعد بن معاذ»[(٢)].

بل إن الطفل الصغير لا ينجو من ضمة القبر.

* قال ﷺ: «لو أفلت أحدٌ من ضمة القبر لأفلت هذا الصبى»[(٣)].

وأخرج ابن أبى الدنيا عن محمد التيمى قال: «وكان يُقال: إن ضمة القبر، وإنما أصلها أنها أمهم، ومنها خُلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما ردَّ الله تعالى أولادها، ضمتهم ضم الوالدة التى غاب عنها ولدها، ثم قَدِم عليها، فمن كان لله مُطيعًا، ضمتهُ برفقٍ، ومن كان عاصيًا، ضمته بعنفٍ، سخطًا منها عليه».

* * *

---

(١) صحيح: رواه النسائى عن ابن عمر، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٦٩٨٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد عن عائشة وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٨٠).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أيوب وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٣٨).

نعيم المؤمن فى قبره

فالمؤمن ينتقل فى قبره من نعيم إلى نعيم.

فأول نعيم بلقاه فى قبره: أن الله (جل وعلا) يثبته عند سؤال الملكين... قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[(١)].

ويرى المؤمن فى قبره (النار) التى وقاه الله منها ويرى مقعده ومكانه فى الجنة... وينور الله له قبره ويفسح له فى قبره بل وينام المؤمن فى قبره أطيب نومة ويكون فى قمة شوقه لمن يبشر أهله بالنعيم الذى يجده فى قبره.

* قال ﷺ: «لما أُصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم فى جوف طير خُضر تَرِد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب، معلقة فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنّا أحياء نُرزق، لئلا يزهدوا فى الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم»[(٢)].

* بل إن أعماله الصالحة تُمثَّل له وتؤنسه فى قبره كما جاء فى حديث البراء أنه «يُمثَّل له رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرّك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذى كنت تُوعد، فيقول له: وأنت فبشَّرك الله بخير،

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٠٥).

من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح»(١).

* بل إن الله يملأ عليه قبره خضراً إلى يوم يُبعثون. كما جاء في الحديث: «...ويُفسح له في قبره ويُملأ عليه خضراً إلى يوم يُبعثون».

* ويُفرش له قبره من الجنة.. كما في حديث البراء: «فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة».

* ويُبشَّر بصلاح ولده في قبره.

قال مجاهد: «إن الرجل ليُبشَّر بصلاح ولده في قبره».

أما الصنف الآخر

أما الصنف الآخر فينادَى عليه من السماء: أن كذب عبدي. ويا له من خزي ويا له من عذاب... ثم يُضَيَّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويمتلىء عليه قبره ظُلمة... ويُفرش له قبره من النار ويُسلَّط عليه التنِّين الذي يلسعه وينهشه... بل ويُضرب بمطراق حتى يصير ترابًا ثم يُعيده الله كما كان... ويُمثَّل له عمله في قبره.

ففي حديث البراء: «ويأتيه رجل قبيح الوجه... فيقول أنا عملك الخبيث».

فنسأل الله العفو والعافية.

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٧٦).

الأسباب المنجية من عذاب القبر

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«فجوابها أيضًا من وجهين: مُجمل ومُفصَّل.

* أما المجمل: فهو تجنُّب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسرورًا بتأخير أجله، حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عقَّب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيرًا وفقه لذلك.

أما الجواب المُفصَّل: فنذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ فيما يُنجي من عذاب القبر.

(١) الإيمان والتقوى والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1].

ففي تلك الآيات وعد الله أهل التقوى بأن يجعل لهم مخرجًا

(١) سورة الطلاق: الآيتان: (٢، ٣).

من كل ضيق وليس هناك شدة ولا ضيق أعظم من شدة السكرات وخروج الروح ودخول القبر.

فمن كان في الدنيا تقيًا فإن الفرَج والمخرج يكون له ثوابًا في قبره...

(٢) الاستقامة على طاعة الله (جل وعلا):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢].

* فلقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه... فمن عاش على الطاعة مخلصًا لله ومتبعًا لهدى رسول الله ﷺ فإنه يموت على الطاعة وينور الله له قبره بتلك الطاعة بل ويصبح قبره روضة من رياض الجنة جزاءً لكل لحظة عاشها في طاعة الله (جل وعلا).

(٣) الشهادة في سبيل الله تعالى:

قال ﷺ: «للشَّهيد عندَ الله سبعُ خصال: يُغفرُ لهُ في أوَّل دَفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنَّة، ويُحلَّى حُلَّة الإيمان، ويُزوجُ اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع

(١) سورة فصلت: الآيات: (٣٠-٣٢).
(٢) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٣، ١٤).

الأكبر، ويوضعُ على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ويَشفعُ في سبعين إنسانًا من أهل بيته»(١).

بل قال رجلٌ للحبيب ﷺ: يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال ﷺ: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»(٢).

(٤) من مات شهيدًا في غير حرب:

لقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ بأن هناك شهداء غير الذين يُقتلون في سبيل الله... ولقد علمنا أن الشهيد يُجار من فتنة وعذاب القبر.

* قال ﷺ: «ما تعدُّون الشهيد فيكم؟» قالوا: يا رسول الله! مَن قُتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: «إن شهداء أمتي إذًا لقليل» قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «من قُتل في سبيل الله فهو شهيد. ومن مات في سبيل الله فهو شهيد. ومن مات في الطاعون فهو شهيد. ومن مات في البطن فهو شهيد»(٣).

* وقال ﷺ: «من فصل في سبيل الله فمات أو قُتل أو رفصته فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات في فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة»(٤).

وقال ﷺ: «من قتله بطنه لم يُعذَّب في قبره»(٥).

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٨٢).
(٢) صحيح: رواه النسائي والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٨٣).
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩١٥).
(٤) حسن: رواه أبو داود والحاكم عن أبي مالك الأشعري وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٣).
(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذي والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٦١).

* والموت بداء البطن: هو الاستسقاء وانتفاخ البطن. وقيل: هو الإسهال. وقيل الذى يشتكى بطنه.

وقال ﷺ: «الطاعون شهادة لكل مسلم»(١).

وقال ﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد ومن قُتل دون دمه فهو شهيد ومن قُتل دون دينه فهو شهيد ومن قُتل دون أهله فهو شهيد»(٢).

وقال ﷺ: «من قُتل دون ماله مظلومًا فله الجنة»(٣).

وقال ﷺ: «من قُتل دون مظلمته فهو شهيد»(٤).

وقال ﷺ: «الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله: المطعون شهيد والغرق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد والحرق شهيد والذى يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيدة»(٥).

تموت بجمع: أى تموت وفى بطنها ولد.

فكل هؤلاء الذين ذكرهم الحبيب ﷺ شهداء... والشهداء هم الذين أكرمهم الحق (جل وعلا) فى الدنيا بنعمة الشهادة وفى القبر بالنعيم والنجاة من الفتنة والعذاب... وفى الآخرة بالخلود فى الجنان مع الأحباب.

(٥) المرابطة فى سبيل الله تعالى:

قال ﷺ: «رباط يومٍ فى سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٣٠)، ومسلم (١٩١٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٥).

(٣) صحيح: رواه النسائى عن ابن عمرو وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٦).

(٤) صحيح: رواه النسائى والضياء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٧).

(٥) صحيح: رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٣٩).

ومن مات فيه وُقى فتنة القبر ونما له عمله إلى يوم القيامة»[١].

وقال ﷺ: «كل ميت يُختم على عمله إلا الذى مات مرابطًا فى سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويُؤمَّن من فتَّان القبر»[٢].

وفى رواية الطبرانى: «من مات مرابطًا فى سبيل الله أمَّنه الله من فتنة القبر».

(٦) قراءة سورة تبارك:

لا تغفلوا عن قراءة سورة المُلك (تبارك) كل ليلة فلقد أخبر الحبيب ﷺ أنها تمنع من عذاب القبر.

قال ﷺ: «سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر»[٣].

وقال ﷺ: «سورة من القرآن ما هى إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهى تبارك»[٤].

(٧) تجنب أسباب عذاب القبر:

ومن أسباب النجاة من عذاب القبر أن يتجنب العبد كل الأسباب التى تؤدى إلى عذاب القبر: مثل النميمة وعدم الاستتار والتنزه من البول... والكذب وهجر القرآن وعدم العمل به... وأكل الربا والوقوع فى الزنا.

(٨) التوبة الصادقة عند الموت:

* وما أجمل أن يختم العبد تلك الساعة بسيد الاستغفار.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى عن سلمان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٨١).
(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٤٥٦٢).
(٣) صحيح: رواه ابن مردويه عن ابن مسعود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٤٣).
(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط والضياء عن أنس وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٤٤).

فقد قال ﷺ: «سيّدُ الاستغفار أنْ تقولَ: اللهمَّ أنتَ ربّى، لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدُك، وأنا على عهدكَ ووعدك ما استطعتُ؛ أعوذ بك من شرِّ ما صنعت أبوءُ لك بنعمتك علىَّ، وأبوء بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفرُ الذنوب إلا أنت.

قال: مَن قالها من النَّهار موقنًا بها فمات من يومه قبلَ أن يُمسى فهو من أهل الجنة، ومَنْ قالها من الليلِ وهو مُوقنٌ بها فمَات قبلَ أن يُصبح فهو من أهل الجنة»[1].

(٩) الموت فى ليلة الجمعة أو فى يوم الجمعة:

قال ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر»[2].

وهذا السبب ليس من كسب العبد وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

(١٠) الدعاء:

ولا ينبغى أبدًا أن يغفل المسلم عن الدعاء.. فالدعاء من أعظم أسباب النجاة فى الدنيا والآخرة.

سمع النبى ﷺ رجلاً يقول فى التشهد: (اللهم إنى أسألك بأنَّ لك الحمدُ، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لكَ، المنَّانُ يا بديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، يا حى يا قيوم إنى أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار).

- فقال ﷺ لأصحابه: «تدرونَ بما دعا؟» قالوا: اللهُ ورسولهُ

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٦).

(٢) حسن: رواه أحمد والترمذى عن ابن عمرو وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٣).

أعلم. قال: «والذي نفسي بيده؛ لقد دعا الله باسمه العظيم (وفي رواية: الأعظم) الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى»[(١)].

فعلينا أن نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُليا وباسمه الأعظم أن ينجينا من عذاب القبر (ونحن مُوقنون بالإجابة).

(١١) شرب ماء زمزم بنية النجاة من عذاب القبر:

قال ﷺ: «ماء زمزم لما شُرِبَ له»[(٢)].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا شرب ماء زمزم قال: «اللهم إني أسألك علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا وشفاءً من كل داء».

* * *

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (١٣٤١).

(٢) صحيح: رواه أحمد ابن ماجة والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٢).

علامات الساعة الصغرى

علامات الصغرى كثيرة جداً... ولقد وقع أكثر تلك العلامات وما بقى منها إلا القليل:

وسأذكر لكم بعض عناوين تلك العلامات ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتابى (رحلة إلى الدار الآخرة).

* فمن بين تلك العلامات:

بعثة النبى ﷺ، وموت النبى ﷺ، وفتح بيت المقدس، وطاعون عمواس، وظهور الفتن، وضياع الأمانة، وانتشار المعازف، والغناء وظهور مُدَّعى النبوة، وكثرة الأموال، وكثرة القتل، وشرب الخمور، واستحلالها، وقبض العلم، وكثرة الجهل، ورفع القرآن من المصاحف والصدور، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وخروج نار من أرض الحجاز، وذهاب أهل الخير والدين، وظهور الفُحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة، وانتشار الربا وأكل الحرام وارتفاع الأراذل والسفهاء، وانتشار الشرك فى الأمة، ووقوع الخسف، والمسخ، والقذف، وتقارب الزمان حتى تصبح السنة كالشهر والشهر كالأسبوع والأسبوع كاليوم، وظهور الكاسيات العاريات، وكثرة النساء وقلة الرجال، وإشاعة الكذب وكثرته، وأن يتمنى الرجل الموت من شدة البلاء... وكثرة القول وترك العمل والقتال بين الروم والمسلمين وفتح القسطنطينية (اسطنبول)، وقتال اليهود ونطق الشجر والحجر، وهدم الكعبة، وظهور الريح الطيبة التى تقبض أرواح المؤمنين... وغير ذلك من العلامات.

ظهور المهدى (عليه السلام)

وما بين علامات الساعة الصغرى وعلامات الساعة الكبرى فهناك علامة يسميها بعض أهل العلم - مجازًا -: العلامة الوسطى.. وهى ظهور المهدى (عليه السلام).

والمهدى فى أهل بيت النبى ﷺ من ولد الحسن بن على رضي الله عنه يخرج فى آخر الزمان وقد امتلأت الأرض ظُلْمًا وجورًا فيملؤها قسطًا وعدلاً.

والعجيب أن اسمه كاسم النبى ﷺ .. اسمه محمد بن عبد الله.

وهو من ذرية فاطمة بنت النبى ﷺ من ولد الحسن بن على رضي الله عنه.

لكن لابد أن نعلم أن المهدى (عليه السلام) لن يظهر إلا إذا تهيأ العالم الإسلامى لذلك من خلال إتمام مرحلة التصفية والتربية وقيام خلافة إسلامية راشدة.. أو على الأقل فإنه لن يظهر إلا إذا قامت فى الأمة نهضة إسلامية شاملة بحيث تستقيم الأمة على شرع الله وسُنّة رسول الله ﷺ ولا يبقى إلا القائد الربانى الذى يقودها إلى التمكين فى الأرض - بإذن الله - ألا وهو المهدى.

وأكبر دليل على ذلك أن عيسى (عليه السلام) سيصلى خلف المهدى فى المسجد الأقصى، ولن يكون ذلك إلا بعودة المسجد الأقصى إلى المسلمين.. ولن يعود الأقصى إلا إذا رفعت الأمة راية الجهاد فى ظل الخلافة الراشدة التى تكون على منهاج النبوة.

إذن فالحاصل أننا يجب علينا جميعًا أن نجتهد فى طاعة الله وأن نبذل الغالى والنفيس لنُصرة دين الله، ولا نتكاسل بحُجة أننا ننتظر المهدى الذى سيقود المسلمين إلى النصر والتمكين.. بل لابد أن نُهيئ المناخ الإيمانى الذى سيظهر فيه المهدى.

* وأما عن خروجه فإنه سيخرج من مكان جهة المشرق... وسوف يبايعه المسلمون عند الكعبة ما بين الركن والمقام... وسيصلى خلفه عيسى ابن مريم (عليه السلام) الذى سينزل فى ذلك الوقت ليقتل المسيح الدجال.

* ومن أكبر العلامات التى نعرف من خلالها أن هذا الرجل هو المهدى.. أنه سيخرج له جيش ليحاربه فيُخسف بذلك الجيش ولا يبقى إلا رجل واحد.. فهو الذى سيخبر الناس بأن ذلك الجيش قد خُسف به.

كثرة الخيرات فى عهده

وفى عهد المهدى تكثر الخيرات وتعمُّ البركات وتنعم الأمة فى عهده نعمة لم تنعمها قط.. فتُخرج الأرض خيراتها وتُنزل السماء بركاتها، ويكثر المال ويفيض ويسعد الناس سعادة لا يعلم قدرها إلا الله (جل وعلا).

قال ابن كثير رحمه الله: «فى زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والتدين قائم، والعدو راغم، والخير فى أيامه دائم»[1].

(١) النهاية فى الفتن والملاحم (١/ ٣١).

علامات الساعة الكبرى

وأما عن علامات الساعة الكبرى فهي عشر علامات.

فعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون»؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات» فذكر الدُّخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»(١).

أشراط الساعة الكبرى تتتابع بسرعة شديدة

وإذا ظهرت علامة واحدة من علامات الساعة الكبرى فإن باقي العلامات تكون على إثرها في تتابع شديد.

قال ﷺ: «خروج الآيات بعضُها على إثر بعض يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام»(٢).

* وتعالوا بنا لنتعرف على علامات الساعة الكبرى.



(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).
(٢) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٢٢٧).

المسيح الدجال

وتعالوا بنا لنتعرف على أخطر وأعظم الفتن التى ستمر على البشرية كلها عبر تاريخها الطويل ـ ألا وهى فتنة المسيح الدجال.

السر فى تسميته بالمسيح الدجال

وسُمِّي الدجَّال مسيحًا؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة، أو لأنه يمسح الأرض في أربعين يومًا [١].

والقول الأول هو الراجح؛ لما جاء في الحديث: «إن الدَّجَّال ممسوح العين»[٢].

* أما المسيح عيسى (عليه السلام) فسُمِّي بذلك لأنه كان يمسح المريض فيبرأ بإذن الله (جل وعلا).

وسُمي الدجال دجالاً؛ لأنه يغطى الحق بالباطل، أو لأنه يغطى على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم.

❋ ❋ ❋

(١) النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٢٧).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٤).

صفات الدجال

الدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث؛ لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره، حتى إذا خرج؛ عرفه المؤمنون، فلا يُفتنون به، بل يكونون على علم بصفاته التي أخبر بها الصادق ﷺ.

* وهذه بعض الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها ذكر صفاته السابقة، وهي من الأدلة على ظهور الدجال.

* عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس، فقال: «**إن الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى؛ كأن عينه عنبة طافية**»[١].

* وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر**»[٢] - أي: كثير الشعر -.

* وفي حديث أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «**وإن بين عينيه مكتوب كافر**»[٣].

وفي رواية: «**ثم تهجاها (ك ف ر)؛ يقرؤه كل مسلم**»[٤].

وفي رواية عن حذيفة: «**يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**»[٥].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٢٣)، ومسلم (١٦٩).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٤).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٥٥)، ومسلم (١٦٦).
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٣).
(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٤).

أكبر فتنة إلى قيام الساعة

وإن فتنة المسيح الدجال هي أكبر فتنة منذ خلق الله آدم (عليه السلام) وإلى أن تقوم الساعة... وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول وتحير الألباب.

* قال ﷺ: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أكبر من الدجال» وفي رواية: «أمرٌ أكبر من الدجال»(١).

صور من فتنة المسيح الدجال

إن الدجال سيدَّعي أنه إله من دون الله (جل وعلا)... وسيعطيه الله (عز وجل) من القدرات والإمكانات ما يكون سببًا للفتنة ولذا فإنه لا يثبت أمام فتنة الدجال إلا من اعتصم بالله وتسلَّح بالإيمان والتوحيد.

* وأما عن القدرات والإمكانات التي ستكون مع الدجال... والتي ستكون سببًا في فتنة أصحاب القلوب المريضة فهي:

١- جنته وناره:

فقد ورد أن معه ما يشبه الجنة والنار أو أن معه ما يشبه نهرًا من ماء ونهرًا من نار... وليس الأمر كما يراه الناس فإن الذي يرونه نارًا فإنما هو ماءٌ بارد وإن الذي يرونه ماءً باردًا فإنه نارٌ.

* ولقد أخبرنا النبي ﷺ عن سبيل النجاة من هذه الفتنة فقال

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٦).

ﷺ: «... وإن من فتنته أن معه جنةً ونارًا، فناره جنة، وجنته نارٌ، فمن ابتُلى بناره فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف..»(١).

* وفى رواية أخرى فى صحيح مسلم عن حذيفة أن النبى ﷺ قال: «إن الدجال يخرج، وإن معه ماءً ونارًا، فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذى يراه الناس نارًا، فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارًا، فإنه ماءٌ عذبٌ طيب»(٢).

٢ـ سرعة انتقاله بين البلدان:

ومن فتنة الدجال أنه يتجول بين البلدان بسرعة تفوق الخيال فلقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ، كما عند مسلم ـ فقالوا: يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح**».

ولذلك فهو سيدخل كل بلد على وجه الأرض فيما عدا مكة والمدينة.

٣ـ استجابة السماء والأرض لأمره!!!

ومن فتنته أنه يأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت ويدعو الماشية فتتبعه ويأمر الخرائب أن تُخرج كنوزها المدفونة فتستجيب.

* قال ﷺ: «... فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له. فيأمر السماء فتمطر. والأرض فتنبت. فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذرًا وأسبغه ضروعًا، وأمدّه خواصر. ثم يأتى القوم. فيدعوهم فيردون عليه قوله. فينصرف عنهم. فيصبحون مُمحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم. ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجى

(١) صحيح: رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٧٥).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٥).

كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل...»(١)(٢).

٤ـ الدجال يستعين بالشياطين:

قال ﷺ: «... وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني اتبعه، فإنه ربك..»(٣).

٥ـ يقتل شابًا ثم يحييه (بإذن الله):

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلاً عن الدجال. فكان فيما حدثنا قال: «يأتي، وهو مُحرَّمٌ عليه أن يدخل نقاب المدينة. فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة. فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس. فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه: فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته، أتشكُّون في الأمر؟ فيقولون: لا. قال فيقتله ثم يحييه. فيقول حين يحييه. والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن. قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يُسلَّط عليه»(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) قال الإمام النووي: أما (تروح) فمعناه ترجع آخر النهار، و(السارحة) هي الماشية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلى المرعى، وأما (الذرى) وهي الأعالي، و(الأسنمة) جمع ذروة وقوله: (وأسبغه) أي أطوله لكثرة اللبن، وكذا (أمده خواصر) لكثرة امتلائها من الشبع.
قوله ﷺ: «فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل» هي ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون قال القاضي: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة لكنه كنّى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها، لأنه متى طار تبعته جماعته والله أعلم. [مسلم بشرح النووي (١٨/ ٨٩)].

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٧٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٨).

الأنبياء يُحذرون أقوامهم من فتنة الدجال

ولأن الأنبياء (صلوات ربى وسلامه عليهم) يعلمون يقينًا خطر فتنة الدجال فإنه ما من نبى إلا وقد أنذر قومه من فتنة الدجال.

* عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «ما بُعث نبى إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر»(١).

متى سيظهر الدجال؟

ويظهر الدجال بعدما يفتح المسلمون القسطنطينية..

ولذا قال ﷺ: «عُمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»(٢).

قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد

وقبل خروج الدجال بثلاث سنوات يحدث جدب وقحط شديد فتمنع السماء مطرها وتحبس الأرض نباتها كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ حيث قال: «... وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء السنة الأولى أن

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٩٦).

تحبس ثُلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله، قيل: فما يُعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل، والتكبير، والتحميد، ويجزئ ذلك عليهم مجزأة الطعام»[(١)].

من أين يخرج الدجال؟

يخرج الدجال من المشرق؛ من خُراسان، من يهودية أصبهان، ثم يسير في الأرض، فلا يترك بلدًا إلا دخله؛ إلا مكة والمدينة، فلا يستطيع دخولهما؛ لأن الملائكة تحرسهما.

أتباع الدجال

أكثر أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك، وأخلاط من الناس، غالبهم الأعراب والنساء.

كم يمكث الدجال في الأرض؟

ولقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن المدة التي يمكثها المسيح الدجال في الأرض فقالوا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟

(١) صحيح: رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٧٥).

قال: «أربعون يومًا. يوم كسنة ويوم كشهر. ويوم كجمعة. وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا... اقدروا له قدره»(١).

ملائكة الرحمن تحرس مكة والمدينة من الدجال

ولقد حرم الله (جل وعلا) على الدجال دخول مكة والمدينة.

فإن الله حمى مكة والمدينة من الدجال والطاعون.

* قال ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»(٢).

وروى البخارى أيضًا عن أنس أن النبى ﷺ قال: «لا يدخل المدينة رعب المسيح، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان»(٣).

وكيف يخرج المنافقون من المدينة

فإذا عجز الدجال عن دخول مكة والمدينة فلا بد أن يخرج إليه المنافقون حتى يتبعوه... ولذا أخبرنا النبى ﷺ عن كيفية خروج المنافقين من المدينة المنورة فقال ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة حافين، تحرسها، فينزل بالسبخة(٤) فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٨٠)، ومسلم (١٣٧٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).

(٤) السبخة: الأرض الرملية التى لا تنبت لملوحتها، وبعض أراضى المدينة كذلك.

يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»[١].

نزول عيسى (عليه السلام) فى آخر الزمان

بعد خروج الدَّجَّال، وإفساده فى الأرض، يبعث الله عيسى عليه السلام، فينزل إلى الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقى دمشق الشام، وعليه مهرودتان[٢]، واضعًا كفَّيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمانٌ كاللؤلؤ، ولا يَحِلُّ لكافرٍ يجدُ ريح نَفَسه إلا مات، ونَفَسُهُ ينتهى حيث ينتهى طرفه.

ويكون نزوله على الطائفة المنصورة، التى تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدَّجَّال، فينزل وقت إقامة الصلاة، يصلى خلف أمير تلك الطائفة - المهدى -.

أدلة نزوله (عليه السلام) من القرآن الكريم

نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان ثابتٌ فى الكتاب والسُّنَّة الصحيحة المتواترة، وذلك علامة من علامات الساعة الكبرى.

قال الله تعالى: ﴿ولمَّا ضُرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدُّون﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وإنَّه لعِلْمٌ للسَّاعة﴾[٣].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).

(٢) والمعنى: لابس مهرودتين؛ أى ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران. انظر: «شرح النووى لمسلم» (١٨/٦٧).

(٣) سورة الزخرف: الآيات: (٥٧ ـ ٦١).

أي: نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامةٌ على قرب الساعة.

أدلة نزوله من السنة المطهرة

إن الأدلة على نزوله فى آخر الزمان كثيرة ومتواترة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده؛ ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»(١).

ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتُم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾(٢).

الحكمة فى نزول عيسى (عليه السلام) دون غيره

تلمَّس بعض العلماء الحكمة فى نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان دون غيره من الأنبياء، ولهم فى ذلك عدة أقوال:

١ ـ الردُّ على اليهود فى زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام فبيَّن الله تعالى كذبهم، وأنه الذى يقتلهم ويقتل رئيسهم الدَّجَّال.

٢ ـ إن عيسى عليه السلام وجد فى الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ؛ كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٥٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

فاستغلظ فاستوى على سوقه﴾[(١)]، فدعا الله أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعاءه، وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام.

٣ - إن نزول عيسى عليه السلام من السماء؛ لدُنُوِّ أجله، ليُدفنَ في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها، فيوافق نزوله خروج الدجال، فيقتله عيسى عليه السلام.

٤ - إنه ينزل مكذبًا للنصارى، فيُظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل، ويُهلك الله المللَ كلها في زمنه إلا الإسلام؛ فإنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

٥ - إن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبي ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، ليس بيني وبينه نبيٌّ**»[(٢)].

فرسول الله ﷺ أخص الناس به، وأقربهم إليه؛ فإن عيسى بشَّر بأن رسول الله ﷺ يأتي من بعده، ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به[(٣)]؛ كما في قوله تعالى: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[(٤)].

وفي الحديث: «**قالوا: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم؛ أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى**»[(٥)].

❋ ❋ ❋

(١) سورة الفتح: الآية: (٢٩).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٤٣) - ومسلم (٢٣٦٥).
(٣) المنهاج في شُعب الإيمان (١/ ٤٢٤ - ٤٢٥) للحليمي - وفتح الباري (٦/ ٤٩٣).
(٤) سورة الصف: الآية: (٦).
(٥) قال ابن كثير في إسناده: «هذا إسناد جيد».

هلاك الدجال على يديه

يكون هلاك الدَّجَّال على يدى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؛ كما دلَّت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وذلك أنَّ الدجال يظهر على الأرض كلها إلا مكة والمدينة، ويكثر أتباعه، وتعم فتنته، ولا ينجو منها إلا قلة من المؤمنين، وعند ذلك ينزل عيسى بن مريم عليه السلام على المنارة الشرقية بدمشق، ويلتف حوله عباد الله المؤمنون، فيسير بهم قاصدًا المسيح الدجال، ويكون الدجال عند نزول عيسى متوجهًا نحو بيت المقدس، فيلحق به عيسى عند باب (لُد)[1]، فإذا رآه الدجال؛ ذاب كما يذوب الملح، فيقول له عيسى عليه السلام: «**إن لى فيك ضربة لن تفوتنى**»، فيتداركه عيسى، فيقتله بحربته، وينهزم أتباعه، فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودىٌ خلفى، تعالَ فاقتله؛ إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود[2].

بماذا يحكم عيسى (عليه السلام)؟

يحكم بالشريعة المحمدية، ويكون من أتباع محمد ﷺ، فإنه لا ينزل بشرع جديد؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان وباق إلى قيام الساعة، لا يُنسخ، فيكون عيسى عليه السلام حاكمًا من حكام هذه الأمة، ومجددًا لأمر الإسلام، إذ لا نبى بعد محمد ﷺ.

---

(١) (لُد): بلدة فى فلسطين قرب بيت المقدس. انظر: «معجم البلدان» (٥/ ١٥).

(٢) انظر: «النهاية فى الفتن والملاحم» (١/ ١٢٨ ـ ١٢٩)، تحقيق د. طه زينى.

انتشار الأمن وظهور البركات في عهده (عليه السلام)

ولأن الكون كله قد أسلم واستسلم لله ـ جل وعلا ـ فإن الإنسان كلما ازداد طاعة لله كلما سخّر الله له الكون كله.

ولذلك فعند نزول عيسى ـ عليه السلام ـ يعلم الناس أن نزوله علامة على قُرب القيامة فينشغل الناس جميعًا بالعبادات والطاعات فيأمر الله الأرض أن تُخرج بركتها ويأمر السماء أن تُنزل بركتها فيفيض المال ولا يجد من يأخذه وتذهب الشحناء والتباغض والتحاسد.

كم يمكث عيسى (عليه السلام) في الأرض

وأما مدة بقاء عيسى عليه السلام في الأرض بعد نزوله؛ فقد جاء في بعض الروايات أن يمكث سبع سنين، وفي بعضها أربعين سنة.

ولا تعارض بينهما.. فقد رُفع عيسى وعمره ثلاثٌ وثلاثون ثم ينزل فيمكث سبع سنين فيكون بذلك قد مكث أربعين سنة.

ففي رواية الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو ﷺ: «فيبعث الله عيسى ابن مريم... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردةً من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته»[(١)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٠).

كيف ننجو من فتنة الدجال

إنه ما من نبى إلا وأنذر أمته فتنة الدجال.

وها هو الحبيب ﷺ يحذر أمته من تلك الفتنة الشديدة، وذلك لأن الدجال خارج فى تلك الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأمم، ورسولنا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

وإليكم جميعًا الوسائل التى تجعلنا ننجو بإذن الله من فتنة الدجال:

* **أولاً: الاعتصام بالله - جل وعلا -** والتمسك بالإيمان والتعرف على أسماء الله وصفاته الحسنى، فنعلم أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[(١)] أما الدجال فهو أعور والله ليس بأعور، وأننا لن نرى ربنا حتى نموت، أما الدجال فيراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

* **ثانيًا: التعوذ من فتنة المسيح الدجال:**

وخاصة فى الصلاة بعد التشهد وقبل التسليم.

* قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهَّد أحدكم؛ فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[(٢)].

* **ثالثًا: حفظ آيات من سورة الكهف:**

فقد أمر النبى ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفى بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها.

---

(١) سورة الشورى: الآية: (١١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٨٨).

ومن الأحاديث الواردة فى ذلك ما رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل . . . (وفيه قوله ﷺ :) «من أدركه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»(١) .

وروى مسلم أيضًا عن أبى الدرداء رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف؛ عُصم من الدجال»؛ أى: من فتنته .

قال مسلم: «قال شعبة: من آخر الكهف، وقال همام: من أول الكهف»(٢) .

* **رابعًا: الفرار من الدجال، والابتعاد منه:**

والأفضل سكنى مكة والمدينة، فقد سبق أن الدجال لا يدخل الحرمين، فينبغى للمسلم إذا خرج الدجال أن يبتعد منه، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التى يجريها الله على يديه فتنة للناس؛ فإنه يأتيه الرجل وهو يظن فى نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدجال .

قال ﷺ : «من سمع بالدجال؛ فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يُبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات»(٣) .

* فأسأل الله (جل وعلا) أن يحفظنا جميعًا من فتنة الدجال وأن يثبت قلوبنا على الإيمان والتوحيد حتى نلقاه .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧) .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٠٩) .

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود عن عمران بن حصين وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٠١) .

يأجوج ومأجوج

ويأجوج ومأجوج من ذرية يافث أبي الترك، ويافث من ولد نوح عليه السلام[(١)].

الأدلة على خروج يأجوج ومأجوج

والأدلة على خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان ثابتة في القرآن والسُّنة المطهرة.

* أما عن أدلة القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[(٢)].

* أما عن أدلة السنة المطهرة:

سأكتفي بذكر حديث واحد.

فعن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلَّق بأصبعيه الإبهام والتي تليها)». قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم؛ إذا كثُر الخبث»[(٣)].

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٥٣).

(٢) سورة الأنبياء: الآيتان: (٩٦ - ٩٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

قصة بناء السد

كان فى سالف الزمان ملكٌ مؤمن عادل اسمه (ذو القرنين) وكان ذو القرنين يعيش فى زمن نبى الله إبراهيم (عليه السلام) وقد آمن ذو القرنين مع إبراهيم (عليه السلام) وطاف معه حول الكعبة حين بناها .. وقد تعلم الخير الكثير والعلم الوفير من إبراهيم (عليه السلام).

* وكان ذو القرنين يتمنى أن يصبح العالم كله على الإيمان والتوحيد ومن أجل ذلك جهَّز جيشًا كبيرًا ليخرج به ليدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده.. فأكرمه الله (عز وجل) وهيأ له كل الأسباب التى تعينه على تبليغ هذه الدعوة المباركة.

فطاف ذو القرنين مشارق الأرض ومغاربها وهزم كل الجيوش التى قابلته وحكم الناس بالعدل والرحمة ولم يظلم أحدًا أبدًا حتى ملك الأرض كلها بفضل الله (سبحانه وتعالى) الذى آتاه كل ما يحتاج إليه من التمكين والجنود والآلات الحربية وآلات الحصار وهيأ له كل أسباب النصر والتمكين.

* واستمر ذو القرنين فى رحلته المباركة لينشر العدل والرحمة بين الناس ويعلمهم الإيمان والتوحيد.

* وسار ذو القرنين بجيشه حتى وصل إلى مغرب الشمس... أى أنه وصل إلى أقصى مكان فى الأرض من ناحية المغرب.

ووجد فى هذا المكان قومًا كافرين فدخل عليهم ومكَّنه الله منهم

ثم خيَّره بين تعذيب أهل هذه الأرض أو العفو عنهم ونشر العدل بينهم.

فكان ذو القرنين فى قمة الرحمة والعدل فقال: أما من ظلم واستمر على شركه وكفره بالله (جل وعلا) فسوف نعذبه ثم إذا مات على كفره فإن الله سيعذبه عذابًا شديدًا .. وأما من آمن واتبعنا على الإيمان والتوحيد فهذا سيكافئه الله أعظم الجزاء فى الجنة .. وفوق ذلك سنقول له من أمرنا يُسرًا ونُكرمه غاية الإكرام.

* وبعدما وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس بدأ رحلته الثانية الطويلة إلى مشرق الشمس فرأى أمة عجيبة .. ما رأى فى حياته كلها أمة أعجب منهم.

لقد رأى قومًا حفاة عراة ليس لهم بناء ولا بيوت يستظلون فيها من حر الشمس وبرد الريح .. وليس عندهم أشجار ولا جدران وكانوا قد حفروا لأنفسهم سراديب تحت الأرض ليدخلوا فيها حتى تحميهم من حر الشمس .. وأحيانًا يغوصون فى الماء ولا يعملون أى شيء ولا يشتغلون بتحصيل أرزاقهم حتى تغرب الشمس فيخرجون ويبدأون فى العمل.

* فلما جاءهم ذو القرنين أخذ يعلمهم كيف يبنون بيوتًا تحميهم من حر الشمس وتقيهم من برد الريح .. ودعاهم إلى الله (جل وعلا) فآمنوا وامتلأت قلوبهم بلذة الإيمان ونور التوحيد.

* ثم ودَّعهم ذو القرنين وانطلق فى رحلته الثالثة.. فسلك طريقًا ثالثًا بين المشرق والمغرب يوصله إلى جهة الشمال حيث الجبال

الشاهقة المرتفعة.

ووصل ذو القرنين إلى منطقة بين جبلين كبيرين عند بلاد الترك فوجد هناك قومًا متخلفين لا يكادون يعرفون لغةً غير لغتهم... وكانت لغتهم غريبة وصعبة حتى أن ذا القرنين لم يستطع أن يفهمهم إلا بواسطة تُرجمان.

وبعدما تكلم معهم ذو القرنين علم أنهم يعيشون مأساة حقيقية وذلك لأنهم يعيشون بالقرب من جبلين متجاورين.. ومن وراء الجبلين تعيش أمة متوحشة وهم قوم يأجوج ومأجوج.. وهم من ذرية يافث بن نوح (عليه السلام).. وكان لهم أشكال وأحجام عجيبة.. وكانوا كفارًا لا يؤمنون بالله (جل وعلا).. بل كانوا لصوصًا يعيشون على السلب والنهب والسرقة.

وكان هؤلاء القوم المساكين الذين لقيهم ذو القرنين يعيشون مأساة حقيقية وذلك لأن قوم يأجوج ومأجوج كانوا إذا دخل الليل خرجوا من وراء الجبلين إلى هؤلاء القوم فأكلوا زروعهم وثمارهم وسرقوا مواشيهم وأغنامهم حتى أصبح هؤلاء الناس جوعى لا يجدون طعامًا ولا شرابًا بسبب ما يفعله يأجوج ومأجوج.

* فلما علم ذو القرنين من الترجمان قصة هؤلاء القوم قرر أن يقف بجانبهم وأن يساعدهم بشرط أن يؤمنوا بالله (جل وعلا).

فآمنوا بالله ووحدوه وبدأوا يعرضون على ذى القرنين عرضًا مُغريًا.

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ

خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (١).

إنهم عندما وجدوه فاتحًا قويًا، وتوسموا فيه القدرة والصلاح.. عرضوا عليه أن يقيم لهم سدًا في وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاجزين، ويغيرون عليهم من ذلك الممر، فيعيثون في أرضهم فسادًا؛ ولا يقدرون هم على دفعهم وصدِّهم.. وذلك في مقابل قدر من المال يجمعونه له من بينهم.

* زهد ذي القرنين في المال:

ردَّ ذو القرنين على عرضهم المادي بعفة وزهد في الأجرة والمال، وقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ لا حاجة لي في مالكم، فقد آتاني الله خيرًا مما عندكم.

* فأعينوني بقوة:

لما عفَّ ذو القرنين عن أموالهم وزهد فيها، أراد أن يتركوا العجز والكسل والإتكالية، وأن يُعلمهم النشاط والعمل والكسب والسعي، فقال لهم: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾.

* وهنا بدأ ذو القرنين يفكر في أفضل طريقة يستطيع من خلالها أن يسد الطريق على يأجوج ومأجوج فلا يستطيعون بعد ذلك أن يخرجوا على هؤلاء القوم المساكين.

وبعد تفكير عميق رأى ذو القرنين أن أفضل وسيلة هي أن يردم الحاجز الذي بين الجبلين.

---

(١) سورة الكهف: الآيتان: (٩٤-٩٥).

وبالفعل أصدر ذو القرنين أمره لهؤلاء القوم بأن يحفروا الأرض التى بين الجبلين حتى يُلقى فيها أساسًا متينًا ليبنى عليه ذلك السد، فحفروا معه حتى وصلوا إلى مكان عميق ثم بدأ ذو القرنين فى وضع الأساس فى تلك الحفرة فوضع فيها صخورًا ورمالاً ثم طلب من القوم أن يأتوا إليه بقطع النحاس الكبيرة.. وكانت هذه المنطقة غنية بالحديد والنحاس كما أنها غنية بأشجارها وغاباتها ودوابها المختلفة التى تنقل كل هذا من الأماكن البعيدة.

ثم أمرهم بأن يوقدوا نارًا تحت النحاس فلما ذاب النحاس صبَّه فوق الصخور التى فى هذه الحفرة وبذلك أصبح الأساس قويًا متينًا.

* ثم طلب منهم بعد ذلك أن يأتوا إليه بقطع الحديد الكبيرة فلما جاءوا بها أخذها ذو القرنين وبدأ يضعها فوق بعضها البعض .. وما زال يضعها فوق بعضها البعض حتى وصل إلى حافة الجبلين ثم أمرهم بإيقاد النار تحت ذلك الحديد ثم أمر مجموعة أخرى بأن يأتوا إليه بالنحاس .. فجاءوا بالنحاس فأمرهم بأن يُشعلوا تحته نارًا.

فلما تمَّ صهر الحديد فى الممر، وتم صهر النحاس فى القدور، جاءت المرحلة الأخيرة، من مراحل بناء السد.

فأمرهم بصب النحاس المصهور المُذاب على الحديد المصهور المذاب، فتخلل النحاس وسط الحديد، واختلطا. وصارا معدنًا واحدًا قويًا متينًا. فالحديد أساسًا قوى متين، والنحاس كذلك قوى متين، فكيف إذا صُهرا وجُمع بينهما، وخُلطا معًا؟ إنها تجمع قوة ومتانة كل واحد مع الآخر، فتكون القمة فى المتانة والقوة والجودة.

وترك الحديد مع النحاس حتى جمدا، فصارا سدًا منيعًا عجيبًا مدهشًا.

حقًا إن ذا القرنين يملك قوة وفطنة وإدراكًا وتمكينًا، وهذا من تمكين الله له، وتعليمه إياه.

لقد هداه الله إلى طريقة فذة عجيبة في تمتين البناء وتقويته، وبذلك جمع بين الحديد والنحاس.

* عجز يأجوج ومأجوج أمام السد:

لما أتمَّ ذو القرنين بناء السد، جاء يأجوج ومأجوج على عادتهم ليعبروا المضيق ويمارسوا الإفساد، ولكنهم فوجئوا بالسد المنيع المرتفع أمامهم. حاولوا أن يظهروا ويتسلقوا عليه، فلم يستطيعوا، لأنه مبنى من الحديد، والحديد أملس، وإذا لم يكن به مقابض ليمسك بها الشخص، فلا يستطيع أحد أن يتسلقه، وحاولوا أن يهدموه وينقضوه فلم يستطيعوا، لأنه مبنيّ من مادة قوية منيعة، الحديد والنحاس.

* * *

كيف كانت نهاية يأجوج ومأجوج

* إن الله (جل وعلا) جعل قبل يوم القيامة علامات تدل على قُرب يوم القيامة .. فكان من بين تلك العلامات: خروج يأجوج ومأجوج .. فهم سيخرجون في آخر الزمان ولكن متى ذلك؟

لا يعلم هذا إلا الله (جل وعلا).

* ولقد أخبرنا النبي ﷺ عن كيفية خروجهم.

وذلك أنهم يحاولون في كل يوم أن يهدموا هذا السد .. فيحفرون في السد كل يوم حتى إذا رأوا شعاع الشمس قال زعيمهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا.

فيعودون في اليوم التالي فيجدوه قد عاد كما كان قبل أن يحفروه ولا يزالون على تلك الحالة حتى يأتي الموعد الذي حدده الله لخروجهم فيذهبون إلى السد ويحفرونه حتى إذا رأوا شعاع الشمس قال زعيمهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله.

وكأن كلمة «إن شاء الله» هي كلمة السر .. فإذا بهم يعودون في اليوم التالي فيجدون السد على هيئته كما تركوه بالأمس فيحفرونه ويخرجون على الناس ويعيثون في الأرض فسادًا.

فلا يتركوا شيئًا من الزروع والحبوب والثمار والماشية والأغنام إلا أكلوه .. بل ويشربون الماء كله فلا يتركون للناس نقطة ماء واحدة.

ويصبح الناس في همٍّ وغمٍّ لا يعلمه إلا الله.

ويكون في هذا الوقت قد نزل نبي الله عيسى عليه السلام وقتل

المسيح الدجال وأصبح كل الناس مؤمنين.

وهنا يأمر الله عيسى عليه السلام بأن يأخذ مَن معه من المؤمنين ويتحصنوا فى جبل الطور حتى لا يصل إليهم يأجوج ومأجوج.

ويدخل عيسى عليه السلام ومَن معه من المؤمنين جبل الطور ويُخلصون فى الدعاء واللجوء إلى الله من أجل أن يُخلِّص الأرض من يأجوج ومأجوج.

* وفى تلك اللحظة كانت قبائل يأجوج ومأجوج تدمر كل خيرات الأرض من طعام وشراب وزروع وثمار.

فإذا نظروا حولهم فلم يجدوا أحداً قالوا: لقد قهرنا أهل الأرض وبقى أهل السماء... فيأخذ كل واحدٍ منهم حربته فيرميها إلى السماء فترجع إليه وفيها آثار الدماء - وهم لم يقتلوا أحدًا من أهل السماء ولكنه فتنة لهم - فيقولون: لقد قهرنا أهل السماء.

وبينما هم على تلك الحالة من الفساد والإفساد والغرور إذ بعث الله عليهم حشرات أو ديدان اسمها (النغف) فتقتلهم جميعًا ولا تترك منهم أحدًا.

وكان من الممكن أن يخسف الله بهم الأرض أو يُسقط عليهم السماء أو يرسل لهم جبريل عليه السلام فيدمرهم... لكنه أرسل عليهم حشرة حقيرة مثلهم لتقضى عليهم.

* وفى هذه الأثناء يقول عيسى عليه السلام أريد رجلاً يحتسب نفسه فى سبيل الله فيخرج ليعرف لنا ماذا حدث ليأجوج ومأجوج.

فيخرج رجل مؤمن وينظر فيجدهم جميعًا موتى وقد أنتنت

الأرض من ريحهم فيرجع الرجل ويبشر عيسى عليه السلام وإخوانه المؤمنين فيسجدون شكراً لله جل وعلا.

ثم يدعو عيسى عليه السلام أن يخلص الله الأرض من جثث هؤلاء المفسدين فيرسل الله طيراً من السماء فتأخذ جثثهم ثم يرسل الله المطر من السماء فيغسل الأرض ويجعلها في غاية الحسن والجمال.

* ثم يعيش المسلمون مع عيسى عليه السلام أجمل حياة فيأمر الله الأرض أن تُخرج بركتها ويأمر السماء أن تُنزل بركتها.

فتجتمع الجماعة من الرجال على الرمانة الواحدة فلا يكملوها وتجتمع الجماعة من الرجال على حليب بقرة واحدة فلا يكملوه... ويكون الأمان قد انتشر في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم.. وحتى يلعب الصبيان بالحيات والثعابين فلا تضرهم.

* * *

الخسوفات الثلاثة

وتلك الخسوفات الثلاثة من علامات الساعة الكبرى الثابتة.

ومعنى الخسف: يُقال: خسف المكان يخسف خسوفًا إذا ذهب فى الأرض وغاب فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾[(١)].

* أدلة السنة على ظهور الخسوفات:

وسأكتفى بذكر حديث واحد للاستدلال على ذلك، فعن حذيفة ابن أسيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات... (فذكر منها:) وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب»[(٢)].

الدخان

وظهور الدخان فى آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى الثابتة فى الكتاب والسُّنة المطهرة.

* الأدلة من القرآن الكريم على ظهور الدخان:

قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٣)].

والمعنى: انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتى السماء بدخان مبين واضح يغشى الناس ويعمهم، وعند ذلك يُقال لهم: هذا عذاب

(١) سورة القصص: الآية: (٨١).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).
(٣) سورة الدخان: الآيتان: (١٠ - ١١).

أليم؛ تقريعًا لهم وتوبيخًا، أو يقول بعضهم لبعض ذلك[١].

*** الأدلة من السنة المطهرة:**

وسأكتفى بذكر حديثين للاستدلال على ذلك.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستًا: الدجال، والدخان»[٢].

وجاء فى حديث حذيفة فى ذكر أشراط الساعة الكبرى: «الدخان»[٣].

طلوع الشمس من مغربها

وطلوع الشمس من مغربها علامة من علامات الساعة الكبرى الثابتة فى الكتاب والسُّنَّة المطهرة.

*** الأدلة من القرآن الكريم:**

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[٤].

أى يوم يأتى بعض أشراط الساعة حينئذ لا ينفع الإيمان نفسًا كافرة آمنت فى ذلك الحين ولا نفسًا عاصية لم تعمل خيرًا.

قال الطبرى: أى لا ينفع من كان قبل ذلك مشركًا بالله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية العظيمة الهول الوارد عليهم من أمر الله فحكم

---

(١) تفسير القرطبى (١٦/ ١٣٠) وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٥٨).

إيمانهم كحُكم إيمانهم عند قيام الساعة[١].

ولقد دلت الأحاديث الصحيحة أن المراد ببعض الآيات المذكورة فى الآية هو طلوع الشمس من مغربها، وهو قول أكثر المفسرين[٢].

* الأدلة من السنة المطهرة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، فرآها الناس؛ آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً»[٣].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها»[٤].



(١) الطبرى (١٢/ ٢٦٦).

(٢) تفسير القرطبى (٧/ ١٤٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٣٦) ومسلم (١٥٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٧).

الدابة

وخروج الدابة فى آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى الثابتة فى الكتاب والسنة.

* الأدلة من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾(١). أى أخرجنا للكفار هذه الآية الكبيرة «دابة الأرض» تكلم الناس وتناظرهم وتقول من جملة كلامها: ألا لعنة الله على الظالمين الذين لا يصدقون ولا يؤمنون بآيات الله(٢).

قال ابن كثير: هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق فتكلم الناس وتخاطبهم مخاطبة... قال ابن عباس وعطاء: تكلمهم كلامًا فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون(٣).

* الأدلة من السنة المطهرة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»(٤).

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجًا

(١) سورة النمل: الآية: (٨٢).
(٢) صفوة التفاسير (٢/ ٤١٩).
(٣) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٦٨٢).
(٤) صحيح: رواه مسلم (١٥٨).

طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على أثرها قريبًا»[١].

من أين تخرج الدابة

اختلف العلماء في ذلك اختلافًا واضحًا فمنهم من قال: إنها تخرج من مكة المكرمة من أعظم المساجد، ومنهم من قال أنها تخرج ثلاث خرجات.. فالله تعالى أعلم.

ماذا تفعل الدابة إذا خرجت؟

قال ﷺ: «تخرج الدابة فتَسِم الناس على خراطيمهم ثم يُعمِّرن فيكم حتى يشترى الرجل الدابة فيقال: ممن اشتريت؟ فيقول: من الرجل المخطَّم»[٢].

فالدابة إذا خرجت فإنها تسم المؤمن والكافر؛ فأما المؤمن؛ فإنها تجلو وجهه حتى يشرق، ويكون ذلك علامة على إيمانه.

وأما الكافر؛ فإنها تخطمه على أنفه، علامة على كفره والعياذ بالله.

وجاء في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[٣].. وفي قراءة (تكْلَمهم) أي تجرحهم.. ولا تعارض بينهما فهي تُكلمهم وتسمهم (أي: تجرحهم).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤١).
(٢) صحيح: رواه أحمد عن أبي أمامة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٢٧).
(٣) سورة النمل: الآية: (٨٢).

النار التى تحشر الناس

وهى آخر علامة من علامات الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة.

من أين تخرج تلك النار؟

جاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن، من قعرة عدن، وتخرج من بحر حضرموت؛ كما جاء فى روايات أخرى.

وإليك طائفة من الأحاديث التى تبيِّن مكان خروج هذه النار، وهى من الأدلَّة على ظهورها.

عن أنس ﷺ أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبى ﷺ عن مسائل، ومنها: ما أول أشراط الساعة؟ فقال النبى ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة؛ فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**»(١).

وجاء فى حديث حذيفة بن أسيد فى ذكر أشراط الساعة الكبرى قوله ﷺ: «**وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»(٢).

* وقال رسول الله ﷺ: «**ستخرج نارٌ من حضرموت أو من بحر حضرموت، قبل يوم القيامة، تحشر الناس**»(٣).

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٣٢٩).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).
(٣) صحيح: رواه الترمذى وأحمد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٠٩).

اقتربت الساعة

قال ﷺ: «اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصًا ولا يزدادون من الله إلا بُعدًا»[(١)].

تدلُّ الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الصحيحة على قرب الساعة ودُنُوِّها؛ فإن ظهور أكثر أشراط الساعة دليلٌ على قُربها وعلى أننا في آخر أيام الدُّنيا:

قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾[(٤)].

قل إنما علمها عند ربي

علم الساعة غيبٌ لا يعلمهُ إلا الله تعالى؛ كما دلَّت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبويَّة؛ فإنَّ علم الساعة مما استأثر الله به، فلم يُطلع عليه ملكًا مُقرَّبًا ولا نبيًا مرسلاً، فلا يعلم أحدٌ متى تقوم الساعة؛ إلا الله تعالى.

وكان النبي ﷺ يُكثِر من ذكر الساعة وأهوالها، فكان الناس يسألونه عن وقت قيام الساعة، فكان يخبرهم أن ذلك غيبٌ لا يعمله

(١) حسن: رواه الحاكم عن ابن مسعود وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٤٦).
(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١).
(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٦٣).
(٤) سورة المعارج: الآيتان: (٦، ٧).

إلا الله، وكانت الآيات القرآنية تتنزَّل مُبيِّنةً أن علم الساعة مما اختصَّ الله تعالى به نفسه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١].

ولهذا لما سأل جبريل (عليه السلام) رسول الله ﷺ عن وقت الساعة - كما في حديث جبريل الطويل - قال النبي ﷺ: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[٢].

لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»[٣].

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض: الله الله»[٤].

* * *

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٨٧).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٩).
(٤) صحيح: رواه مسلم (١٤٨).

نهاية العالم

وبعد ظهور كل علامات الساعة الصغرى والكبرى فإنه نهاية العالم تكون قد اقتربت.

فيأمر الله الملك المُوكَّل بالنفخ فى الصور (واسمه إسرافيل) فينفخ نفخة الفزع.

قال تعالى: ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين﴾ (١).

وتمتلئ القلوب رعبًا وفزعًا من هول تلك النفخة وشدتها.. ثم يأمر الحق (جل جلاله) إسرافيل (عليه السلام) بنفخة الصعق ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾(٢).

وهي نفخة هائلة مدمرة يسمعها الإنسان فلا يستطيع أن يوصى بشيء ولا يقدر على العودة إلى أهله وأحبابه ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿٤٨﴾ ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ﴿٤٩﴾ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون﴾(٣).

وبعد نفخة الصعق تموت الخلائق كلها.. يموت كل حى ويبقى الحى الذى لا يموت (جل وعلا) فيصبح الكون كله فى سكون رهيب مُوحش... فيطوى الله السماوات بيمينه ويطوى الأرض

(١) سورة النمل الآية: (٨٧).
(٢) سورة الزمر: الآية: (٦٨).
(٣) سورة يس: الآيات: (٤٨-٥٠).

بشماله ويقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

قال ﷺ: «يطوى الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرضين، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟» (١).

وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٢).

فلا أحد يسأل ولا أحد يجيب إلا الله (عز وجل).

* ثم يحيي الله إسرافيل مرة أخرى ويأمره بأن ينفخ فى الصور نفخة البعث لتقوم الخلائق كلها من القبور إلى أرض المحشر للفصل والحساب بين يدى الكريم التواب (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٨٨).
(٢) سورة غافر: الآيتان: (١٥-١٦).
(٣) سورة غافر: الآية: (١٧).

نفخة البعث وصفة حشر الخلائق

وبعد مضى أربعين لا تدرى هل أيامها وشهورها بأيام حياتنا هذه أو بأيام وشهور أخرى لا تخضع للنظام الشمسى الذى كانت به أيامنا وأعوامنا هذه؟ بعد مضى هذا الزمن ينزل من السماء ماء، فتنبت الأجسام تحت الأرض كما ينبت البقل، وذلك بواسطة تفاعل الماء مع بذرة الحياة التى هى عبارة عن عُظيم صغير يوجد فى آخر فقرات الظهر من كل إنسان وجد فى هذه الحياة الدنيا، يسمى عجب الذَّنَب. فإذا تم الخلق، واكتمل النمو، وأصبحت الأجسام هياكل تامة التكوين تحت الأرض لا ينقصها إلا أن تحلها الأرواح فتدب فيها الحياة وتتحرك وتقوم... أرسل الله الخالق سبحانه وتعالى الأرواح التى قبضها ملك الموت يوم وفاة كل إنسان فى هذه الحياة، وأُودعت فى مستودعات بعضها فى العالم العلوى وهى الأرواح الطاهرة الطيبة نتيجة إيمان صاحبها، وعمله الصالح، وتركه الشرك والمعاصى. وبعضها فى العالم السفلى وهى الأرواح الخبيثة نتيجة كفر صاحبها، وارتكاب الجرائم والآثام... ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ فى الصور.. فتتطاير تلك الأرواح فتملأ ما بين السماء والأرض ويُقسم الله (عز وجل): وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده.. فتعود كل روح إلى الجسد الذى كانت فيه فتحيا تلك الأجساد. ثم ينادى منادٍ الله تبارك وتعالى: أن قوموا لربكم، فتسمع وتجيب، وتنشق الأرض عنهم بسرعة ويقومون من قبورهم أحياء للحشر بعد أن تم النشر[1].

(١) عقيدة المؤمن (ص٣٤٩ - ٣٥٠) بتصرف.

تخيل معى هذا المشهد المهيب

* تخيل معى هذا المشهد المهيب... ها هى القبور تتشقق فى كل أنحاء الأرض والناس يخرجون بعد رُقاد طويل فى تلك القبور الموحشة على العصاة والكافرين المنيرة للطائعين والموحدين.

الكل يخرج من القبر ينفض التراب من على جسده وهو يشخص ببصره فى اتجاه واحد إلى هذا الداعى (الملك الكريم) الذى يقود الناس إلى أرض المحشر للحساب والوقوف بين يدى الله (عز وجل).

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[1].

* أيتها العظام البالية... أيتها الأجساد العارية... أيها الناس لقد حان وقت القيام للوقوف بين يدى الله (عز وجل).

* فها هو الكون كله يتجه إلى أرض المحشر للوقوف فى تلك الأرض لانتظار بدء الحساب.

* * *

(١) سورة طه: الآيات: (١٠٨: ١١٢).

صفة حشر العباد

يُحشر العباد حُفاة عُراة غُرلاً: أى غير مختونين.

عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «إنكم محشورون حُفاة عُراة غُرلاً» ثم قرأ ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين﴾[(١)][(٢)].

أرض المحشر

وها هى أرض المحشر التى يُحشر عليها الناس جميعًا يوم القيامة ليس فيها شجر ولا حجر ولا بنيان فليس فيها مكان يختبئ وراءه الخلائق بل هى أرض مستوية كما أخبر النبى ﷺ بذلك فقال: «يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كقرصة النَّقى ليس فيها مَعلمٌ لأحد»[(٣)].

أول من ينشق عنه القبر

فإذا نفخ إسرافيل (عليه السلام) نفخة البعث يكون حبيبنا ﷺ أول من ينشق عنه القبر - أى أول من تنشق عنه الأرض -.

قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشقُّ عنه القبر وأول شافع وأول مُشفع»[(٤)].

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨).

* لماذا يبعث الله الناس يوم القيامة؟

لكى يحاسبهم على أعمالهم التى أمرهم بها فى الدنيا ونواهيه، ويجازيهم عنها، فيُدخل المطيعين جنته ويُدخل العاصين ناره. . . . ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعًا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد﴾ [(١)].

صفة حشر العباد

يُحشر العباد حُفاة عُراة غُرلاً، أى: غير مختونين.

عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «إنكم محشورون حُفاة عُراة غُرلاً» ثم قرأ ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين﴾ [(٢)].

وعندما سمعت عائشة الرسول ﷺ يقول: «يُحشر الناس يوم القيامة حُفاة عُراة غُرلاً» قالت: يا رسول الله، الرجال والنساء جميعًا، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض» [(٣)].

قال رسول الله ﷺ: «تُدنَى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يُلجمه العرق إلجامًا» قال: وأشار رسول

---

(١) سورة المجادلة: الآية: (٦).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٤) - والحديث رواه البخارى ومسلم.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

الله ﷺ بيده إلى فيه(١) - أي: إلى فمه -.

وقال ﷺ: «يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(٢). فياله من مشهد مهيب تتفطر منه القلوب... فإذا جيء بجهنم لا يبقى مَلَكٌ مُقرب ولا نبي مُرسَل إلا جثى على ركبتيه وقال: يا رب سلم سلم.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾(٣).

تأمل معي هذه الحسرة الشديدة لكل من فرط في حق الله جل وعلا.. فإنه إذا رأى جهنم فإنه يصرخ ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ كلمة يقولها كل من فرط في الصلاة وكل من عق والديه وكل من ظلم العباد وكل من حارب الله جل وعلا وتقولها كل من تركت حجابها وخرجت سافرة متبرجة ناسية قول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٤).



(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٤).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٢).
(٣) سورة الفجر: الآيات: (٢١-٢٤).
(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٥٩).

كم يبلغ طول هذا اليوم؟

وأما عن طول يوم القيامة فلقد أخبر عنه الحق (جل وعلا) بقوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1].

وكل ذلك في انتظار بدء الحساب... ومع ذلك فهناك صنف كريم أخلص العبادة لله (جل وعلا) فيمر عليه يوم القيامة كما بين صلاتي الظهر إلى العصر.

قال ﷺ: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر»[2] ومع ذلك فإنهم لا يقفون في أرض المحشر في تلك الشمس الحارقة بل يجلسون في ظل عرش الرحمن (جل وعلا) يأكلون من تلك الوجبة التي أعدَّها لهم الملك (جل جلاله) وهي زيادة كبد الحوت ثم يذهبون لحوض النبي ﷺ فيشربون من يديه شربة هنيئة مريئة لا يظمأون بعدها أبدًا.

❊ ❊ ❊

(١) سورة المعارج: الآيات: (١-٤).
(٢) صحيح: رواه الحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٩٣).

فى ظل عرش الرحمن (جل وعلا)

* ومع كل هذه الأهوال والكُربات فهناك صنفٌ كريم يكون فى ظل عرش الرحمن (جل وعلا).

قال ﷺ: «سبعةٌ يظلهمُ الله فى ظله يومَ لا ظلَّ إلا ظله: إمامٌ عادلٌ، وشابٌ نشأ فى عبادة الله، ورجُلٌ قلبُه معلقٌ بالمسجد إذا خرجَ منه حتى يعودَ إليه، ورجُلان تحابَّا فى الله فاجتمعا على ذلكَ وافترقا عليه، ورجُلٌ ذكرَ الله خاليًا ففاضت عيناهُ، ورجُلٌ دعتْه امرأة ذاتُ منصب وجَمال فقالَ: إنى أخافُ الله ربَّ العالمينَ، ورجُلٌ تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالهُ ما تنفقُ يمينُه»[1].

والإظلال فى ظل عرش الرحمن ليس مقصورًا على السبعة المذكورين فى الحديث بل لقد أخبر النبى ﷺ عن غيرهم أنهم يكونون فى ظل عرش الرحمن (جل وعلا).

قال ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون لجلالى اليوم أُظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»[2].

وقال ﷺ: «من أنظَرَ مُعسرًا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»[3].

وقال ﷺ: «من نفَّس عن غريمه أو محا عنه كان فى ظل العرش يوم القيامة»[4].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦).
(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذى عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٠٧).
(٤) صحيح: رواه مسلم (١٥٦٣).

الشفاعة العُظمى

عندما يشتد البلاء بالناس في الموقف العظيم ويطول بحث العباد عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند ربهم، كي يأتى لفصل الحساب وتخليص الناس من كربات الموقف وأهواله، فيطلبون من أبيهم آدم أن يقوم بهذه المهمة الكبيرة، ويُذكرونه بفضله وإكرام الله له، فيأبى ويعتذر، ويذكر عصيانه ربه بأكله من الشجرة التى حرّم الله عليه الأكل منها، ويُحيلهم إلى نوح أول رسول أرسله الله إلى البشر، الذى سمّاه الله عبدًا شكورًا، فيأبى ويذكر ما كان منه من تقصير فى بعض الأمور تجاه ربه ومولاه، وهكذا يحيلهم إلى من بعده من أولى العزم من الرسل، والآخر يدفعها إلى من بعده، حتى يأتوا إلى الرسول الخاتم: محمد ﷺ، الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقوم مقامًا يحمده عليه الأولون والآخرون، وتظهر به منزلته العظيمة، ودرجته العالية[(١)].

* قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»[(٢)].

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مُشفَّع»[(٣)].

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد

---

(١) القيامة الكبرى/ د. عمر الأشقر (ص: ١٧٣).

(٢) حسن: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني فى صحيح الجامع (٧٨١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨).

ولا فخر وما من نبي يومئذ آدمُ فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول شافعٍ وأول مُشفَّعٍ ولا فخرَ»(١).

ولما كان ذكر مناقب النفس إنما يُذكر افتخارًا في الغالب أراد النبي ﷺ أن يقطع وهم من توهَّم أنه يذكر ذلك افتخارًا فقال: «ولا فخر».

النبي ﷺ يختبئ دعوته شفاعة لأمته

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

فها هو الحبيب ﷺ يختبئ دعوته شفاعة لأمته.

قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»(٣).

شروط الشفاعة

إن الشفاعة الثابتة في الشرع هي التي يتوفر فيها شرطان:

- إذن الله للشافع.
- الرضا عن المشفوع له.

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٨).
(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٩).

وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل، سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة مَن دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له في الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى أن يشفع فيه... كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[(١)]، ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[(٢)].

ولذلك فإن والد إبراهيم لما مات كافرًا فإن الله لم يقبل شفاعة خليله فيه في ذلك اليوم.... روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر في يوم القيامة، وعلى وجه آزر قَتَرة وغَبَرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يارب، إنك وعدتني أن لا تُخزني يوم يُبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال لإبراهيم: ما تحت قدميك؟ فينظر فإذا هو بذيخٍ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه، فيُلقى في النار»[(٣)].



(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).
(٢) سورة يونس: الآية: (٣).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٣٥٠).

أنواع الشفاعات يوم القيامة

والشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلى قسمين: مردودة وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة... ومقبولة وهي ما تحققت فيها شروط الشفاعة. وقد ثبت لنبينا محمد ﷺ منها ثمانية أنواع، وهي:

١- الشفاعة العظمى وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم... وهي المقام المحمود وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا ﷺ على غيره من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

٢- شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة.

٣- شفاعته في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها.

٤- شفاعته ﷺ في رفع درجات أهل الجنة في الجنة.

٥- شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

٦- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمَّن كان يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب.

٧- شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يُؤذَن لهم بدخول الجنة.

٨- شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها.

❊ ❊ ❊

كيف نفوز بشفاعة النبى ﷺ

* وقد يسأل سائل ويقول: كيف أفوز بشفاعة النبى ﷺ .

أقول لك: هذا هو الطريق فافتح قلبك لكلام النبى ﷺ .

قال ﷺ : «وإنى اختبأت دعوتى شفاعةً لأمتى وإنها نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»(١).

وقال ﷺ : «إذا سمعتُم المؤذن فقولوا مثل ما يقول: ثم صلُّوا علىَّ؛ فإنه مَن صلى علىَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لى الوسيلة؛ فإنها منزلة فى الجنة، لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلَّت عليه الشفاعة»(٢).

وقال ﷺ : «من قال حين يسمع النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذى وعدته، حلَّت له شفاعتى يوم القيامة»(٣).

وقال ﷺ : «مَن صلى علىَّ حين يصبح عشرًا وحين يمسى عشرًا أدركته شفاعتى يوم القيامة»(٤).

وقال ﷺ : «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها»(٥).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦١٤).

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٥٧).

(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذى وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠١٥).

وهناك شفاعاتٌ أخرى

بل لقد أخبر النبي ﷺ أن الملائكة تشفع للمؤمنين.. وأن لكل نبي شفاعة... وأن هناك شفاعة للمؤمنين.

وأما عن أعظم شفاعة فهي شفاعة أرحم الراحمين (جل وعلا).

قال ﷺ: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمةً، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»[1].

* فمن هذه الرحمات العظيمة لرب الأرض والسماوات أنه لا يأذن بشفاعة الأنبياء والملائكة والمؤمنين فحسب بل يقبض قبضة من النار ليُخرج قومًا - من النار - لا يعلم عددهم إلا الله فيدخلهم الجنة... ولا يعلم أحد من الخلق قدر قبضة الخالق (جل وعلا) فقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

قال ﷺ: «.... فيقول الله: شفعت الملائكة، وشفع النبيُّون، وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيُخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حُممًا، فيُلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقالُ له: نهرُ الحياة، فيخرجون كما تخرجُ الحبَّة في حميل السيل، ألا ترونها تكونُ إلى الحجر أو الشجر، ما يكونُ إلى الشمس أصيفر

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٢).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٦٧).

وأخيضر، وما يكونُ منها إلى الظل يكونُ أبيض، فيخرجون كاللُّؤلؤ، في رقابهم الخواتيمُ، يعرفهم أهل الجنة: هؤلاء عُتقاءُ الله من النار، الذين أدخلهم الجنة بغير عملٍ عملوه، ولا خيرٍ قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا؟ فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[(١)].

مشهد الحساب والجزاء

إنه مشهد الحساب يوم القيامة... هذا المشهد الذي قال عنه الحق (جل وعلا): ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[(٢)].

فالكل موقوف بين يدي الله (عز وجل) والكل مسئول يوم القيامة عن كل صغيرة وكبيرة.

ستقف الخلائق كلها صفًا للحساب بين يدي فاطر السماوات والأرض.. قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾[(٣)] ويا له من مشهد مهيب عندما يعاين الناس تلك الأهوال وإذا بالأمم كلها تجثوا على الرُّكب كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (١٨٣).
(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).
(٣) سورة الكهف: الآية: (٤٨).

تَعْمَلُونَ ﴾[١] بل ويأتي المجرمون وقد علاهم الذل والصغار بسبب كفرهم بالواحد القهار... كما قال العزيز الغفار: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[٢].

ومع تلك الأهوال فهناك صنف كريم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب... فنسأل الله أن يجعلنا من هذا الصنف الكريم.

مجيء الرب (جل وعلا)

وها هو الحق (جل وعلا) يتنزل تنزلاً يليق بجلاله وكماله ليقضي بين الخلائق وليبدأ مشهد الحساب يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾[٣].

* وقال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾[٤].

* * *

---
(١) سورة الجاثية: الآية: (٢٧).
(٢) سورة إبراهيم: الآيات: (٤٩-٥١).
(٣) سورة الفرقان: الآيتان: (٢٥-٢٦).
(٤) سورة الفجر: الآيات: (٢١-٢٤).

الوقوف بين يدى الله (عز وجل)

إنه مشهد عظيم لا يستطيع إنسان أن يعلم مدى رهبته فإن الإنسان إذا ما وقف أمام ملك من ملوك الدنيا فإنه يرتجف فؤاده خوفًا وفزعًا أن يصدر منه ما يُغضب صاحب السلطان فما ظنكم بالوقوف بين يدى الواحد الديان ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

فبينما أنت فى أرض المحشر إذ يأتيك النداء «أين فلان ابن فلان» فيُلقى الله فى روعك أنك أنت المقصود من بين الخلائق فتُقبل على عرش الواحد الديان ويا له من موقف عصيب.

قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه تُرجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة»(٢).

فأعظم به من موقف وأعظم به من سائل سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾(٣).

وعن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره

(١) سورة الشورى: الآية: (١١).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦).
(٣) سورة الحاقة: الآية: (١٨).

بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيُعطى صحيفة حسناته وأما الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله»[(١)].

* هكذا يحاسب الله عباده يوم القيامة على كل صغيرة وكبيرة ويعرض عليهم صحفهم وأعمالهم فلا يستطيع العبد أن ينكر شيئًا مما فعله في الدنيا.

قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٤٩).

(٣) سورة الحاقة: الآيات: (١٨-٣٧).

الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب

قال ﷺ: «عُرِضت على الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحدٌ، إذ رُفع لي سوادٌ عظيم، فظننتُ أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومُه، ولكنْ انظر إلى الأفق، فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: انظرْ إلى الأفق الآخر، فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغَير حساب ولا عذاب، هم الذين لا يرقونَ،(١) ولا يسترقونَ، ولا يتطيرونَ، ولاَ يكتوون، وعلى ربِّهم يتوكلون»(٢).

وقال ﷺ: «ليدخُلنَّ الجنةَ من أمتي سبعون ألفًا، أو سبعمائة ألف، متماسكون، آخذٌ بعضُهم بيد بعض، لا يدخلُ أولُهم حتى يدخل آخرُهم، وجوهُهم على صورة القمر ليلةَ البدر»(٣).

وقال ﷺ: «وعدني ربي أن يُدخل الجنةَ من أمتي سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاثُ حثيات من حثيات ربي»(٤).

وقال ﷺ: «أُعطيتُ سبعين ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوهُهم كالقمر ليلةَ البدر، قلوبهمْ على قلب رجل واحد،

(١) قال الشيخ الألباني: قلت قوله «لا يرقون»، هو مما تفرد به مسلم دون البخاري وغيره، ثم هو شاذ سندًا ومتنًا، كما بينته في محل آخر! وحسبك دليلاً على شذوذه أن النبي ﷺ قد رقى غيره أكثر من مرة! بل قد رقاه جبريل (عليه السلام).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٧٢)، ومسلم (٢٢٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١١١).

فاستزدتُ ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين ألفًا»[(١)].

فيا لها من فرحة لمن يدخل الجنة بغير حساب، وذلك لأن المؤمن يعلم أنه لو جاءه من يبشره بالجنة، ولكن بعد أن يحاسبه الله ثم يُدخله الجنة لكان ذلك عذابًا شديدًا؛ لأن النبي ﷺ قال: «من نُوقش الحساب عُذِّب»[(٢)].

وفي رواية: «من نُوقش المحاسبة هلك»[(٣)].

فمجرد مناقشة الحساب عذاب شديد، فحسبك أيها المؤمن أن يعدد الله عليك ذنوبك وأوزارك.

فكيف بمن يحاسبه الله وهو لا يدري هل هو من أهل الجنة أم من أهل النار؟! وبذلك تستطيع أن تستشعر مدى فرحة هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب «فاللهم اجعلنا منهم».

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد عن أبي بكر وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٥٧).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).
(٣) صحيح: رواه الطبراني في الكبير عن ابن الزبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٧٩).

مشاهد القصاص يوم القيامة

إن الله (عز وجل) جعل الظلم مُحرمًا بين العباد فقال تعالى: «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرمًا بينكم فلا تظالموا...»(١).

وأخبر الحبيب ﷺ بأن الظلم عاقبته وخيمة فى الدنيا والآخرة فقال ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»(٢).

* والظلم إيذان بهلاك الأمم... قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾(٣).

* بل لقد حرَّم النبى ﷺ ظُلم الدواب العجماوات فقال ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»(٤).

مغبة الظلم فى الدنيا والآخرة

إنها الحسرة على كل ظالم فى الدنيا والآخرة.

فأما خسرته فى الدنيا فإن الله (عز وجل) يحرمه نعمة الهداية...

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧).
(٢) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير عن ابن عمر وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (١٠١).
(٣) سورة يونس: الآية: (١٣).
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣١٨)، ومسلم (٢٦١٩).

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

وكذلك فإن الله يحرمه أعظم نعمة في هذا الكون - ألا وهي محبة الله له - قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

* بل إن الله يُملي للظالم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

قال ﷺ: «إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته» ثم قرأ النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (٣)(٤).

وكذلك فإن الله جل وعلا يستجيب لكل من دعا عليه من المظلومين.... كما قال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنَّك ولو بعد حين» (٥).

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب» (٦).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتي، مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته، قبل أن يُقضى ما عليه،

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٨).
(٢) سورة آل عمران: الآية: (٥٧).
(٣) سورة هود: الآية: (١٠٢).
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).
(٥) صحيح: رواه الطبراني في الكبير عن خزيمة بن ثابت وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٧).
(٦) حسن: رواه أحمد وأبو يعلى عن أنس وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٩).

أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرِح فى النار»(١).

* ولذلك أمرنا النبى ﷺ أن نتحلل من المظالم فى الدنيا قبل أن نجنى ثمار الحسرة يوم القيامة... فقال ﷺ: «من كانت لأخيه مظلمة من عِرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل أُخذ من سيئات صاحبه فجُعلت عليه»(٢).

* فمن جاء يوم القيامة بتلك المظالم ولم يتحلل منها فى الدنيا فقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾(٣).

* ما هو تطاير الصحف؟

تنشق السماء وتتطاير منها الصحف، وهى الكتب التى كُتبت فيها أعمال العباد، فيكتب فيها عملُ المؤمن كله سيئاته وحسناته، فأما المؤمن فيأخذ كتابه بيمينه، وأما الكافر فيأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره،.... قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾(٤).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١).
(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٩).
(٣) سورة طه: الآية: (١١١).
(٤) سورة الانشقاق: الآيات: (٦-١٢).

صفة الميزان

* ما هو الميزان؟

الميزان هـو الذي يوضع فيه أعمال العبد، له كفتان ولسان، حسناته في كفة وسيئاته في كفة..... قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[١].

وقد دلت النصوص على أن الميزان ميزان حقيقي، لا يقدر قدره إلا الله تعالى.... فقد روى الحاكم عن سلمان عن النبي ﷺ أنه قال: «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[٢].

* * *

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٤/٥٨٦)، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٩٤١).

فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون

ابني الحبيب: هل وقفت يومًا لتشترى طعامًا أو فاكهة ورأيت كفة الميزان وهى تميل وترجح على الأخرى.. فتذكرت ميزان الآخرة وقد رجحت كفة السيئات على كفة الحسنات فكان ذلك حاديًا لك لأن تبادر إلى التوبة ولتجتهد فى طاعة الله (عز وجل) لتملأ كفة الحسنات بكل أنواع الطاعات والقربات ليرضى عنك رب الأرض والسماوات.

قال تعالى: ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴿٨﴾ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾(١)

وقال تعالى: ﴿ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴿١٠١﴾ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴿١٠٢﴾ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون ﴿١٠٣﴾ تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ (٣).



(١) سورة الأعراف: الآيتان: (٨: ٩).

(٢) سورة المؤمنون: الآيات: (١٠١: ١٠٤).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).

ما الأعمال التي تثقل في الميزان

إن كل أعمال البر والطاعة تثقل في الميزان وتجعل كفة الحسنات راجحة على كفة السيئات ولكن هناك أشياء تجعل كفة الحسنات ثقيلة جدًا.

قال ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حُسن الخُلق وإن الله يُبغض الفاحش البذيء»(١).

وقال ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض...»(٢).

وقال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»(٣).

وقال ﷺ: «من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده كان شبعه وريُه وروثه وبوله حسنات في ميزانه يوم القيامة»(٤).



(١) صحيح: رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٢٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٨٥٣).

حوض النبي ﷺ

فعندما يُحشر الناس يوم القيامة إلى أرض المحشر فإنهم يُحشرون أجوع ما كانوا وأعطش ما كانوا فإذا أراد أحدهم أن يشرب فإنه لن يجد مكانًا يشرب منه إلا حوض النبي ﷺ . . . ولقد وصف لنا النبي ﷺ حوضه فقال: «حوضي كما بين صنعاء والمدينة فيه الآنيةُ مثلُ الكَواكب»(١).

وقال ﷺ: «حوضي مسيرةُ شهر، وزواياه سواءٌ، وماؤهُ أبيضُ من اللبن، وريحهُ أطيبُ من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه فلا يظمأ أبدًا»(٢).

إن لكل نبي حوضًا

قال ﷺ: «إن لكل نبيٍ حوضًا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة»(٣).

إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك

وها هم أناس يأتون يوم القيامة ويذهبون إلى حوض النبي ﷺ ليشربوا من يد النبي ﷺ شربة هنيئة مريئة لا يظمأون بعدها

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٩٢)، ومسلم (٢٢٩٨).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).
(٣) صحيح: رواه الترمذي عن سمرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٥٦).

أبدًا... وإذا بالملائكة تدفعهم وتطردهم بعيدًا عن الحوض فلا يشربون منه شربة واحدة.

وقال ﷺ: «تردُ عليَّ أمتي الحوضَ، وأنا أذودُ الناسَ عنه، كما يذودُ الرجلُ إبلَ الرجلِ عن إبله، قالوا: يا نبيَّ الله تعرفُنا؟ قال: نعمْ، لكم سيما ليست لأحد غيركم، تردون عليَّ غُرًا من آثار الوضوء، وليُصَدنَّ عني طائفةٌ منكم، فلا يَصلون، فأقولُ: يا ربِّ هؤلاء من أصحابي! فيُجيبُني ملكٌ فيقولُ: وهلْ تدري ما أحدثوا بعدكَ»[(١)].

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٧).

الصراط

إنه بعد وزن الأعمال والفراغ منها، وبيان السعيد من الشقى يضطر الناس إلى المرور على الصراط، وهو جسر دقيق منصوب على ظهر جهنم وهى عقبة فى طريق الذاهبين إلى دار السلام (الجنة) وممر خطير للغاية يشهد لخطورته أن الرسول ﷺ يقف على جنباته والناس يمرون، وهو يدعو «رب سَلِّم سَلِّم»(١)، ويكون مرور الناس بحسب أعمالهم فى الدنيا، فمنهم من يمر بسرعة مدهشة حتى لكأنه البرق الخاطف. ومنهم من يمر دون ذلك إلى أن ينجو من ينجو ولو حبواً على يديه وركبتيه، ويهلك من يهلك بسقوطه فى جهنم دار الشقاء، والهوان، والبوار، والخسران(٢).

قال رسول الله ﷺ: «يُؤتَى بالجسر فيُجعل بين ظهرانى جهنم» قالوا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان»(٣).

وإن منكم إلا واردها

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٥).

(٢) عقيدة المؤمن/ الشيخ أبو بكر الجزائرى (ص: ٣٦٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧٤٤٠).

(٤) سورة مريم: الآيتان: (٧١-٧٢).

* والمقصود بالورود: هو مرور المؤمنين على الصراط... أما ورود المشركين فهو دخولهم النار.

* عن ابن مسعود ﷺ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ قال رسول الله ﷺ: «يَرِد الناس النار ثم يَصدُرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البصر ثم كمرّ الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رَحْله ثم كشدّ الرحال ثم كمشيه»[1].

أنوار المؤمنين على الصراط

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[2].

* كيف يمرُّ الناس على الصراط؟

منهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والحاكم، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٨٠٨١).

(٢) سورة الحديد: الآيات: (١٢-١٥).

الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتى إن آخرهم مرورًا رجل نوره على موضع إبهامى قدميه يمرُّ فيتكفأ به الصراط.

وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن عليها كالطرف وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والرِّكاب فناجٍ مُسلَّم وناجٍ مخدوش ومكدوس فى نار جهنم حتى يمر آخرهم يُسحب سحبًا»[(١)].

آخر رجل يمر على الصراط

ويخبر الحبيب ﷺ عن حال آخر رجل يمر من على الصراط ليدخل جنة رب الأرض والسماوات فيقول ﷺ: «آخر من يدخل رجل فهو يمشى مرة - أى على الصراط - ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذى نجانى منك لقد أعطانى الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين.....»[(٢)].

فمن شدة هول الصراط - المنصوب على متن جهنم - أحس هذا الرجل بعد مروره من عليه أن الله (عز وجل) أعطاه شيئًا عظيمًا لم يُعطه أحدًا من البشرية كلها.. مع أن هذا الرجل هو آخر من يدخل الجنة!!!

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٤٤٠).
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٧).

وصف النار

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٢).

وقال ﷺ: «اجعلوا بينكم وبين النار حجابًا ولو بشقِّ تمرة»(٣).

وقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»(٤).

* تالله لو عرف المؤمن ما في النار من عذاب ونكال لم يهنأ بعيشٍ ولم يغفل عن طاعة الله لحظة واحدة ولم يتجرأ على معصيته حتى يلقاه.

* هل الجنة والنار مخلوقتان؟ وهل هما موجودتان الآن؟

نعم خلقهما الله سبحانه وتعالى؛ ليجازي الناس على أعمالهم، وهما موجودتان الآن، قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضًا فأذن لها بنفسين نَفَس في الشتاء ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحَر وأشد ما تجدون من الزمهرير»(٥).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٤).

(٢) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الكبير عن فضالة بن عبيد وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٥١٢).

النبي ﷺ يستعيذ بالله من عذابها

وها هو الحبيب ﷺ الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستعيذ بالله من عذاب جهنم. . . بل لقد كان يأمر أصحابه ﷺ أن يستعيذوا بالله من عذاب النار - بعد التشهد -.

فقد كان ﷺ يقول: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال، ثم يدعو لنفسه بما بدا له»(١).

وقال أنس: كان أكثر دعاء النبى ﷺ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٢)(٣).

❊ ❊ ❊

❊ كم عدد أبواب النار؟

سبعة أبواب فوق بعضها، دركات. . . قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾(٤).

❊ ❊ ❊

❊ ما هو وصف حر النار وقعرها؟

❊ حرها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها حديد، ونار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، لكل جزء منها حرُّه.

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٨٨).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٠١).
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٨٨).
(٤) سورة الحجر: الآيتان: (٤٣-٤٤).

قال رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التى يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال: «فإنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها»(١).

عمق جهنم

لقد ذكرنا قول النبى ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوى بها فى النار سبعين خريفًا»(٢).

وعن أبى هريرة قال: كنا عند النبى ﷺ يومًا فسمعنا وجبة، (أى: سقطة) فقال النبى ﷺ: «أتدرون ما هذا؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر أُرسل فى جهنم منذ سبعين خريفًا، فالآن انتهى إلى قعرها»(٣).

وكان عمر يقول: أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها حديد.

* وقال ﷺ: «إن الصخرة العظيمة لتُلقَى من شفير جهنم فتهوى بها سبعين عامًا ما تُفضى إلى قرارها»(٤).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).
(٢) صحيح: رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٨).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٤).
(٤) صحيح: رواه الترمذى عن عتبة بن غزوان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٦٢).

* ما هو وقود النار؟

وقودها الناس والحجارة وهي الأصنام التي كان يعبدها المشركون في الدنيا، . . . . قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[(١)].

سلاسل وأغلال جهنم

قال تعالى: ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه (٢٥) ولم أدر ما حسابيه (٢٦) يا ليتها كانت القاضية (٢٧) ما أغنى عني ماليه (٢٨) هلك عني سلطانيه (٢٩) خذوه فغلوه (٣٠) ثم الجحيم صلوه (٣١) ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾[(٣)].

ما هو طعام أهل النار؟

(١) الزقوم:

قال تعالى: ﴿إن شجرت الزقوم (٤٣) طعام الأثيم (٤٤) كالمهل يغلي في البطون (٤٥) كغلي الحميم﴾[(٤)].

ثم وصفها تعالى فقال: ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم (٦٢) إنا جعلناها

---

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٢) سورة الإنسان: الآية: (٤).

(٣) سورة الحاقة: الآيات: (٢٥-٣٢).

(٤) سورة الدخان: الآيات: (٤٣-٤٦).

فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ (١).

وقد دلَّ القرآن على أنهم يأكلون منها حتى تمتلئ منها بطونهم فتغلى فى بطونهم، كما يغلى الحميم، وهو الماء الذى قد انتهى حره، ثم بعد أكلهم منها يشربون عليه من الحميم شرب الهيم - أى: الإبل العطاش -.

وعن ابن عباس أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (٢)، فقال رسول الله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟» (٣).

(٢) الضريع:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ (٤).

قال ابن عباس عن الضريع: إنه شجر فى جهنم.

(٣) الغسلين:

قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (٥).

قال ابن عباس عن الغسلين: إنه صديد أهل النار.

---

(١) سورة الصافات: الآيات: (٦٢-٦٨).
(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).
(٣) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٥٠).
(٤) سورة الغاشية: الآيات: (٦-٧).
(٥) سورة الحاقة: الآيات: (٣٥-٣٧).

* ما هو شراب أهل النار؟

(١) المُهل:

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[١].

قال مجاهد عن الماء الذي كالمُهل: أي مثل القيح والدم أسود كعكر الزيت.

(٢) الصديد:

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾[٢]، قال: يعني القيح والدم.

وعن جابر عن النبي ﷺ قال: «إن على الله عهدًا لمن شرب المسكرات ليسقيه من طينة الخبال» قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار»[٣].

(٣) الحميم:

وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾[٥].

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٢٩).
(٢) سورة إبراهيم: الآية: (١٦).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٠٢).
(٤) سورة محمد: الآية: (١٥).
(٥) سورة ص: الآيتان: (٥٧-٥٨).

الحميم هو الذى انتهى غليانه فهو فى أعلى درجات الغليان.

(٤) الغسَّاق:

قال تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا﴾(١).

قال ابن عباس: الغساق: ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه، وعنه قال: الغساق: الزمهرير البارد الذى يحرق من برده.

وعن عبد الله بن عمرو قال: الغساق: القيح الغليظ... لو أن قطرة منه تُهرق فى المغرب لأنتنت أهل المشرق، ولو أُهرقت فى المشرق لأنتنت أهل المغرب.

❊ ❊ ❊

❊ ما هى ملابس أهل النار؟

❊ سرابيل من قطران،... قال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾(٢).

❊ ثياب من نار،... قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾(٣).

❊ ❊ ❊

❊ ما هو فراش أهل النار؟

الفراش من نار والغطاء من نار،... قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة النبأ: الآيات: (٢٤-٢٦).
(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٥٠).
(٣) سورة الحج: الآية: (١٩).
(٤) سورة الأعراف: الآية: (٤١).

النار يوم القيامة تسمع وتبصر وتتكلم

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يُبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وُكِّلت بثلاثة: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين»(١).

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾(٢).

بكاء أهل النار

قال ﷺ: «يُرسَل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أُرسلت فيها السفن لجرت»(٣).

أهون أهل النار عذابًا

* وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا»(٤).

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٥١).
(٢) سورة الفرقان: الآيتان: (١١، ١٢).
(٣) حسن: رواه ابن ماجه عن أنس وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٨٣).
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١٣).

يتمنى الكافر أن يفدى نفسه (من العذاب) بأهل الأرض جميعًا

يا له من مشهد يخلع القلوب ويُفتت الجبال.

إنه مشهد رجل كافر يأتي يوم القيامة فيتمنى أن يفدى نفسه من عذاب النار بأولاده وزوجته وأخيه وعشيرته بل بأهل الأرض جميعًا.

قال تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾(١).

* بل إن الكافر لو جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبًا فلن يستطيع أن يفدى نفسه (بكل هذا الذهب) من عذاب الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣).

* * *

(١) سورة المعارج: الآيات: (١١:١٨).
(٢) سورة آل عمران: الآية: (٩١).
(٣) سورة المائدة: الآية: (٣٦).

الله يكلم أهون أهل النار عذابا

قال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يقولُ لأهون أهلِ النار عذابًا: لوْ أنَّ لكَ ما في الأرض منْ شيء كنتَ تفتدي به؟ قالَ: نعم، قال: فقدْ سألتُك ما هو أهونُ منْ هذا وأنتَ في صُلبِ آدم أنْ لا تشركَ بي شيئًا فأبيتَ إلاَّ الشِّركَ!»[١].

أول من تُسعَّر بهم النار

قال ﷺ: «إنَّ أولَ الناسِ يُقضَى يومَ القيامة عليه رجلٌ استُشهد، فأُتي به، فعرَّفه نعمَهُ، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ، قال: كذبت، ولكنَّك قاتلت ليقالَ جريءٌ، فقد قيلَ، ثمَّ أمرَ به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ تعلمَ العلم وعلَّمهُ، وقرأ القرآنَ، فأُتي به فعرَّفه نعمهُ، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ العلمَ وعلمته، وقرأت فيكَ القرآنَ، قال: كذبتَ، ولكنك تعلمتَ العلمَ ليقالَ عالمٌ، وقرأت القرآن ليقال: هو قارىءٌ فقد قيل، ثمَّ أمرَ به فسُحبَ على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ وسَّعَ الله عليه، وأعطاهُ من أصناف المال كُله، فأتي به فعرَّفهُ نعمهُ فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتَ منْ سبيلٍ يُحبُّ أنْ ينفقَ فيها إلا أنفتُ فيها لكَ، قالَ: كذبتَ ولكنكَ فعلت ليقالَ: هوَ جوادٌ، فقد قيلَ: ثمَّ أمرَ به فسُحبَ على وجهه، ثمَّ أُلقي في النار»[٢].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥).
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٥).

عِظَم خلق أهل النار وبشاعة منظرهم

* عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع»(١).

وخرّج مسلم أيضًا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ضرس الكافر ـ أو ناب الكافر ـ مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام»(٢).

كلما نضجت جلودهم
بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب

وقد يسأل سائل ويقول: وما السبب فى ضخامة جسد الكافر إلى هذا الحد؟ بل وما السبب فى كثافة جلده على وجه الخصوص؟.

والجواب: إن نار الآخرة كما وصفها الحبيب ﷺ أشد من نار الدنيا سبعين مرة ولا يتحملها جسد الإنسان فكان لا بد من تضخيم خلقة الكافر بشكل يتناسب مع حجم النار.

وأما عن كثافة الجلد ـ على وجه الخصوص ـ لأن مراكز الإحساس كلها لا تكون إلا فى الجلد فيكون الإحساس بلهيب النار من خلال الجلد ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٣).

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥١).
(٣) سورة النساء: الآية: (٥٦).

قال الحسن فى هذه الآية: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودون كما كانوا.

عذاب أهل النار المعنوى

فهناك عذاب معنوى لأهل النار ـ فوق العذاب الحسى ـ.

* فمن عذابهم المعنوى أنهم إذا دخلوا النار يلعن بعضهم بعضًا.. قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾(١).

* ومن عذابهم المعنوى أنهم يسمعون خطبة إبليس فى النار وهو يعلن أنه خدعهم وزين لهم المعصية حتى وقعوا فى نار جهنم.... قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢).

* ومن عذابهم المعنوى أن الملائكة تبكتهم قبل أن يدخلوا إلى منازلهم فى نار جهنم... قال تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ ﴾(٣).

* ومن عذابهم المعنوى أن المؤمنين يسخرون منهم كما كانوا يسخرون منهم فى الدنيا.

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣٨).

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٢٢).

(٣) سورة الملك: الآيتان: (٨:٩).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[(١)].

* وأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز وجل وإبعادهم عنه وإعراضه عنهم وسخطه عليهم، كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة، وتجليه لهم ورؤيتهم إياه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة، ... قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[(٢)].

النار لا تأكل أثر السجود

قال ﷺ: «تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرَّم الله عز وجل على النار أن تأكل أثر السجود»[(٣)].

اخسئوا فيها ولا تكلمون

لقد وصف الله تعالى حال أهل النار وهم يطلبون الخروج من النار فقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا

(١) سورة المطففين: الآيات: (٢٩: ٣٦).
(٢) سورة المطففين: الآيتان: (١٤ ـ ١٥).
(٣) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٥).

للظَّالمين من نَّصير﴾[١].

* ولكنهم قبل ذلك كله يطلبون من خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند ربهم ليخفف عنهم يومًا من العذاب.

قال تعالى: ﴿وقَالَ الَّذين في النَّار لخزَنَة جهَنَّم ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾[٢].

فقالوا: ولماذا لا نلجأ لمالك (خازن النار) فأخذوا يصيحون ويقولون: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[٣].

قال الأعمش: نُبِّئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك لهم ألف عام.

* وعن عبد الله بن عَمرو قال: إن أهل النار يدعون مالكًا فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾[٤] فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها شهيق وآخرها زفير[٥].

* * *

(١) سورة فاطر: الآية: (٣٧).
(٢) سورة غافر: الآيتان: (٤٩ : ٥٠).
(٣) سورة الزخرف: الآية: (٧٧).
(٤) سورة المؤمنون: الآية: (١٠٧).
(٥) قال الهيثمي في المجمع (١٨٦٣٦): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

آخر أهل النار خروجًا منها

قال ﷺ: «إني لأعرف، آخر أهل النار خُروجًا من النار، وآخر أهل الجنة دُخولاً الجنَّة؛ رجلٌ يُؤتى به يوم القيامة، فيُقال: اعْرضوا عليه صغارَ ذُنوبه، وارفعُوا عنه كبارها، فيُقال له: عملْتَ يوم كذا وكذا، كذا وكذا وعملتَ يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيقولُ: نعم، لا يستطيعُ أن يُنكر، وهو مُشفقٌ من كبار ذُنوبه أن تُعرض عليه فيُقال له: فإنَّ لك مكان كلِّ سيئة حسنَةً، فيقولُ: ياربِّ عملتُ أشياء لا أراها ههُنا»[1].

ذبح الموت وخلود أهل الجنة وأهل النار

قال تعالى: ﴿فادْخُلُوا أبْواب جهنَّم خالدين فيها فلبئس مثْوى الْمُتكبِّرين﴾[2] وقال تعالى: ﴿إنَّهُ من يأْت ربَّهُ مُجْرمًا فإنَّ لهُ جهنَّم لا يمُوتُ فيها ولا يحْيى﴾[3].

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مُنادٍ: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. هذا الموت وكلهم قد رأوه ثم ينادي: يا أهل النار! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه فيُذبح. ثم يقول. يا أهل الجنة! خلودٌ فلا موت ويا أهل النار! خلود فلا موت ثم قرأ: ﴿وأنذرْهُمْ يوْم

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٦).
(٢) سورة النحل: الآية: (٢٩).
(٣) سورة طه: الآية: (٧٤).

الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ (وهؤلاء فى غفلة أهل الدنيا) ﴿وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾»[١].

* **هل يخرج أحد من النار؟**

يخرج عصاة الموحدين بعد أن يعاقبوا على ذنوبهم فى النار ثم يدخلون الجنة، قال رسول الله ﷺ: «يخرج قوم من النار بعد ما مسَّهم منها سَفعٌ فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين»[٢].

القنطرة.. والقصاص بين المؤمنين

إنها القنطرة التى لا يعلم عنها الكثير من الناس شيئًا فهى القنطرة التى يقتص فيها المؤمنون من بعضهم البعض..... فبعد خروجك من تلك الأهوال التى تحدثنا عنها وبعد مرورك من على الصراط تظن أن الأمر قد انتهى عند ذلك ولم يبقَ سوى دخولك الجنة.

وفجأة تجد نفسك على قنطرة المظالم التى قال عنها النبى ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نقُّوا وهُذبوا أُذن لهم بدخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدلّ منه بمسكنه كان له فى الدنيا»[٣].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).
(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٥٩).
(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٠).

وصف الجنة

والله لو جلست لأصف لكم نعيم الجنة سنة كاملة ما استطعت أن أوفيها حقها.... لأن فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال ﷺ: «لقاب قوسٍ في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»[١].

وقال ﷺ: «لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطّلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»[٢].

عدد أبواب الجنة وصفتها

قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٣].

وقال ﷺ: «الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب»[٤].



(١) صحيح: رواه البخاري (٢٧٩٣).
(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي عن سعد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥١).
(٣) سورة الرعد: الآيتان: (٢٣-٢٤).
(٤) صحيح: رواه ابن سعد عن عتبة بن عبد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١١٩).

تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخول الجنة

بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، ثم يُهذَّبون وينَقَّون، وذلك بأن يُقتص لبعضهم من بعض إذا كانت بينهم مظالم في الدنيا، حتى إذا دخلوا الجنة كانوا أطهارًا أبرارًا، ليس لأحد عند الآخر مظلمة، ولا يطلب بعضهم بعضًا بشيء»[(١)].

روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخلُص المؤمنون من النار، فيُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمدٍ بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»[(٢)].

أول من تفتح له أبواب الجنة

قال ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»[(٣)].

* وقال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنَّة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت، لا أفتح لأحدٍ قبلك»[(٤)].

---

(١) الجنة والنار (ص: ١١٦-١١٧) بتصرف.
(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٥٣٥).
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٦).
(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩٧).

باب الريان للصائمين

* قال ﷺ : «إنَّ في الجنَّة بابًا يقال لهُ: الريانُ، يدخُلُ منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، فيدخلون منه، فإذا دخلوا، أُغلق؛ فلم يدخل منه أحد»[(١)].

أول الأمم دخولاً الجنة.. وأكثرهم عدداً

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بَيْد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق»[(٢)].

وقال ﷺ : «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم»[(٣)].

الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة

قال ﷺ : «اطَّلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء....»[(٤)].

ولذلك فإن الله (عز وجل) يَجبر لهم كَسرهم في الآخرة وذلك

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٥٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٥٢٦).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٨).

بأن يُدخلهم الجنة قبل أغنياء المؤمنين بخمسمائة سنة.

قال ﷺ: «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام»(١).

❋ ❋ ❋

❋ كم عدد درجات الجنة؟

الجنة مائة درجة، كل درجة منها كما بين السماء والأرض.

قال رسول الله ﷺ: «فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»(٢).

❋ ❋ ❋

❋ ما هو وصف أول زمرة تدخل الجنة؟

قال تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذُرِّيَّاتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾(٣).

❋ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زُمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دُرى فى السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خُلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء»(٤).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى وابن ماجه، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٢٨).

(٢) رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢٤٤).

(٣) سورة الرعد: الآيتان: (٢٣-٢٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

* ما أول وجبة يأكلها أهل الجنة؟

فى الحديث الذى رواه مسلم... عندما جاء حَبر من أحبار اليهود يسأل النبى ﷺ عن عدة أشياء وكان من بينها أنه سأله عن أول طعام لأهل الجنة فقال: فما تُحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال ﷺ: «زيادة كبد النون - الحوت -» قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: «يُنحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تُسمى سلسبيلاً» قال: صدقت[1].

* * *

* ما هو أول شراب أهل الجنة؟

أول شرابهم شربة من حوض الكوثر فى أرض المحشر بيد النبى ﷺ لا يظمأون بعدها أبدًا، قال رسول الله ﷺ: «**حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا**»[2].

* * *

* ما هو طعام وشراب أهل الجنة؟

* طعامهم فواكه كثيرة، ولحم طير لذيذ... قال تعالى: ﴿**وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ**﴾[3].

* وشرابهم تسنيم، وخمر، وعسل مُصفًى، قال تعالى: ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا**﴾[4].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣١٥).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٩٢).
(٣) سورة الواقعة: الآيتان: (٢٠-٢١).
(٤) سورة الإنسان: الآيتان: (١٧-١٨).

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾[٢].

لماذا يأكل أهل الجنة ويشربون

وإذا كانت الجنة لا جوع فيها ولا عطش فلماذا يأكل أهل الجنة ويشربون إذا كانوا لا يشعرون أصلاً بألم الجوع والعطش.

والجواب: أنهم لا يأكلون بسبب الجوع ولا يشربون بسبب العطش وإنما يفعلون ذلك من أجل المتعة واللذة فقط.

أين تذهب فضلات الطعام

إن العبد إذا أكل أو شرب في الدنيا فلابد بعد فترة أن يُخرج فضلات الطعام والشراب... أما في الجنة فلا يصلح أن يكون فيها فضلات للطعام والشراب وذلك لأن أهلها مطهرون من الدنس والأذى.

ولذا قال ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون فيها»[٣].

(١) سورة محمد: الآية: (١٥).

(٢) سورة المطففين: الآيات: (٢٥-٢٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

آنية طعام أهل الجنة وشرابهم

لقد أخبر الحق (جل وعلا) أن آنية طعام أهل الجنة التى يأكلون ويشربون فيها من الذهب والفضة.

قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾[(١)].

أى: وأكواب من ذهب، وقال: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾[(٢)].

أى: اجتمع فيها صفاء القوارير وبياض الفضة.



* ما هو ثياب أهل الجنة؟

إن أهل الجنة يلبسون أفخر أنواع الثياب التى لا تخطر على قلب بشر ويتزينون فيها بأفخر أنواع الذهب والفضة واللؤلؤ.

فهم يلبسون الحرير الصافى ويتحلون بأساور الذهب والفضة واللؤلؤ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[(٤)].

---

(١) سورة الزخرف: الآية: (٧١).
(٢) سورة الإنسان: الآيتان: (١٥-١٦).
(٣) سورة الكهف: الآيتان: (٣٠:٣١).
(٤) سورة الحج: الآية: (٢٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾(٢).

وفي الحديث أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة... خلقًا تُخلق أم نسجًا تُنسج؟ قال: فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون؟ من جاهل يسأل عالمًا!!» ثم أكبَّ رسول الله ﷺ ثم قال: «أين السائل؟» قال: هو ذا يا رسول الله، قال: «لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة»(٣).

وقال ﷺ: «لو أن رجلاً من أهل الجنة اطَّلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم»(٤).

صفة أهل الجنة فى خَلقهم وطولهم وخُلقهم

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعًا فلما خلقه قال له: اذهب فسلِّم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا:

(١) سورة الدخان: الآيات: (٥١: ٥٣).
(٢) سورة الإنسان: الآية: (٢١).
(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٠٣)، وصحح إسناده أحمد شاكر (١٢/ ٩٥-٧٠).
(٤) رواه أحمد (١/ ١٦٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٥١).

السلام عليك ورحمة الله. قال: فزادوه ورحمة الله. قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعًا فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن»[١].

وعن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة جُردًا مُردًا كأنهم مُكحلون أبناء ثلاث وثلاثين»[٢].

فرش الجنة

وأما الفرش فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾[٤].

وعن عبد الله في قوله: ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾، قال: هذه البطائن قد خبرتم بها، فكيف بالظهائر

❊ ❊ ❊

❊ هل تعرف وصف بيوت الجنة وأرضها؟

القصور مبنية طوبة من ذهب وطوبة من فضة، بينهما مسك، والأرض كالفضة الخالصة، لها لون جميل ورائحة طيبة، والحصى فيها الدرّ والياقوت، واللؤلؤ المنثور، . . . سُئل رسول الله ﷺ: الجنة ما بناؤها؟ قال: «لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأزفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران»[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨).
(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٠٧٢-٨).
(٣) سورة الرحمن: الآية: (٥٤).
(٤) سورة الواقعة: الآية: (٣٤).
(٥) صحيح الترمذي (٢٥٢٦).

هذه خيمتك فى الجنة

قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (١).

وعن أبى موسى الأشعرى، عن النبى ﷺ أنه قال: «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا» (٢).

ألا تريد نخلاً حول بيتك فى الجنة؟!

قال ﷺ: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له بها نخلة فى الجنة» (٣).

قال ﷺ: «لقيتُ إبراهيم ﷺ ليلة أُسرىَ بى، فقال: يا محمدُ أقرئْ أُمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبةٌ التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سُبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبرُ» (٤).

وقال ﷺ: «أكثروا من غرس الجنة؛ فإنه عذبٌ ماؤها، طيبٌ تُرابها، فأكثروا من غراسها: لا حول ولا قوة إلا بالله» (٥).

❊ ❊ ❊

(١) سورة الرحمن: الآية: (٧٢).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٣).
(٣) صحيح: رواه الترمذى وابن حبان والحاكم عن جابر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٢٩).
(٤) حسن: رواه الترمذى عن ابن مسعود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٥٢).
(٥) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢١٣).

أهل الجنة لا ينامون

قال ﷺ : «النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة»[١].

وهذا من كمال رحمة الله لأن الجنة دار النعيم. . . والنوم يُفوت على أهل الجنة بعض هذا النعيم فكان من رحمة الله (جل وعلا) أن جعل أهل الجنة في نعيم دائم لا يفوتهم منه شيء. . بل إنهم ينتقلون من لذة إلى لذة أعلى ومن نعيم إلى نعيم أكبر. . . . فنسأل الله تعالى من فضله.

نساء أهل الجنة

قال تعالى: ﴿ولَهُم فِيهَا أزواجٌ مُطَهَّرَةٌ وهُم فِيهَا خَالِدُون﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُمْ ولا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأيِّ آلاءِ ربِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأنَّهُنَّ اليَاقُوتُ والمَرْجَانُ﴾ [٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دُرِّيٍّ في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب»[٤].



(١) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط والبزار وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٨٧).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥).

(٣) سورة الرحمن: الآيات: (٥٦-٥٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٤).

غناء الحور العين

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن: نحن الحور الحسان، خُبئنا لأزواج كرام»(١).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط... إن مما يغنين به: نحن الخيِّرات الحِسان، أزواج قومٍ كرام، ينظرن بقُرة أعيان، وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنّه»(٢).

الحور العين تطلبك من الله (عز وجل)

قال ﷺ: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»(٣).

– والمؤمن إذا دخل الجنة يكرمه الله عز وجل بزوجتين من الحور العين... وهذا هو الذي أخبر عنه الحق جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾(٤)... فالنُّزُل هو ما أُعد للضيف.

---

(١) صحيح: رواه سمويه عن أنس وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٦٠٢).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والضياء في صفة الجنة وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٦١).

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذي وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧١٩٢).

(٤) سورة الكهف: الآية: (١٠٧).

وهذا الأمر لا يتعارض مع كون عدد الأزواج قد يصل إلى سبعين أو أكثر، فإن الله يكرم المؤمن بالزوجتين عند دخول الجنة ثم يكرمه بعد ذلك بزوجات على قدر منزلته فى الجنة.... والله أعلم.

أشجار الجنة وبساتينها

عن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها»(١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»(٢).

وعن أبي سعيد الخدرى، أن رجلاً قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك، فقال: «طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى، ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني» فقال رجل: يا رسول الله، وما طوبى؟ قال: «شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»(٣).

❊ ❊ ❊

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٥٢).
(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٤٨) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٤٧).
(٣) صحيح: رواه أحمد وابن حبان عن أبي سعيد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩٢٣).

أعلى درجة فى الجنة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ، فإنه من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلَّت له شفاعتى»(١).

أعلى أهل الجنة وأدناهم منزلة

وعن المغيرة بن شعبة، عن النبى ﷺ قال: «سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أى رب. كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيُقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك، ولذَّت عينك... فيقول رضيت رب، قال رب فأعلاهم منزلة. قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترَ عين ولم تسمع أُذن ولم يخطر على قلب بشر»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٩).

وعن أبي هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طُرفة ليست مع صاحبه».

وعن أبي هلال قال: حدثنا حميد بن هلال: قال: «ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه».

وعن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ».

* وقال ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلاً رجلٌ صرف الله وجهه عن النار قِبل الجنة، ومثَّل له شجرةً ذات ظل، فقال: أي رب قدِّمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها، فقال اللهُ: هل عسيت أن تسألني غيرهُ؟ قال: لا وعزتك، فقدَّمهُ الله إليها، ومثَّل لهُ شجرةً ذات ظل وثمر، فقال: أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها، وآكل من ثمرها، فقال الله: هل عسيت إن أعطيتُك ذلك أن تسألني غيرهُ؟ فيقولُ: لا وعزتك، فيقدمُهُ الله إليها، فيمثل اللهُ لهُ شجرةً أخرى ذات ظلٍ وثمرٍ وماء، فيقولُ: أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها، وآكل من ثمرها، وأشرب من مائها، فيقولُ لهُ: هل عسيت إن فعلتُ أن تسألني غيرهُ؟ فيقولُ: لا وعزتك لا أسألك غيرهُ، فيقدمهُ الله إليها، فيبرز لهُ باب الجنة، فيقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة فأكونُ تحت سجاف الجنة(١) فأرى أهلها، فيقدمهُ الله إليها فيرى الجنة وما فيها، فيقول: أي رب

---

(١) سجاف: أي الستر.

أدخلنى الجنة، فيدخلُ الجنة، فإذا دخل الجنة قال: هذا لى؟ فيقولُ الله له: تمنَّ، فيتمنى، ويذكره الله عز وجل سَلْ من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني، قال الله: هو لك وعشرةُ أمثاله، ثم يُدخلهُ الله الجنة، فيدخلُ عليه زوجتاه من الحور العين؛ فيقولان: الحمد لله الذى أحياك لنا، وأحيانا لك. فيقولُ: ما أعطى أحدٌ مثل ما أعطيتُ.... وأدنى أهل النار عذابًا يُنعلُ من نار بنعلين يغلى دماغُه من حرارة نعليه»(١).

* لقد كان من الممكن أن يدخل هذا الرجل الجنة مرة واحدة ولكنه من شدة العذاب الذى رآه منبعثًا من نار جهنم لم يكن يطيق رؤية النعيم الكامل فى الجنة مرة واحدة وإلا لمات من هول المفاجأة وشدة الفرح.. ولذا كان من كمال رحمة الله (جل وعلا) أنه تدرَّج معه من نعيم إلى نعيم حتى أدخله الجنة وأراه النعيم الكامل فى الجنة.

آخر من يدخل الجنة

* وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يحكى لنا قصة آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة.. ويحكى لنا ذلك الحوار الذى دار بينه وبين ربه (جل وعلا) وتلك الكرامات التى أكرمه الله بها حتى أن هذا الرجل لم يصدق أن الله أكرمه بكل هذا الخير الذى لا يخطر على قلب بشر.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبوًا، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة،

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١١).

فيأتيها فيُخيَّل إليه أنها ملأى فيرجع، فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيُخيَّل إليه أنها ملأى. فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بي (أو أتضحك بي) وأنت الملك؟ قال ابن مسعود: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. قال: فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتَسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فتُرفع له شجرة، فيقول: أي رب أدنُني من هذه الشجرة، فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم تُرفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب أدنِني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيُدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

الأولين، فيقول: أي رب ادنُني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يارب، هذه لا أسألك غيرها. وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك؟ - والمعنى: أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك - أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين. فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر»(١).

وعن أبي ذر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إني لأعلمُ آخر أهل الجنة دُخُولاً الجنة، وآخر أهل النار خُروجًا منها، رجلٌ يؤتى به يوم القيامة، فيُقالُ: اعرضُوا عليه صغار ذُنوبه وارفعُوا عنه كبارها، فتُعرض عليه صغارُ ذُنوبه، فيُقالُ: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقُولُ: نعم، لا يستطيعُ أن يُنكر، وهُو مُشفقٌ من كبار ذُنوبه أن تُعرض عليه، فيُقالُ له: فإن لك مكان كُل سيئة حسنةً، فيقُولُ: رب قد عملتُ أشياء لا أراها ها هُنا».

فلقد رأيت رسُول الله ﷺ ضحك، حتى بدت نواجذُه(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠).

الجنة دار الخلد

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(١).

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح قال: ثم يُقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»(٢).

أعياد المؤمنين فى الجنة

وأما أعياد المؤمنين فى الجنة فهى أيام زيارتهم لربهم عز وجل فيزورونه، ويكرمهم غاية الكرامة، ويتجلى لهم وينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا هو أحب إليهم من ذلك، وهو الزيادة التى قال الله تعالى فيها ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾(٣).

* * *

(١) سورة هود: الآية: (١٠٨).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).
(٣) سورة يونس: الآية: (٢٦).

الله (عز وجل) يكلم أهل الجنة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾(١).

وقال في حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى: ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء.

وقد أخبر الله سبحانه أنه يُسلِّم على أهل الجنة. وأن ذلك السلام حقيقة وهو قولٌ من ربٍّ رحيم، وتقدم تفسير النبي ﷺ لهذه الآية في حديث جابر في الرؤية وأنه يُشرف عليهم من فوقهم ويقول: «سلام عليكم يا أهل الجنة» فيرونه عيانًا، وفي هذا إثبات الرؤية والتكليم والعلو.

و رضوان من الله أكبر

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٧٧).
(٢) سورة التوبة: الآية: (٧٢).
(٣) سورة البينة: الآيتان: (٧-٨).

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا، وسعديك، والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»(١).

لذة النظر إلى وجه الله

خلق الله الخلق في الدنيا على هيئة لا تطيق رؤيته سبحانه، وإذا كانت الجبال الشامخات عجزت عن ذلك فكيف بالإنسان الضعيف؟!

قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾(٢).

لذا جاء في الصحيح أن الله جل جلاله: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»(٣).

لكن الله يعطي أهل الجنة قوة خارقة ويغيِّر خلقهم بالكلية ليتحملوا رؤيته سبحانه، بل يلتذون بالنظر إلى وجه الله عز وجل، فإنه أعلى نعيم أهل الجنة وأعظم لذة لهم، وهي الزيادة الواردة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).
(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٤٣).
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٩).
(٤) سورة يونس: الآية: (٢٦).

ولذلك كان النبي ﷺ يدعو دائمًا بهذا الدعاء: «... وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مُضرة ولا فتنة مضلة...»[(١)].

وعن أبى هريرة «أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تُضارون فى رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله؟ قال: «هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك...»[(٢)].

وأما حديث صهيب فرواه مسلم عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شيئًا أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»، ثم تلا هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[(٣)(٤)].

الله يُنشئ للجنة خلقًا جديدًا

ومن رحمة الله (جل وعلا) أنه بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة ويظفر كل واحد منهم بنعيم لا يخطر على قلب بشر فإنه يبقى فى الجنة فضلٌ فيخلقُ الله خلقًا جديدًا ويُسكنهم فضل الجنة.

عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ: «لا تزال جهنم يُلقَى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض،

(١) صحيح: رواه النسائى (١٣٠٥)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٠١).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٢).
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨١).
(٤) سورة يونس: الآية: (٢٦).

وتقول: قط قط بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنة»(١).

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

يمر المؤمنون في الموقف العظيم بأهوال عظام، ثم يمرون على الصراط فيشاهدون هولاً ورعبًا، ثم يدخلهم الله جنات النعيم بعد أن أذهب عنهم الحزن، فيرون ما أعد الله لهم فيها من خيرات عظام، فترتفع ألسنتهم تسبح ربهم وتقدسه، فقد أذهب عنهم الحزن، وصدقهم وعده، وأورثهم الجنة»(٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٣).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨).
(٢) الجنة والنار (ص: ٢٥٦).
(٣) سورة يونس: الآيات: (٩-١٠).

سادسًا: الإيمان بالقدر

* ما هو الإيمان بالقدر؟

هو أن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنه لا يكون شيء في الكون إلا بقدر الله وقدرته، وأن الله على كل شيء قدير.

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان بالله تعالى، فلا يُقبل الإيمان بالله تعالى إلا مع الإيمان بالقدر... قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[2].

وفي السُّنة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكُتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[3].

---

(١) سورة القمر: الآية: (٤٩).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٠).

وعليه فقد أجمع أهل السُّنة والجماعة على أن من كذب بالقدر فليس له في الإسلام نصيب . . . قال ابن عباس رضي الله عنهما: القدر نظام التوحيد فمن وجد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده[(١)].

قال عوف: سمعت الحسن يقول: من كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام إن الله تبارك وتعالى قدَّر أقدارًا وخلق الخلق بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم البلاء بقدر، وقسم العافية بقدر، وأمر ونهى[(٢)].

وقد بيَّن الكتاب والسنة مفهوم القدر، وبيَّن الرسول ﷺ أن العمل والأخذ بالأسباب هو من القدر، ولا ينافيه ولا يناقضه، وحذر أمته من الذين يكذبون بالقدر، أو يعارضون به الشرع.

وغضب الرسول ﷺ غضبًا شديدًا عندما خرج على أصحابه يومًا وهم يتنازعون في القدر، حتى احمر وجهه، حتى كأنما فُقئ في وجنتيه الرمان، فقال: **«أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه»**[(٣)].

واستجاب الصحابة رضوان الله عليهم لعزيمة نبيهم وتوجيهه، فلم يُعرف عن واحد منهم أن نازع في القدر في حياة الرسول ﷺ أو بعد وفاته.

ولم يَرِد إلينا أن واحدًا من المسلمين نازع في القدر في عهد

---

(١) السنة للالكائي (٤/ ٦٧٠).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٦٨٢).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٢٣).

الخلفاء الراشـــدين أبي بكر وعمـر وعثمان، وكـل ما ورد إلينا أنا أبا عبيدة عـامر بن الجراح اعترض على رجوع عـمر بالناس عن دخول الشام عندمـا انتشر بها الطاعـون، وقال لعمر بن الخطاب: «يـا أمير المؤمنين أفرارًا من قدر الله»؟

فقال عمر: «لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله. أرأيت إن كان لك إبل هبطت واديًا له عـدوتان: إحداهما خصيبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله»[(١)].

الفرق بين القضاء والقدر

ذكر العلماء فى التفريق بين القضاء والقدر. أن القدر: هو تقدير لشيء قبل قـضائه. والقـضاء هو الفراغ من الشــيء. ومن الشواهد التى ذكرها أبو حاتم للتفريق بين القضاء والقدر أن القدر منزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاته التقدير. وعلى هذا يكون القدر سابقًا للقضاء.

قال ابن الأثير: (فالقضاء والقدر أمران مـتلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحـدهما بمنزلة الأسـاس وهو القدر، والآخـر بمنزلة البناء وهو القـضـاء فـمن رام الفصـل بينهمـا فـقـد رام هدم البناء ونقضه)[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٧٢٩).

(٢) أصول الإيمان (ص٢٥١).

مراتب الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان، من أقرَّ بها جميعًا فإن إيمانه بالقدر يكون مكتملاً، ومن انتقص واحدًا منها أو أكثر فقد اختل إيمانه بالقدر، وهذه الأركان الأربعة هي:

الأول: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط.

الثاني: الإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ لكل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

الرابع: خلقه تبارك وتعالى لكل موجود، لا شريك لله في خلقه. وسنتناول هذه الأصول الأربعة بشيء من التفصيل.

* المرتبة الأولى: العلم:

فالله يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وعلم الله تعالى أزلي لا أول له ولا ابتداء، ولا يزيد ولا ينقص، فلا يخفى على الله شيء مهما دَقَّ، ولا يغيب عنه شيء مهما حجب.

وهو عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم، ويخلق السموات والأرض.

وكل ذلك مقتضى اتصافه - تبارك وتعالى - بالعلم، ومقتضى

كونه - تبارك وتعالى - هو العليم الخبير السميع البصير.

قال تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [(١)].

وقال: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [(٢)].

وقال: ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ ﴾ [(٣)].

وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [(٤)].

وقال: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [(٥)(٦)].

وقوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [(٧)].

* المرتبة الثانية: الكتابة:

وهذا أمر ثابت إذ أن كل شيء قدَّره الله تعالى في الكون مكتوب بعلم الله تعالى وحكمته قبل أن يُخلق جملة وتفصيلاً.

قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٢٢).
(٢) سورة الطلاق: الآية: (١٢).
(٣) سورة سبأ: الآية: (٣).
(٤) سورة النحل: الآية: (١٢٥).
(٥) سورة النجم: الآية: (٣٢).
(٦) القضاء والقدر/ د. عمر الأشقر (ص: ٢٦، ٢٧) بتصرف.
(٧) سورة الأنعام: الآية: (٥٩).

مَن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢) .

عن أبي حفصة رضي الله عنه قال: قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه لابنه : يا بُنى : إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: رب، وماذا أكتب، قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة».

يا بنى إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس منى»(٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال : « يا غلام إنى أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف»(٤) .

وهذا المكتوب جملة فى اللوح المحفوظ ينسخ تفصيلاً، لكل فرد بما يخصه في مواضع أخرى .

وقد كان أول أمر الكتابة قبل أن يخلق الله السموات والأرض

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٢).

(٢) سورة الجاثية: الآية: (٢٩).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، انظر صحيح أبي داود (٤٧٠٠).

(٤) صحيح: رواه الترمذي، وأحمد، انظر صحيح الترمذي (٢٦٤٨)، المشكاة (٥٣٠٢).

بخمسين ألف سنة». . ودليل ذلك ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء»(١).

* المرتبة الثالثة: المشيئة:

وهي الإرادة الكلية الشاملة لجميع المخلوقات، وفيها لا يكون في ملك الله تعالى إلا ما يشاء، فلا يقع فيه شيء كرهًا عن الله تعالى ولا بغير إرادته ولا بغير فعله وعلمه، بل كلٌّ بإرادته وفعله وتكوينه وأمره. . ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾(٧).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).
(٢) سورة يونس: الآية: (٩٩).
(٣) سورة الإنسان: الآية: (٣٠).
(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٢٥).
(٥) سورة فاطر: الآية: (٨).
(٦) سورة يس: الآية: (٨٢).
(٧) سورة النساء: الآية: (٧٨).

* المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد:

وهو القدرة على الإيجاد والإنشاء والتكوين، فكل شيء مخلوق لله تعالى بأمره وفعله وقوته وحكمته، لا يُنسب شيء من ذلك لمخلوق... قال تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾(١).

والخلق: هو القدرة على التخليق كما تقدم.. أما الأمر فمنه ما هو كوني ومنه ما هو شرعي، والأمر الكوني لا يمانع ولا يجاوز من بَرٌّ ولا فاجر. فبكلمة واحدة من الله تعالى يخلق ما يشاء، ويبدع على غير مثال كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٢)، وقد خلق الله تعالى الأجناس كلها خيرها وشرها، لا يشاركه في ذلك أحد، ولا يقدر على فعله أحد.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٣)، وخلق قدرتها على الكسب، وكذلك خلق الأفعال التي تتأتى منها سواء كانت خيرًا أو شرًا. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٤).

فمن جحد شيئًا من ذلك فقد كفر(٥).

* * *

(١) سورة الأعراف: الآية: (٥٤).
(٢) سورة يس: الآية: (٨٢).
(٣) سورة الزمر: الآية: (٦٢).
(٤) سورة الصافات: الآية: (٩٦).
(٥) بتصرف من كتاب (القضاء والقدر عند السلف)/ الشيخ علي الوصيفي – حفظه الله –.

أزمنة المقادير

أزمنة المقادير خمسة وهى:

[١] التقدير الأول:

وكان أول كتابة ذلك التقدير قبل أن يخلق الله تعالى السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وذلك لما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»[١].

[٢] التقدير عند أخذ الميثاق الأول:

وهو ميثاق الفطرة الأول، وفيه أخذ الله تعالى من ظهر آدم ذريته، وهم كأمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾[٢]، فجبلهم على حُبه وتوحيده وتعظيمه، وأقرهم على ذلك بالقوة، فصارت النفوس تُقر بخالقها، وتميل إلى توحيده، وبقيت تلك الفطرة فى قلوبهم حجة عليهم.

[٣] التقدير العمرى:

ويكون ذلك فى الرحم عندما تبلغ النطفة مائة وعشرين يومًا، فيرسل الله تعالى لها ملكًا فيصورها، وينفخ فيها الروح، ويكتب عمل الإنسان وأجله ورزقه، وشقيًا أم سعيدًا، وذكرًا أم أنثى، وسويًا أم غير سوى.

قال عبد الله: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).
(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٧٢).

قال: «إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة، مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة»[١].

[٤] التقدير الحولي:

ويكون ذلك مرة كل عام، في ليلة القدر، فتُقضى الأعمال، أو تُنسخ وكل ذلك من تفصيل التقدير الأزلي الأول.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢].

قال أبو السعود في التفسير (٨/٥٨): ومعنى ﴿يُفْرَقُ﴾ أنه يكتب ويفصل، ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ من أرزاق العباد وآجالهم، وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى الأخرى من السنة القابلة. (انتهى).

وعن مجاهد قال في ليلة القدر: كل أمر يكون في السنة إلى السنة الحياة والموت يقدر فيها المعايش والمصائب كلها.

[٥] التقدير اليومي:

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٣] فيرفع الله تعالى

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).
(٢) سورة الدخان: الآيات: (٣-٦).
(٣) سورة الرحمن: الآية: (٢٩).

من يشاء ويخفض ويعطى ويمنع ويهدى ويضل من يشاء.

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - فى التفسير (٤/ ٢٧٤):

قال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: كل يوم هو يجيب داعيًا ويكشف كربًا ويجيب مضطرًا ويغفر ذنبًا.

وقال قتادة: لا يستغنى عنه أهل السماوات والأرض، يحيى حيًّا، ويميت ميتًا، ويربى صغيرًا، ويفك أسيرًا، وهو منتهى حاجات الصالحين، وصريخهم ومنتهى شكواهم. (انتهى).

وقال البخارى فى كتاب تفسير القرآن: قال أبو الدرداء: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يغفر ذنبًا، ويكشف كربًا، ويرفع قومًا ويضع آخرين[1].

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر[2]

حبايبى الحلوين: وها هى بعض ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه بل يعتمد بقلبه على الله - عز وجل -، ويعلم أن كل شيء بقدر الله - عز وجل -.

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده؛ لأن حصوله نعمة من الله تعالى بما قدره من أسباب الخير والنجاح، وإعجابه بنفسه يُنسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله

(١) بتصرف من (القضاء والقدر عند السلف)/ الشيخ على الوصيفى.

(٢) بتصرف من (رسائل فى العقيدة) للشيخ ابن عثيمين (٣٩) - وشرح حديث الولى للشوكانى (٣١٣-٣١٤).

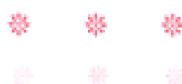
تعالى، فلا يقلق بفوات محبوب أو حصول مكروه؛ لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض، وهو كائن لا محالة.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١].

ويقول النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[٢].

الرابعة: تُهون على العبد المصائب لعلمه بأن ذلك من عند الله - سبحانه -، وما كان من عند الله - سبحانه - فالرضى به والتسليم له شأن كل عاقل؛ لأنه خالقه ومُوجده من العدم، فهو حقه وملكه يتصرف به كيف يشاء، كما يتصرف العباد في أملاكهم من غير حرج عليهم.

الخامسة: أن يعتقد العبد أن ما وصل إليه من الخير على أي صفة كان وبيد من اتُّفق فهو منه - عز وجل -، فيحصل له بذلك من الحبور والسرور ما لا يُقادَرُ قدره، لما له من العظمة التي تضيق أذهان العباد عن تصورها، وتقصر عقولهم عن إدراك أدنى منازلها.



(١) سورة الحديد: الآيتان: (٢٢، ٢٣).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩).

الإسلام والإيمان والإحسان

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت»، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، «قال: فأخبرني عن الإيمان؟، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك...» إلى أن قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «إنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم»[1].



(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

※ ما هى كلمة النجاة؟

كلمة النجاة هى: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله... قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله»[(١)].

※ ※ ※

※ ما معنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟

معنى أشهد: أى أُقرُّ وأعترف بقلبى ولسانى لله سبحانه وتعالى بالوحدانية، ولنبيه محمد ﷺ بالرسالة.

※ ※ ※

※ ما معنى لا إله إلا الله؟

هى نفىٌ وإثباتٌ:

لا إله: نفى جميع الآلهة، والطواغيت، والأنداد غير الله سبحانه وتعالى.

إلا الله: إثبات العبودية لله وحده رب العالمين.

※ ※ ※

※ ما معنى شهادة أن محمداً رسول الله؟

تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبَد الله سبحانه وتعالى إلا بما شرع... قال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[(٢)].

※ ※ ※

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٢٥).
(٢) سورة النساء: الآية: (٨٠).

* لماذا خلقنا الله؟

خلقنا الله سبحانه وتعالى لتوحيده وعبادته. . . قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)].

* * *

* ما معنى العبادة؟

هى كل ما يحبه الله ويرضاه، من الأفعال، والأقوال الظاهرة والباطنة.

* * *

* ما هى شروط قبول العبادة عند الله؟

١- الإخلاص: أن يكون العمل خالصًا لوجه الله الكريم، ليس فيه شركٌ ولا رياء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[(٢)].

٢- المتابعة: أن يكون على سُنَّة النبى ﷺ وكما فعل، وليس بدعة فالعبادات توقيفية، . . . قال رسول الله ﷺ: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[(٣)].

* * *

* ما هى مراتب الدين؟

مراتب الدين ثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

(٢) سورة الأنعام: الآيتان: (١٦٢-١٦٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

* ما هي أركان الإسلام؟

أركان الإسلام خمسة:

* شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
* وإقام الصلاة.
* وإيتاء الزكاة.
* وصوم رمضان.
* وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً.

* قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»(١).

* * *

* ما معنى الإسلام؟

هو الانقياد والإذعان، والاستسلام لله سبحانه وتعالى بالطاعة، ويُقصد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته، وأقواله، وأفعاله.

* * *

* ما هو الفهم الصحيح للإسلام؟

الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

* من هم السلف؟

هم القرون الخيرية الثلاثة الأولى... قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[(١)]، فهُم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين.

* * *

* ما هى حقيقة الإيمان؟

الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصى، والدليل على أن الإيمان يزيد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[(٢)]، والدليل على أنه ينقص قول رسول الله ﷺ: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»[(٣)].

ومتى قَبِل الزيادة قَبِل النقص.

* والقول قولان:

قول القلب: وهو اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان: وهو شهادته ونطقه.

* والعمل عملان:

عمل القلب: وهى الأعمال القلبية للإيمان مثل الحب، والخوف، والرجاء، واليقين، والتوكل، والرضا.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) سورة المدثر: الآية: (٣١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

وعمل الجوارح: مثل الصلاة، والحج، وذكر الله، وتلاوة القرآن، والزكاة وغيرها.

* * *

* ما معنى شُعَب الإيمان؟

معنى شعب الإيمان: طرقه، وأركانه، وأعماله، ومكملاته.

* * *

* كم عدد شعب الإيمان؟

قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»(١).

* * *

* ما هي أركان الإيمان؟

أركان الإيمان ستة: الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

قال رسول الله ﷺ عندما سأله جبريل عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»(٢).

* * *

* ما هي المراتب التي يتفاضل فيها أهل الإيمان؟

منهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله،... قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾(١).

* * *

* ما هى مراتب الإحسان؟

مرتبتان:

الأولى: أن تعبد اللــه سبحانه وتعالى كـأنك تراه، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته الله سبحانه وتعالى بقلبه.

الثانية: فإن لم تـكن تراه؛ فإنه سبـحانه وتعـالى يراك، وهو أن يعمل العـبد على استحضـار مشاهدة الله إياه واطلاعه عـليه وقربه منه، فإذا استحضر العبـد هذا فى عمله وعَمِل عليه فهو مخلص لله سبحانه وتعالى.

قال رسـول الله ﷺ: «الإحسـان أن تعبـد الله كأنك تراه، فـإن لم تكن تراه فإنه يراك»(٢).

* * *

* من أول البشر؟

أول البشر هو آدم عليه السلام.

* * *

* مم خلق الله آدم عليه السلام؟

خلق الله تعالى آدم عليه السلام من غير أب وأم، خلقه من تراب، ثم نفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا إلا إبليس.

(١) سورة فاطر: الآية: (٣٢).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠)، ومسلم (٩).

* كيف تكاثر البشر؟

خلق الله حواء عليها السلام من ضلع آدم عليه السلام، وجعلها زوجته، فأنجب منها أبناء وبنات كثيرين، وكثر الخلق.

* * *

* من هو الشيطان؟

هو إبليس لعنه الله وذريته.

* * *

* لماذا لُعن إبليس؟

لأنه كفر واستكبر، وعصى ربه وأبى أن يسجد لآدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1].

* * *

* ما هي مراتب عداوة الشيطان للإنسان؟

* أنه يشغلهم بالعمل المفضول عن الفاضل؛ ليفوته ثواب العمل الفاضل.

(١) سورة الحجر: الآيات: (٢٨-٣٥).

* أو يشغلهم بالتوسع فى المباحات التى لا ثواب فيها ولا عقاب.

* ثم يحملهم على فعل الصغائر التى إذا اجتمعت ربما أهلكت صاحبها.

* ثم يدعوهم إلى ارتكاب الكبائر على اختلاف أنواعها.

* ثم يدعوهم إلى البدعة.

* ثم فى النهاية يدعو الناس إلى الكفر والشرك، ومعاداة الله ورسوله[1].

* * * *

* ما هى الأسس التى يقوم عليها الإيمان بالله (جل وعلا)؟

يقوم الإيمان بالله عز وجل على أسس من أهمها:

١- الكفر بالطاغوت:

فُسِّر الطاغوت بالشيطان، والساحر والكاهن، والأصنام[2]، وهذا تفسير له ببعض أفراده، وإلا فالطاغوت يُطلق على كل من طغى وتجاوز حدَّه وادَّعى حقًّا من حقوق الله التى تفرد بها[3].

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ

---

(١) ابن الإسلام/ الشيخ محمد يعقوب (ص٤١-٤٧).

(٢) جامع البيان لابن جرير (٣/١٨، ١٩).

(٣) أثر الإيمان (١/٤٧).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[(١)] . وفى ذلك إشارة إلى أن التطهيــر مُقدَّم على التزكـية وأن تخليص القلب من أدرانه ونجــاسته المتـمثلة بالمعتــقدات الباطلة وما يتــرتب عليها من محبــة الطواغيت أو التعلق بهم واجب لحلول الإيمان بالقلب[(٢)] .

٢- الإيمان بالغيب:

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[(٣)] .

والغيب هو كل ما غـاب عنك... وفى قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أى: آمنوا بالله ومـلائكته ورسله، واليــوم الآخر، وجنتــه، وناره، ولقائه، وآمنوا بالحياة بعد الموت[(٤)]، وقد جمع الرسول ﷺ أصول الأمور الغيبــية بتعريفه للإيمان فى حديث جبــريل عليه السلام حيث قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(٥)] .

٣- امتثال الأوامر واجتناب النواهى:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(٦)] .

ففى هذه الآية بيان للحكمة التى خلق الله من أجلها الناس وهى أن يكلفهم بعبادته، بالامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه.

---

(١) سورة الزمر: الآية: (١٧).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٤).
(٣) سورة البقرة: الآيات: (١-٣).
(٤) جامع البيان (١/ ١٠١).
(٥) صحيح: رواه مسلم (٨).
(٦) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

٤- الإخلاص لله فى العبادة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (٣).

فالإخلاص شرط فى صحة العبادة وأساس مهم من أسس الإيمان... بدونه لا يدخل العبد في ولاية الله، ولا يُقبل منه عمل ولا يتحصل على ثمرات الإيمان وكراماته التي وعد بها عباده المؤمنين (٤).

٥- صدق المتابعة للنبى ﷺ:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٥)، هذه الآية الكريمة أصل كبير فى التأسى برسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله وأحواله (٦).

قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٧).

وهذان ركنا العمل المتقبل... لابد أن يكون صوابًا خالصًا فالصواب: أن يكون على السنة وإليه الإشارة بقوله: ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ والخالص: أن يخلص من الشرك الجلى، والخفى، وإليه الإشارة

(١) سورة الإنسان: الآية: (٩).
(٢) سورة غافر: الآية: (٦٥).
(٣) سورة الزمر: الآية: (٣).
(٤) أثر الإيمان (١/ ٦٥).
(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٩٢).
(٧) سورة الكهف: الآية: (١١٠).

بقوله: ﴿ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[(١)].

٦- العلم:

فالعلم أساس مهم فى الإيمان بالله وركن بارز فى دعوة النبى ﷺ . . . قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[(٢)(٣)].



ما هى أسباب قوة الإيمان؟

١- **معرفة أسماء الله الحسنى** الواردة فى الكتاب والسنة والحرص على فهم معانيها والتعبد لله بها، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا - مائة إلا واحدًا - من أحصاها دخل الجنة»[(٤)] أى من حفظها وفهم معانيها واعتقدها وتعبَّد الله بها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون، فعلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوته وثباته. . . ومعرفة الأسماء الحسنى هى أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوى يقينه.

٢- **تدبر القرآن على وجه العموم:** فإن المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن ومعارفه ما يزداد به إيمانًا.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

---

(١) تيسير العزيز الحميد صـ ٥٢٥ .

(٢) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

(٣) الإيمان بالله (جل وعلا) / د. الصلابى (ص١٣٣-١٣٥) بتصرف.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٢٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

يتوكلون﴾ [١]، وهو العلاج الناجع لأمراض القلوب، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ [٢].

قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ [٣].

فهو غذاء للروح، وعلاج يشفي النفوس من عللها ويكسبها المناعة القوية [٤]، ومن ثمرات تدبر القرآن: أنه وسيلة لمعرفة ما يريد الله منا، وكيفية عبادته تبارك وتعالى، ومعرفة ما أنزل الله إليها، لأن القرآن الكريم منهج حياة أنزله الله عز وجل، وهو أساس التشريع الذي يجب على العباد أن يتدبروه، ويلتزموا بأوامره، ويجتنبوا نواهيه ليحققوا عبادة الله تعالى [٥].

٣- معرفة النبي ﷺ: وما هو عليه من الأخلاق العالية والأوصاف الكاملة، فإن من عرفه حق المعرفة لم يشك في صدقه، وصدق ما جاء به، فمعرفته ﷺ توجب للعبد المبادرة إلى الإيمان ممن لم يؤمن، وزيادة الإيمان ممن آمن به.

ولهذا كان الرجل المنصف الذي ليس له إرادة إلا اتباع الحق مجرد ما يراه ويسمع كلامه، يبادر إلى الإيمان به ﷺ، ولا يرتاب في رسالته، بل كثير منهم مجرد ما يرى وجهه الكريم، يعرف أنه ليس وجه كذاب [٦].

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٢).

(٢) سورة يونس: الآية: (٥٧).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٨٢).

(٤) هجر القرآن العظيم، د. محمود الدوسري صـ ٥٦٧.

(٥) المصدر نفسه صـ ٥٦٦.

(٦) شجرة الإيمان (ص٤٨) للسعدي.

٤- التفكر فى الكون والنظر فى الأنفس: إن التفكر فى الكون وفى خلق السموات والأرض وما فيهن، من المخلوقات المتنوعة، والنظر فى الإنسان وما هو عليه من الصفات يُقَوِّى الإيمان لما فى هذه الموجودات من عظمة الخلق الدال على قدرة خالقها وعظمته.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١].

٥- الإكثار من ذكر الله فى كل وقت ومن الدعاء: الذى هو مخ العبادة، فإن الذكر لله يغرس شجرة الإيمان فى القلب، ويغذيها وينميها، وكلما ازداد العبد ذكراً لله، قوى إيمانه، كما أن الإيمان يدعو إلى كثرة الذكر، فمن أحب الله أكثر من ذكره.

٦- معرفة محاسن الدين: من الأسباب المقوية للإيمان معرفة محاسن الدين، فإن الدين الإسلامى كله محاسن، عقائده أصح العقائد وأصدقها وأنفعها، وأخلاقه أحمد الأخلاق وأجملها، وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلها. وبهذا النظر الجليل يزين الله الإيمان فى قلب العبد، ويحببه إليه، كما امتنَّ به على خيار خلقه بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٢].

فيكون الإيمان فى القلب أعظم المحبوبات وأجمل الأشياء، وبهذا يذوق العبد حلاوة الإيمان ويجدها فى قلبه.

ومن النماذج الرفيعة فى القدرة على عرض محاسن الإسلام على

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (١٩٠-١٩١).

(٢) سورة الحجرات: الآية: (٧).

الآخرين ما قام به جعفر بن أبى طالب ﷺ فى عرض الإسلام على ملك الحبشة وكان ذلك سببًا فى إسلامه وهدايته.

٧- الاجتهاد فى التحقق من مقام الإحسان فى عبادة الله والإحسان إلى خلقه، فيجتهد أن يعبد الله كأنه يشاهده ويراه، فيجتهد فى إكمال العمل وإتقانه.

وكذلك الإحسان إلى الخلق بالقول، والفعل والمال والجاه وأنواع المنافع هو من الإيمان ومن دواعى الإيمان، والجزاء من جنس العمل، فكما أحسن إلى عباد الله وأوصل إليهم من بره، أحسن الله إليه أنواعًا من الإحسان.

٨- الدعوة إلى الله، ومن دواعى الإيمان وأسبابه، الدعوة إلى الله وإلى دينه والتواصى بالحق والتواصى بالصبر، والدعوة إلى أصل الدين، والدعوة إلى التزام شرائعه، فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإن طريق الدعوة إلى الله والنصيحة لعباده، من أكبر مقومات الإيمان.

٩- توطين النفس على مقاومة ما ينافى الإيمان: ومن أهم مواد الإيمان ومقوياته، توطين النفس على مقاومة ما ينافى الإيمان، من شُعَب الكفر والفسوق والعصيان، فإنه كما أنه لابد فى الإيمان من فعل جميع الأسباب المقوية المنمية له، فلابد مع ذلك من دفع الموانع والعوائق، وهى الإقلاع عن المعاصى، والتوبة مما يقع منها، وحفظ الجوارح كلها من المحرمات، ومقاومة فتن الشبهات القادحة فى علوم الإيمان المضعفة له والشهوات المضعفة لإرادات الإيمان(١).

---

(١) شجرة الإيمان (ص٥٣).

١٠- معرفة حقيقة الدنيا واعتبارها ممرًا للآخرة:

ومن مقويات الإيمان معرفة حقيقة الدنيا وأنها مهما طالت فهي إلى زوال، وأن متاعها مهما عظم، فإنه قليل حقير، . . . قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١][٢].

* * *

ما هي فوائد الإيمان وثمراته؟

إن للإيمان الصحيح فوائد وثمرات عاجلة وآجلة في القلب والبدن والدنيا والآخرة، . . . ومُجملها أن خيرات الدنيا والآخرة ودفع الشرور كلها من ثمرات الإيمان الصحيح، وذلك أن شجرة الإيمان الصحيح إذا ثبتت وقويت أصولها وتفرعت فروعها وزهت أغصانها، وأينعت أفنانها، عادت على صاحبها وعلى غيره بكل خير عاجل وآجل، ومن أعظم ثمار وفوائد الإيمان:

١- الاغتباط بولاية الله الخاصة:

التي هي أعظم ما تنافس فيه المتنافسون وأجلّ ما حصّله الموفقون قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[٣]. فكل مؤمن تقي فهو لله ولي ومن ثمراتها ما

---

(١) سورة يونس: الآية: (٢٤).

(٢) بتصرف من كتاب (الإيمان بالله) / د. علي الصلابي.

(٣) سورة يونس: الآيتان: (٦٢-٦٣).

قاله الله عنهم: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(١)

أي: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات، ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة والذكر(٢).

٢- الفوز برضا الله تعالى:

ومن ثمرات الإيمان الفوز برضا الله، ودار كرامته:

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾(٣).

فنالوا رضا ربهم ورحمته، والفوز بهذه المساكن الطيبة، بإيمانهم الذي كمّلوا به أنفسهم وكملوا غيرهم بقيامهم بطاعة الله وطاعة رسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستولوا على أجلّ الوسائل، وأفضل الغايات... وذلك فضل الله(٤).

٣- دفاع الله عن المؤمنين:

ومن ثمرات الإيمان، أن الله يدفع عن المؤمنين جميع المكاره وينجيهم من الشدائد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٥)، أي: يدفع عنهم كل مكروه، يدفع عنهم شر شياطين

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٧).
(٢) شجرة الإيمان (ص٦٣-٦٤) بتصرف.
(٣) سورة التوبة: الآيتان: (٧١- ٧٢).
(٤) شجرة الإيمان (ص٦٥).
(٥) سورة الحج: الآية: (٣٨).

الإنس وشياطين الجن، ويدفع عنهم الأعداء ويدفع عنهم المكاره قبل نزولها، ويرفعها أو يخففها بعد نزولها، ولما ذكر تعالى ما وقع فيه يونس - عليه الصلاة والسلام - وأنه: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، إذا وقعوا في الشدائد، كما أنجينا يونس عليه السلام. قال النبي ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»[٢].

٤- الحياة الطيبة:

ومن ثمار الإيمان الحياة الطيبة في هذه الدار وفي دار القرار.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

٥- حصول البشارة بكرامة الله:

والأمن التام من جميع الوجوه... كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] فأطلقها ليعم الخير العاجل والآجل وقيدها في مثل قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ

(١) سورة الأنبياء: الآيتان: (٨٧، ٨٨).
(٢) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٣).
(٣) سورة النحل: الآية: (٩٧).
(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٢٣).
(٥) سورة البقرة: الآية: (٢٥).

أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[١].

فالمؤمن من يمشي في الدنيا بنور علمه وإيمانه، وإذا طُفِئت الأنوار يوم القيامة مشى بنوره على الصراط حتى يجوز به إلى دار الكرامة والنعيم.

٦- حصول الفلاح والهدى:

ومن ثمرات الإيمان حصول الفلاح الذي هو إدراك غاية الغايات، فإنه إدراك كل مطلوب والسلام من كل مرهوب، والهدى الذي هو أشرف الوسائل، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢]، فلا سبيل إلى الهدى والفلاح اللذين لا صلاح ولا سعادة إلا بهما، إلا بالإيمان التام بكل كتاب أنزله الله، وبكل رسول أرسله الله، فالهدى أجلّ الوسائل، والفلاح أكمل الغايات[٣].

٧- الانتفاع بالمواعظ والتذكير:

ومن ثمرات الإيمان الانتفاع بالمواعظ والتذكير والآيات.

قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه علمًا وعملاً.

٨- قطع الشكوك التي تضر بالدين:

ومنها أن الإيمان يقطع الشكوك التي تعرض لكثير من الناس

(١) سورة الحديد: الآية: (١٢).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٥).
(٣) شجرة الإيمان صـ ٨٠ .
(٤) سورة الذاريات: الآية: (٥٥).

فتضر بدينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[(١)]، أي: دفع الإيمان الصحيح الذى معهم الريب والشك الموجود وأزاله بالكلية، وقاوم الشكوك التى تلقيها شياطين الإنس والجن، والنفوس الأمارة بالسوء، فليس لهذه العلل المهلكة دواء إلا تحقيق الإيمان... ولهذا ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا: الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد ذلك، فليقل آمنت بالله، وليتنه، وليتعوذ بالله من الشيطان**»[(٢)].

٩- ملجأ المؤمنين:

ومن ثمرات الإيمان وفوائده، أن الإيمان ملجأ المؤمنين فى كل ما يُلم بهم، من سرور وحزن وخوف وأمن، وطاعة ومعصية، وغير ذلك من الأمور التى لا بد لكل أحد منها.

كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾[(٣)].

١٠- المنع من الوقوع فى الموبقات المهلكة:

ومنها أن الإيمان الصحيح يمنع العبد من الوقوع فى الموبقات المهلكة... قال رسول الله ﷺ: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر**

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤).

(٣) سورة آل عمران: الآيتان: (١٧٣-١٧٤).

حين يشربها وهو مؤمن»[(١)] ، ومن وقعت منه، فإنه لضعف إيمانه، وذهاب نوره.

١١- الشكر والصبر:

ومن فوائد وثمرات الإيمان أنه يحمل صاحبه على الشكر في حالة السراء، والصبر في حالة الضراء وكسب الخير في كل أوقاته، قال النبي ﷺ : «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء، شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»[(٢)] .

١٢- تأثيره على الأعمال والأقوال:

ومن فوائد وثمار الإيمان أن جميع الأعمال والأقوال إنما تصح وتكمل بحسب ما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والإخلاص، ولهذا ذكر الله هذا الشرط الذي هو أساس كل عمل، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾[(٣)] .

وأما إذا فقد العمل الإيمان، فلو استغرق العامل ليله ونهاره، فإنه غير مقبول. . . قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[(٤)] .

١٣- هداية الله لك إلى الصراط المستقيم:

ومن فوائد وثمرات الإيمان أنه يهدي صاحبه إلى الصراط

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩).
(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٩٤).
(٤) سورة الفرقان: الآية: (٢٣).

المستقيم، يهديه إلى علم الحق وإلى العمل به، وإلى تلقّي المحاب والمسارّ بالشكر وتلقي المكاره والمصائب بالرضا والصبر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾(١).

١٤- محبة الله والمؤمنين من خلقه:

ومن ثمرات الإيمان ولوازمه من الأعمال الصالحة ما ذكره الله بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾(٢).

أي: بسبب إيمانهم وأعمال الإيمان يحبهم الله ويجعل لهم المحبة في قلوب المؤمنين... ومن أحبه الله وأحبه المؤمنون من عباده، حصلت له السعادة والفلاح، والفوائد الكثيرة من محبة المؤمنين من الثناء والدعاء له حيًا وميتًا.

١٥- رفع الله لمكانتهم:

ومن فوائد وثمرات الإيمان رفع مكانة أهله عند الله عز وجل وعند خلقه... قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٣)، فهم أعلى الخلق درجة عند الله وعند عباده في الدنيا والآخرة، وإنما نالوا هذه الرفعة بإيمانهم الصحيح وعلمهم ويقينهم، والعلم واليقين من أصول الإيمان(٤)(٥).

* * *

(١) سورة يونس: الآية: (٩).
(٢) سورة مريم: الآية: (٩٦).
(٣) سورة المجادلة: الآية: (١١).
(٤) شجرة الإيمان (ص٧٦).
(٥) بتصرف من كتاب (الإيمان بالله) / د. علي الصلابي.

الولاء والبراء [1]

والولاء هو: محبة المؤمنين لأجل إيمانهم، ونصرتهم، والنصح لهم، وإعانتهم، ورحمتهم، وما يلحق بذلك من حقوق المؤمنين.

وهذا الولاء يكون في حق المسلم الذي لم يصر على شيء من كبائر الذنوب.

أما إذا كان المسلم مصراً على شيء من كبائر الذنوب، كالربا، أو الغيبة، أو غير ذلك فإنه يُحَبُّ بقدر ما عنده من الطاعات، ويُبغض بقدر ما عنده من المعاصي.

والمحبة للمسلم العاصي تقتضي أن يُهجر إذا كان هذا الهجر يؤدي إلى إقلاعه عن هذه المعصية وإلى عدم فعل ما يشبهها من قبله أو من قِبل غيره، كما هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وأمر الصحابة أن يهجروهم، فلم يكلموهم خمسين يومًا[2].

كما أن المحبة للمسلم العاصي تقتضي مناصحته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ليفعل الخير ويجتنب المعصية، فينجو من شقاء

---

(١) بتصرف من كتاب (مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية) / د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين - حفظه الله -.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

الدنيا وعذاب الآخرة، . . . كما تقتضي المحبة للعاصي إقامة الحدود والتعزيرات عليه ليتوب ويرجع إلى الله تعالى، ولتكون تطهيراً له من ذنوبه.

* والبراء هو: بغض أعداء الله من المنافقين وعموم الكفار، وعداوتهم، والبعد عنهم.

وحكم الولاء والبراء أنهما واجبان، وهما أصل عظيم من أصول الإيمان.

فقد وردت أدلة كثيرة جداً تدل على وجوب موالاة المؤمنين ووجوب البراء من جميع الكافرين.

ومن أوضح الأدلة على وجوب الولاء للمؤمنين قول تعالى:

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾[1] ومن أوضح الأدلة على وجوب البراء من الكافرين وتحريم موالاتهم قوله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾[2]، وقد أجمع أهل العلم على وجوب الولاء للمؤمنين وعلى تحريم الولاء للكافرين.

(١) سورة التوبة: الآية: (٧١).
(٢) سورة الممتحنة: الآية: (٤).

* مظاهر الولاء المشروع:

هناك أمور كثيرة تدخل في الولاء المشروع، وأهم هذه الأمور والمظاهر ما يلي:

١- محبة جميع المؤمنين في جميع الأماكن والأزمان ومن أي جنسية كانوا من أجل إيمانهم وطاعتهم لله تعالى، وهذه المحبة واجبة على كل مسلم. . . عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(١).

وينبغي للمسلم الحذر من معاداة أحد المؤمنين من أجل دنيا أو تعصُّب قَبَلِي أو مذهبي أو من أجل مشاجرة حصلت بينهما، فإن معاداة المؤمن الذي هو من أولياء الله تعالى حرب لله تعالى، فقد جاء في الحديث القدسي أن الله تعالى قال: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**»(٢).

٢- نصرة المسلم لأخيه المسلم إذا ظُلم أو اعتُدي عليه في أي مكان، ومن أي جنسية كان، وذلك بنصرته باليد، وبالمال. وبالقلم، وباللسان فيما يحتاج إلى النصرة فيه، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»(٣)، والأمر للوجوب.

فيجب على المسلم أن ينصر المسلمين إذا اعتدى عليهم الأعداء، فإذا اعتدى الكفار على بلد من بلاد المسلمين وعجز أهلها عن صد

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٤٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٣).

عدوانهم وجب على من يليهم من المسلمين نجدتهم والدفاع عنهم بالأموال والأنفس، وكذلك يجب على المسلم أن يعين أخاه على أخذ حقه ممن ظلمه، وأن يَذُبَّ عن عرض أخيه المسلم إذا اغتيب أو قُدح فيه وهو يسمع، كما يجب على المسلم أن يدافع عن المسلمين بلسانه أو قلمه عندما يقدح فيهم أحد في كتاب أو غيره، وهذا كله من فروض الكفايات... أي: إذا فعله البعض سقط عن الآخرين.

٣- مساعدتهم بالنفس والمال عند اضطرارهم إلى ذلك:

فيجب على المسلم أن يعين أخاه المسلم ببدنه عند اضطراره إلى ذلك، فيجب عليه مثلاً إذا وجده منقطعًا في سفر أن يعينه بإصلاح ما يحتاج إليه لمواصلة سفره، ونحو ذلك، ويجب عليه أن يعينه بماله عند اضطراره إلى ذلك، كأن يكون فقيرًا ولم يجد ما يأكله هو وأولاده... فيجب على الأغنياء من المسلمين مساعدته وهذا كله من فروض الكفايات فإن لم يوجد ممن يستطيع مساعدته إلا شخص واحد كان فرض عين عليه.

٤- التألم لما يصيبهم من المصائب والأذى، والسرور بنصرهم، وجميع ما فيه خير لهم، والرحمة لهم وسلامة الصدر نحوهم.

قال تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[(١)]، وقال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[(٢)].

---

(١) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

مظاهر الولاء المحرم للكفار

* **التشبه المطلق بالكفار،** بأن يتشبه بهم فى أعمالهم، فيلبس لباسهم، ويقلدهم فى هيئة الشعر وغيرها، ويسكن معهم، ويتردد معهم على كنائسهم، ويحضر أعيادهم.

* **موالاة الكفار بإعانتهم على المسلمين:**

إعانة الكفار على المسلمين سواء أكانت بالقتال معهم، أم بإعانتهم بالمال أو السلاح، أم كانت بالتجسس لهم على المسلمين، أم غير ذلك.

* **محبة الكفار، واتخاذهم أصدقاء،** قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] والمودة: المحبة.

* **الاستيطان الدائم فى بلاد الكفار،** فلا يجوز للمسلم الانتقال إلى بلاد الكفار للاستيطان فيها، إلا فى حال الضرورة، لقول جرير بن عبد الله رضي الله عنه: بايعت النبى ﷺ على النصح لكل مسلم، وعلى مفارقة المشرك.

* **مشاركة الكفار فى أعيادهم الدينية،** كعيد رأس السنة الميلادية (الكريسماس)، فلا يجوز للمسلم مخالطة أو مشاركة الكفار

(١) سورة المجادلة: الآية: (٢٢).

فى أعيادهم الدينية بإجماع أهل العلم، لأن فى ذلك إقرارًا لعملهم ورضى به وإعانة عليه، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(١)، ولا شك أن مشاركتهم فى أعيادهم الباطلة المحرمة من الإعانة على الإثم.

كما يحرم تهنئتهم بهذه الأعياد بإجماع أهل العلم، ويحرم حضور أعيادهم الدنيوية وتهنئتهم بها، لأنها أعياد مبتدعة محرمة فى ديننا.

* ما يجوز أو يجب التعامل به مع الكفار مما لا يدخل فى الولاء المحرم:

بعد أن بينْت حكم الولاء والبراء، ومظاهر كل منهما، أحببت أن أبينْ بعض الأمور التى لا تدخل فى الولاء المحرم، والتى يجوز أو يستحب التعامل بها مع الكفار، وأن أذكر أيضًا ما يجب لهم على المسلم. وقبل أن أبين هذه الأمور ينبغى أن نعلم أن الكفار ينقسمون إلى أربعة أقسام:

* القسم الأول: المعاهدون:

وهم الذين يسكنون فى بلادهم، وبينهم وبين المسلمين عهد وصلح وهدنة، وذلك ككفار قريش وقت صلح الحديبية، وككفار الدول الكافرة فى عصرنا هذا التى بينها وبين الحاكم المسلم الذى يخضع المسلم لسلطانه عهود وسفارات، فيجوز أن يصالح المسلمون الكفار على السلم وترك الحرب إذا كان فى ذلك مصلحة للمسلمين،

(١) سورة المائدة: الآية: (٢).

قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(١).

* القسم الثاني: الذميّون:

وهم الكفار الذين يسكنون بلاد المسلمين وصالحهم المسلمون على أن يدفعوا للمسلمين الجزية.

فيجوز السماح للكافر الموجود أصلاً في بلاد المسلمين أو في بلاد يحكمها المسلمون بالاستمرار في سكنى بلاد المسلمين - سوى جزيرة العرب كما سيأتي - وذلك في حال دفعهم الجزية للمسلمين -.

قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(٢).

* القسم الثالث: المستأمنون:

وهم الذين يدخلون بلاد المسلمين بأمان من ولي الأمر أو من أحد المسلمين.

فيجوز السماح للمشرك بدخول بلاد المسلمين والإقامة فيها فترة مؤقتة للتجارة أو للعمل ونحوهما إذا أمن شرهم وضررهم على المسلمين، ... قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾(٣)، وهذا الأمان يُعرف الآن بـ «تأشيرة الدخول».

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٦١).
(٢) سورة التوبة: الآية: (٢٩).
(٣) سورة التوبة: الآية: (٦).

ويستثنى من ذلك جزيرة العرب، فلا يجوز دخولهم لها إلا للحاجة، ولا يسمح لهم بالاستيطان فيها، لقوله ﷺ عند موته «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»[١]، ولقوله ﷺ: «لا يُترك بجزيرة العرب دينان»، لكن إن كانت هناك حاجة تدعو إلى دخولهم لهذه الجزيرة فلا بأس، كما أقر النبي ﷺ يهود خيبر على البقاء فيها للعمل للحاجة الماسة لعملهم فيها، ثم أجلاهم عمر رضي الله عنه لما زالت الحاجة إليهم، وعليه فلا يجوز استقدامهم إلى جزيرة العرب كعمال أو خدم أو سائقين أو غيرهم مع وجود من يقوم بعملهم من المسلمين.

* القسم الرابع: الحربيون:

وهم من عدا الأصناف الثلاثة السابقة من الكفار:

فهؤلاء يشرع للمسلمين جهادهم وقتالهم بحسب الاستطاعة، قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾[٢].

* أما الأمور التي تجب للكفار غير الحربيين على المسلمين فمن أهمها:

١ - حماية أهل الذمة والمستأمنين ما داموا في بلاد الإسلام، وحماية المستأمن إذا خرج من بلاد المسلمين حتى يصل إلى بلد يأمن فيه، . . . قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧).
(٢) سورة النساء: الآية: (٩١).
(٣) سورة التوبة: الآية: (٦).

٢- العدل عند الحكم فيهم وعند الحكم بينهم وبين المسلمين وبين بعضهم بعضًا عند وجودهم تحت حكم المسلمين... قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١)، ومعنى الآية: لا يحملنكم بغض قوم على أن لا تعدلوا عند الحكم فيهم أو بينهم وبين غيرهم، بل اعدلوا، فإن العدل أقرب إلى تقوى الله تعالى، والعدل إنما يكون بالحكم بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ.

٣- دعوتهم إلى الإسلام، فإن دعوة الكفار فرض كفاية على المسلمين، وذلك لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولإخراجهم من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق جل وعلا، وإن زار أو عاد المسلم كافرًا من أجل دعوته فحسن، فقد عاد النبي ﷺ غلامًا يهوديًا في مرضه، ودعاه إلى الدخول في الإسلام، فأسلم(٢).

٤- يحرم إكراه اليهود والنصارى والمجوس على تغيير أديانهم.

قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(٣).

٥- يحرم على المسلم أن يعتدى على أحد من الكفار غير الحربيين في بدنه بضرب أو قتل أو غيرهما... عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا»(٤).

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٨).
(٢) صحيح: رواه البخاري (١٣٥٦).
(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).
(٤) صحيح: رواه البخاري (٣١٦٦).

وقال رسول الله ﷺ: «من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا»(١).

٦- يحرم على المسلم أن يغش أحدًا من الكفار غير الحربيين في البيع أو الشراء، أو أن يأخذ شيئًا من أموالهم بغير حق، ويجب عليه أن يؤدي إليهم أماناتهم... فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا مَن ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»(٢).

٧- يحرم على المسلم أن يسيء إلى أحد من الكفار غير الحربيين بالقول، ويحرم الكذب عليهم، لعموم قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(٣)، بل ينبغي له أن يلين القول لهم، وأن يخاطبهم بكل ما هو من مكارم الأخلاق مما ليس فيه إظهار للمودة وليس فيه تذلل لهم ولا إيثار من المسلم لهم على نفسه.

٨- يجب إحسان الجوار لمن كان له جار من الكفار غير الحربيين بكفّ الأذى عنه، ويُستحب أن يحسن إليه بالصدقة عليه إن كان فقيرًا، وأن يهدي إليه، وأن ينصح له فيما ينفعه لعموم قوله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»(٤).

٩- يجب على المسلم أن يرد السلام على الكافر، فإذا سلم على المسلم بقول: «السلام عليكم» وجب على المسلم أن يرد عليه بقوله

---

(١) صحيح: رواه أحمد والنسائي، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٤٤٨).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧).
(٣) سورة البقرة: الآية: (٨٣).
(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥).

«وعليكم» فقط، لقوله ﷺ: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم»[١]. لكن لا يجوز أن يبدأ الكافر بالسلام عليه، لقوله ﷺ: «لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام»[٢].

ويجوز للمسلم أن يتلطف بالكافر، فيناديه بكُنيته، ويسأل عن حاله وحال أولاده، ويهنئه بمولود ونحوه، ويبدأه بالتحية كـ «أهلاً» ونحوها إذا اقتضت المصلحة الشرعية ذلك، كترغيبه في الإسلام، وإيناسه بذلك ليقبل الدعوة إلى الإسلام ويستمع لها، أو كان في ذلك مصلحة للمسلم بدفع ضرر عنه أو جلب مصلحة مباحة له، ونحو ذلك.

كما يجوز للمسلم أن يعزي الكافر في ميِّته إذا رأى مصلحة شرعية في ذلك، لكن لا يدعو لميتهم بالمغفرة؛ لأنه لا يجوز الدعاء لموتي الكفار بالرحمة والمغفرة.

وعلى وجه العموم فإنه يجوز للمسلم أن يتلطف بالكافر بالقول وبالفعل الذي ليس فيه إهانة للمسلم عند وجود مصلحة شرعية في ذلك.

ويدل على جواز ذلك قوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[٣]، والتقية إظهار الموالاة مع إبطان البغض والعداوة لهم، وعليه فيحرم أن يتكلم معهم بكلام يقصد به الموادة لهم - أي كسب محبتهم - من غير تحقيق مصلحة شرعية.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٧).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٢٨).

وهناك أمور يباح أو يُستحب للمسلم أن يتعامل بها مع الكفار، منها:

١- **يجوز استعمالهم واستئجارهم في الأعمال** التي ليس فيها ولاية على مسلم وليس فيها نوع استعلاء من الكافر على المسلم، فيجوز أن يعمل عند المسلم في صناعة أو بناء أو في خدمة، فقد استأجر النبي ﷺ عبد الله بن أريقط في الهجرة، واستعمل يهود خيبر في أرضها ليزرعوها ولهم نصف ما يخرج منها، أما الأعمال التي فيها ولاية على المسلمين أو فيها اطلاع على أخبارهم فلا يجوز توليتهم إياها.

٢- **يُستحب للمسلم الإحسان إلى المحتاج من الكفار،** كالصدقة على الفقير المعوز منهم، وكإسعاف مريضهم، ... لعموم قول تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، ولعموم حديث: «في كل كبد رطبة أجر»[2].

٣- **تُستحب صلة القريب الكافر،** كالوالدين والأخ بالهدية والزيارة ونحوهما، لكن لا يتخذه المسلم جليسًا، وبالأخص إذا خُشيت فتنته وتأثيره على دين المسلم، قال الله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾[3]، وقال تعالى في حق الوالدين: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[4].

٤- **يجوز برهم بالهدية** ونحوها لترغيبهم في الإسلام، أو في حال

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٩٥).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).
(٣) سورة الإسراء: الآية: (٢٦).
(٤) سورة لقمان: الآية: (١٥).

دعوتهم، أو لكف شرهم عن المسلمين، أو مكافأة لهم على مسالمتهم للمسلمين وعدم اعتدائهم عليهم، ليستمروا على ذلك، أو لما يشبه هذه الأمور من المصالح الشرعية، قال الله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١)، والبر هو: الإحسان إليهم بالمال أو غيره، . . . والقسط هو: العدل، أما إذا كانت الهدية من باب الصداقة أو المحبة ونحوهما فهي محرمة.

٥- يستحب إكرامه عند نزوله ضيفًا على المسلم، كما يجوز أن ينزل المسلم ضيفًا على الكافر، لكن لا يجوز إجابة المسلم لدعوته، لما في ذلك من المودة له.

٦- يجوز الأكل العارض معهم، من غير أن يتخذ المسلم الكافر صاحبًا وجليسًا وأكيلاً، فيجوز أن يأكل مع الكافر في وليمة عامة، أو وليمة عارضة، وأن يأكل مع خادمه الكافر، أو في حال كون الكافر ضيفًا عند المسلم أو إذا نزل المسلم ضيفًا عند الكافر، من غير قصد التحبب إليه بذلك، ومن غير قصد للاستئناس به، أما إن جالسه بقصد التحبب إليه من غير تحقيق مصلحة شرعية، أو جالسه للاستئناس به فذلك محرم، وكبيرة من كبائر الذنوب.

٧- يجوز التعامل معهم في الأمور الدنيوية التي هي مباحة في دين الإسلام، فقد عامل النبي ﷺ اليهود وبايعهم واشترى منهم، كما يجوز للمسلم أن يأخذ عنهم وأن يتعلم منهم ما فيه منفعة للمسلمين

---

(١) سورة الممتحنة: الآية: (٨).

من أمور الدنيا مما أصله مباح فى دين الإسلام، وقد يكون ذلك مستحبًا أو واجبًا، وقد ثبت أن النبى ﷺ جعل فداء بعض أسرى بدر ممن لم يكن عنده فداء من المال تعليم أولاد الأنصار الكتابة.

٨- يجوز للمسلم أن يتزوج بالكافرة الكتابية فقط إذا كانت عفيفة عند الأمن من ضررها على الدين والنفس والأولاد.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾(١)، والمحصنة هى العفيفة عن الزنى، وإن كان الأولَى للمسلم أن لا يتزوج بكافرة؛ لأن ذلك أسلم له ولذريته، ولذلك عاتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض من تزوج بكافرة، وأمره أمر ندب بطلاقها.

أما بقية الكافرات غير الكتابيات فلا يجوز للمسلم أن يتزوج بواحدة منهن بإجماع أهل العلم،... لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾(٢)، فإن تزوج بها فالنكاح باطل.

أما المسلمة فلا يجوز لأى كافر كتابى أو غيره أن يتزوج بها بإجماع المسلمين.

٩- يجوز للمسلمين أن يستعينوا بالكفار فى صد عدوان على المسلمين، وذلك بشرطين أساسيين:

الأول: الاضطرار إلى إعانتهم.

الثانى: الأمن من مكرهم وضررهم، بحيث يكونون جنودًا

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٥).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٢١).

مرؤوسين عند المسلمين، وتحت إشرافهم ومتابعتهم بحيث لا يمكن أن يحصل منهم أى ضرر على المسلمين.

١٠- يجوز للمسلم أن يذهب إلى الطبيب الكافر للعلاج إذا وثق به.

١١- يجوز دفع الزكاة إلى المؤلفة قلوبهم من الكفار.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾(١).

١٢- يجوز للمسلم أن يشارك الكافر فى التجارة، لكن بشرط أن يلى المسلم أمرها أو يشرف عليها، لئلا يقع فى تعامل محرم عند إشراف غير المسلم على هذه التجارة وتصريفه لها.

١٣- يجوز قبول الهدية من الكافر، إذا لم يكن فيها إذلال للمسلم ولا موالاة منه للكافر فقد قبل النبى ﷺ الهدية من أكثر من مشرك، لكن إن كانت هذه الهدية بمناسبة عيد من أعياد الكفار فينبغى عدم قبولها.

١٤- يجوز للمسلم أن يعمل عند الكافر، ويجوز أن يعمل فى عمل يديره بعض الكفار، لكن لا يجوز أن يعمل فى خدمة الكافر الشخصية، لما فى ذلك من إذلال نفسه له.

❊ ❊ ❊

❊ ما موقف المسلم من الكفار؟

ج: يجب على المسلم أن يوالى المؤمنين وأن يعادى الكافرين.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ

(١) سورة التوبة: الآية: (٦٠).

بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(١)] . . . لكن لا ينبغي أن يحمله هذا الكره والبغض للكافرين على أن يؤذيهم أو أن يظلمهم بل عليه أن يُحسن إليهم وأن يعرض عليهم الحق بكل رحمة وحنان وأن يتمنى لهم الهداية من أعماق قلبه.

قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[(٢)] .

وقال ﷺ: «ولأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النَّعم»[(٣)] .



(١) سورة المائدة: الآيات: (٥٤-٥٧).

(٢) سورة الممتحنة: الآيتان: (٨-٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

حقوق الصحابة رضي الله عنهم

إن أمر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح عليه أمر أولها.

ولا يشك عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر أن أصحاب النبي ﷺ هم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين - عليهم أفضل الصلاة والتسليم- وأنه ﷺ سيد ولد آدم... وصحابته هم خير قرن وأمة وُجدت على وجه الأرض.

وإن معرفة أحوالهم وأخلاقهم وسيرهم لتضيء الطريق أمام المؤمن الذي يريد أن يعيش أسوة محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾(١).

فالصحابة رضي الله عنهم هم حَمَلة الإسلام وحَفَظته بعد رسول الله.

اختارهم الله واصطفاهم لصُحبة نبيه ﷺ ونشر رسالته من بعده.

عدَّلهم وزكاهم ووصفهم بأوصاف الكمال في غير ما آية من كتاب الله.

فقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾(٢).

---

(١) سورة يوسف: الآية: (١١١).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٢٣).

وقال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢).

فضل الصحابة (رضى الله عنهم) ومناقبهم

امتاز الصحابة ﭫ على سائر قرون الأمة بالسبق إلى الإسلام أول ظهوره والجهاد في إظهاره وتبليغه الأمة فهم أول من آمن بالله ورسوله فآمنوا وقت الغربة وجاهدوا وقت العسرة ودعوا إلى الله تعالى بالحكمة وبذلوا النفس والنفيس وصبروا على عداوة القريب والبعيد فاجتمعت لهم فضائل كثيرة ومناقب كبيرة وهى:

(١) السبق إلى الإسلام.

(٢) الصبر وقت الشدة.

(٣) الصحبة للنبى ﷺ.

(٤) الهجرة والإيواء.

(٥) النصرة والجهاد.

(٦) الإمامة فى العلم والعمل.

(٧) التبليغ للدين.

---

(١) سورة النور: الآية: (٣٧).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٠٠).

فضائل الصحابة من القرآن والسنة

لله در أقوام أخلصوا الأعمال وحققوها، وقيدوا شهواتهم بالخوف وأوثقوها، وسابقوا الساعات بالطاعات فسبقوها، وخلّصوا أعمالهم من أشراك الرياء وأطلقوها وقهروا بالرياضة أغراض النفوس الردية فمحقوها، فعن إبعاد مثلهم وقع نهى النبي ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[(١)].

صعدت صحائفهم من الأكدار صافية، وارتفعت أعمالهم بالإخلاص ضافية، وأصبحت نفوسهم عن الدنيا متجافية، والناس فى أخلاط والقوم فى عافية، ففاق المولى منهم على الرئيس القرشى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾.

دموعهم بالأحداق محدقة ورؤوسهم فى الأسحار مُطرقة، وأكُفّهم بما تسكبه فى الخير منفقة ونفوسهم بعد الجد من اللوم مشفقة، يَردون من حياض المصافاة على أوفى الرى ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾.

خلصوا الأعمال من الأكدار نفلاً وفرضًا واجتهدوا فى طاعة مولاهم ليرضى، وحضوا أنفسهم لطلب الحظ الأحظ حضًّا، وغضوا أبصارهم عن الشهوات غضًّا، فإذا أبصرتهم رأيت أجسادًا مرضى وعيونًا قد ألفت السهر فما تكاد تطعم غمضًا، بادروا أعمارهم لعلمهم أنها ساعات تتقضّى فأمدهم بالعون السرمدى ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾.

(١) سورة الأنعام: الآية: (٢٥).

ابتلاهم فرضوا وصبروا، وأنعم عليهم فاعترفوا وشكروا، وجاؤوا بكل ما يُرضى ثم اعتذروا، وجاهدوا العدو[1] فما انقشعت الحرب حتى ظفروا، فنالوا غاية الإمكان فى المكان العلى ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[2].

كانت قلوبهم بالحق متعلقة، وأنوارهم على الظواهر متألقة، كلما هدلت حمائم نوحهم هطلت غمائم شجوهم، دموعهم فى الدجى ذوارف لما بين أيديهم من المخاوف، يغسلون بالبكاء ذنوب الصحائف، خوفهم شديد وما فيهم مخالف، إذا جَنَّ الليل فالقدم واقف، يحنون إلى الحبيب حنين شارف[3] الدمع مساعد والحزن مساعف.

علموا أن الدنيا متاع يفنى فعبروها وما عمروها للسكنى، واشتغلوا بدار كلما نقضت هذه تبنى، طرق الوعظ أسماعهم فتلمحوا المعنى، يأخذون أهبة الرحيل «ولا يأخذون عَرَض هذا الأدنى» لا كبر عندهم تراهم بين المساكين والزمنى، لو تأملتهم رأيت ضلوعًا على المحبة تحنى، حلف صادقهم على هجر الهوى والله ما استثنى، وأقبلوا على قدم الفقر فلما رآهم أغنى، ذكروا الجنة فاشتاقوا ولا شوق قيس إلى لبنى.

قال النبى ﷺ: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علىّ وعمّار وسلمان»[4][5].

---

(١) جاهدوا الشيطان وأنفسهم فإن أعدى أعداء الإنسان نفسه التى بين جنبيه.

(٢) التبصرة للإمام ابن الجوزى (١/ ٥٦٧ ، ٥٦٨) بتصرف ط. دار ابن خلدون.

(٣) الشارف: الناقة المسنة.

(٤) حسن: رواه الترمذى (٣٧٩٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٥) التبصرة للإمام ابن الجوزى (١/ ٥٨٢، ٥٨٣) بتصرف.

وإذا أردنا أن نتحدث عن بعض فضائل الصحابة ﷺ فعلينا أن نذكر أولاً: تزكية الخالق - جل وعلا - لهم في كتابه الكريم.

فهم الذين قال الله في حقهم: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[1].

وقال تعالى عنهم: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[2].

الأوسمة التي وضعها الحبيب ﷺ على صدور أصحابه ﷺ

وها هي أوسمة الشرف التي وضعها الحبيب ﷺ على صدور أصحابه ﷺ ... ونظرًا لكثرتها فسوف نكتفي بذكر بعضها- فالقليل منها كثير-:

فعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري أذَكَر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا، «ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يُستشهدون ويخونون ولا يُؤتمنون، وينذُرون ولا يفون، ويظهر فيهم السِّمَن»[3].

وعن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيءُ قومٌ تسبق شهادةُ أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» قال: قال إبراهيم: وكانوا

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢٣).
(٢) سورة البينة: الآية: (٨).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار(١).

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: مُرَّ بجنازة فأثنى عليها خيرًا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**وجبت، وجبت وجبت**»، ومُرَّ بجنازة فأثنى عليها شرًا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**وجبت وجبت وجبت**» قال عمر: فدى لك أبي وأمي مُر بجنازة فأثنى عليها خيرًا فقلت: «**وجبت وجبت وجبت**»، ومُرَّ بجنازة فأثنى عليها شرًا، فقلت: «**وجبت وجبت وجبت**؟».

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض**»(٢).

* وعن عائذ بن عمرو: أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها قال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: «**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**».

فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه! أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي!»(٣).

* وعن سعيد بن أبي بُردة عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال فجلسنا، فخرج

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٠٤).

علينا فقال: «مازلتُم ها هنا».

قلنا: يا رسول الله! صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء قال: «أحسنتم، -أو- أصبتم» قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يرفعُ رأسه إلى السماء فقال: «النجوم أمَنَةٌ للسماء فإذا ذهبت النجومُ أتى السماء ما توعدُ، وأنا أمَنَةٌ لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعدون، وأصحابي أمَنَةٌ لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»(١).

* وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فئامٌ(٢) من الناس فيقولون: فيكم من صاحب(٣) رسول الله ﷺ؟(٤) فيقولون لهم: نعم، فيُفتح لهم(٥). ثم يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فئامٌ من الناس، فيقال: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فئامٌ من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٣١)، وأحمد (٣٩٨ - ٣٩٩). قال النووي - رحمه الله - (شرح مسلم ص: ٣٩١): «وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»: معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ.

(٢) الفئام: الجماعة، وقيل: الجماعة الكثيرة (انظر لسان العرب ٣٣٣٦ فقد أورد هناك معانٍ أخر بالإضافة إلى ما ذكرنا).

(٣) في رواية مسلم «من رأى».

(٤) وهذا السؤال عن أصحاب النبي ﷺ ومن رآهم ومن رأى من رآهم للاستنصار والتبرك بهم وبدعائهم، وقد أورد البخاري - رحمه الله - هذا الحديث أيضًا في كتاب الجهاد باب «من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب» وقال الحافظ ابن حجر هناك: أي ببركتهم ودعائهم.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٦/ ٨٩): يفتح للصحابة لفضلهم ثم للتابعين لفضلهم ثم لتابعيهم لفضلهم، قال: ولذلك كان الصلاح والفضل والنصر للطبقة الرابعة أقل فكيف بمن بعدهم، والله المستعان.

أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم»[(١)].

* وعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسـول الله ﷺ: «لا تزالون بخير مادام فيكم من رآنى وصاحبنى، والله لا تزالون بخير مادام فيكم من رأى من رآنى وصاحب من صاحبنى»[(٢)].

حقوق الصحابة ﷺ على الأمة

إن حقوق الصحابة ﷺ على الأمة من أعظم الحقوق وأوجبها....ومنها:

الحق الأول: محبتهم رضى الله عنهم وأرضاهم:

فإنه يجب على كل مسلم أن يحب أصحاب رسول الله ﷺ فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق ففى الصحيح عن النبى ﷺ قال: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار»[(٣)]، وقال فى الأنصار: «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق»[(٤)] وإذا كان هذا فى الأنصار فإن المهاجرين أولى بالحب؛ لأنهم أفضل فى الجملة لما لهم من السابقة إلى الإسلام والهجرة مع النصرة، وورد تقديمهم فى الذكر على الأنصار فى نصوص كثيرة بيَّنت فضل الجميع وما وعدهم الله من الثواب الكريم والأجر العظيم رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٤٩)، ومسلم (٢٥٣٢).

(٢) صحيح: رواه ابن أبى شيبة، وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٧/ ٥): إسناده حسن وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣٢٨٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[(١)].

قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاث منازل: المهاجرين، والذين تبوؤا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم. فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل... وقال بعضهم: كن شمسًا، فإن لم تستطع فكن قمرًا، فإن لم تستطع فكن كوكبًا مضيئًا، فإن لم تستطع فكن كوكبًا صغيرًا، ومن جهة النور لا تنقطع.... ومعنى هذا: كن مهاجريًا. فإن قلت: لا أجد، فكن أنصاريًا. فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم، فإن لم تستطع فأحبهم واستغفر لهم كما أمرك الله [(٢)].

* وإذا كان النبي ﷺ قد قال: «أوثق عُرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل»[(٣)].

وقال ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[(٤)]... فإن كان هذا في حق آحاد المؤمنين فكيف تكون محبتنا لأصحاب سيد المرسلين ﷺ؟!

الحق الثاني: الاعتراف بفضلهم ومكانتهم العالية:

الصحابة ﷺ هم المخاطبون بقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[(٥)]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

---

(١) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٣٢، ٣٣).

(٣) صحيح: رواه الطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٥٣٩).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٨١)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٠).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).